إنتاج المعرفة

في سياق حضاري متأزّم

• عنوان الكتاب: «إنتاج المعرفة» في سياق حضاري متأزم
دراسة تجربتين جزائريتين: «جمعية التراث» و«نموذج الرشد»
• اسم المؤلف: أ. جابر ناصر بوحجام
• الطبعة الأولى: 1442هـ - 2021م
• مقاس الكتاب: 140 × 210
• عدد الصفحات: 356
• ردمك: ISBN 978-9931-553-53-3
• الإيداع القانوني: فيفري، 2021.



• جمعية التراث
ص. ب 19 القرارة ولاية غرداية 47110.
• البريد: Ettourath.editions@gmail.com
• هاتف ثابت: 58 22 26 29 213+
• هاتف محمول: 44 42 32 541 213+





Kitabook.net

Cité Ghaalloul, Bordj El Bahri, Alger Tél: 023.957.273 E-mail : Info@kitabook.net



إنتاج المعرفة
في سياق حضاري متأزّم

دراسة تجربتين جزائريتين:

«جمعية التراث» و«نموذج الرشد»

تأليف:

جابر ناصر بوحجام

تقديم:

د. محمد باباعمي

جمعية التراث القرارة غرداية الجزائر

كتابك Kitabook

أصل مادة الكتاب

دراسة قُدّمت ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في الفكر الإسلامي من معهد المناهج، بتاريخ 07 ديسمبر 2019، وحصلت على ملاحظة: ممتاز، وعلامة 20/18.

وكانت الدراسة بعنوان:

«المتّحد العلمي» في السياق الحضاري المتأزّم، على ضوء «نموذج الرشد»، «فريق البحث العلمي» لجمعية التراث (1990-2006) نموذجا.

ونسخة البحث متوفرة في مكتبة معهد المناهج.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهداء

أهدي هذا العمل الذي أرجو ذخره يوم القيامة،

إلى سبب وجودي في الحياة والديّ العزيزين ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾،

إلى سندي وسكني، زوجتي الغالية وأبنائي الأعزاء ﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾،

إلى إخواني وأخواتي، من قال فيهم سبحانه وتعالى ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا﴾،

إلى إخواني في مشاريع «**نموذج الرشد**» وعلى رأسها معهد المناهج،

إلى معلميّ وأساتذتي ومشايخي،

وإلى كل من شارك معي البحث وتقاسم معي لحظات الشدة والانفراج في سبيل إنجازه،

دعواتي لهم جميعا ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾

آمين

فهرس المحتويات




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

د. محمد باباعمي

الظاهرة الإنسانية ظاهرة مركبة، والمعرفة الإنسانية معرفة قاصرة؛ فلا يستطيع القاصر أن يدرك المركَّب إلَّا بإجراء منهجيٍّ يعمد إلى تفكيك الظاهرة إلى أجزاء لا رابط بينها: علوم، وتخصُّصات، وبحوث، ودراسات... والعلم حين يفكك الإنسان يقتل أهمَّ عنصر فيه: «الحياة».

من ثم، تدرس العلوم الإنسانَ من مدخل «التشريح والطب»، أو «علم النفس»، أو «الاجتماع»، أو «التاريخ»، أو «القانون»... بمناهج مادية، اختزالية، تقريرية، فوتوغرافية، ساذجة؛ هي غالبا ما تحوّل ذلك الإنسان إلى «شيء»: جمادٍ، أو نباتٍ، أو حيوانٍ، أو رقمٍ رياضيٍّ؛ ثم تصدر الأحكام عليه، وتنطلق منها لبناء النظريات، والفلسفات، والمذاهب، والمجتمعات... وغيرها.

في خضم هذا الإشكال الوجودي-المعرفي، وُلِد ما سُمِّيَ بعد ذلك بـ«علم المناهج»، و«نظرية المعرفة»، و«الابستمولوجيا»، و«تاريخ العلوم»، ... إلى أن ترعرع في سياق ماديٍّ متنكر للغيب وللمتعالي، ورفض الاعتراف بمحدودية العقل البشريّ، ونسب الألوهية للعلم، فربط به آلامه وآماله، وواقعه ومصيره، ولا يزال.

حيال هذا الوضع، اعتقد الدارسون أنَّ «علم اجتماع العلوم»



هو ابن شرعيٌّ للفكر الغربيّ، وأنَّ غير الغرب من المسلمين والآسيويين والشرقيين، لم يسهموا فيه بشيء يذكَر (بل لم يسهموا في العلم كله إلَّا بالنزر اليسير)؛ وتواصل الفكر الاستعماري الكولونيالي ليستولي بعدَ الأرض والخيرات، والعرض والثمرات، على العقل والعلم، وعلى الفكر والحضارة؛ فراح يمسح كلَّ أثرٍ، ويزيل كلَّ أثارة، من علم ومنهج إسلاميّ؛ ولعلَّ أدلَّ عنوان على ذلك هو كتاب «تاريخ ضائع» (التاريخ الضائع لعلماء الإسلام) لهاملتون مورجان.

وانقسم العالم بسبب ذلك ـ ونتيجة لذلك ـ إلى: عالَم متخلّف مدروس لا إرادة له، ولا يملك حقَّ القول (حسب تعبير إدوارد سعيد)؛ وعالَم متقدم دارسٍ، هو المريد الوحيد، وله حقُّ القول والتشريع والتحكم دون غيره.

وإلى يومنا هذا، يشار إلى ما ينتجه الفكر الغربي على أنه «علم»، و«نظرية»، و«إبداع»؛ وإلى ما ينتجه الفكر الشرقي أنه «محاولة»، و«فرضية»، و«تقليد»... ولا أدلَّ على ذلك من قائمة الاختراعات في شتى الفنون، وأسماء النظريات عبر العالم، والتي ليس فيها للشرق المسلمِ حظٌّ؛ إلاَّ أن يكون صاحبُها قد قطع البحر، ثم صار جزءا من العلم الغربي (الأمريكي أو الأوروبي غالبا) ثم نسب إليه الاختراع، أو النظرية... على أنه ولد ضمن «فعاليات الدوري الأمريكي»، أو «الانجليزي» أو «الألماني»، أو «الفرنسي»... على غرار «كرة القدم».

وتأتي جميع الجهود المعرفية في شرقنا المتأزم، مصبوغة

بهذه الصبغة؛ ومتأثرة بهذا السياق؛ فتُعتبر بالتالي «تجارب محلية» لا «علما عالميا»؛ ولا يسمح لروّادها، حتى ولو كانوا جادين ومبدعين، أن يحشروا أنوفهم ضمن قائمة «رواد العلم البشري»؛ ثم تضيع الحقيقة من بين ثنايا أصابعنا، ويضيع على إثرها حامل الحقيقة تائها في مرابعنا...

وجمعية التراث، مثال ونموذج لهذه الحال، ولهذا الوصف؛ ذلك أنَّها «طفرة معرفية»، و«معلمٌ حضاري»، ولد في سياق متأزّم؛ فرسم منهجا جديدا في دراسة التراث الإسلامي بعامة، والإباضي بخاصَّة؛ ثم انتهى بثمرات هي اليوم معالم فكرية علمية لا يقدر أيُّ مشتغل بالعلم أن يتجاوزها؛ من مثل: معجم الأعلام، ومعجم المصطلحات، ودليل المخطوطات... وغيرها.

لكن، تبقى التجربة غير قابلةٍ للتكرر، ولا تندرج ضمن العلم، إلاَّ إذا رُصدت من زاوية عُليا، وتمّت دراستها من مدخل المنهج، وقرئت بجدية من جميع جوانبها النفسية، والتنظيمية، والعلمية، والاجتماعية... وغيرها.

ولا بدَّ أن يكون الدارس من خارج الظاهرة، أو يكون من داخِلها، وأيُّ خيار ثالثٍ هو مرفوع بالضرورة (الثالث المرفوع).

ولكلٍّ إيجابياته وسلبياتُه؛ ولكلٍّ منطلقاته وأساليبه؛ فالذي ينطلق من التقسيم الكلاسيكي المحايد، ينظر إلى العلم من زاوية الموضوعية، ويتنكر لكل ما هو ذاتيٌّ؛ حتى ولو كان ذلك العلم إنسانيًّا خالصًا؛ ولا سبيل للتذكير أنَّ المرجعية في هذا المذهب إلى «الغرب»، وإلى «المدرسة الوضعية»؛ وإلى أوجست كونت،



وبرتراند راسل، وديريدا... وغيرهم كثير.

أمَّا الذي يتبنى المذهب الثاني، ويمكن تسميته «المذهب الثوري الذاتي»؛ فلا يرى حرجا في كون الدارس من داخل الظاهرة، ما دام متحرّيا التحيُّز المقبول (بلغة المسيري)، وأداته في ذلك ما سمي بالتفسيرية: الأكثر تفسيرية والأقل تفسيرية؛ بديلا عن الثنائية المختزلة: الموضوعي والذاتي...

من هنا، جاء الباحث جابر بن محمد ناصر بوحجام؛ في سياق متأزم؛ وهو ينتقد المرجعية الغربية الصلبة، ويجتهد في بناء مرجعية لم تكتمل بعدُ؛ ولقد بدأها من قبلِه باحثون، وسيواصل على إثره آخرون؛ ضمن ما عُرف بـ«نموذج الرشد»؛ جاء ليؤسّس على غير مثال؛ لـ«علم اجتماع العالم» عوض «علم اجتماع العلوم»؛ ذلك أنَّ الإنسان هو المحور لا المادة والموضوع.

ولقد تعب في بحثه وأتعب، وجاهد وأجهد؛ وليس أصعب على المشرف، وهو جزء من الظاهرة، من أن يمحو في كل مرَّة اسمه، ويضع بديلا عن ذلك صورة «الفتى» حين يكون جمعا، و«الفرد» حين يكون واحدا. ولكن الباحث بإصراره أحيانا، وعناده أحيانا؛ يُبقي على الاسمِ مدافعا عن خياره بأنه «يجده أكثر تفسيرية»، وبأنها «الحقيقة المعرفية»... ومستدلا بغير ذلك من الأدلة المنهجية؛ وما دمتُ ممن لا يرى من حق المشرف فرض رأيه على الطالب؛ فإني أنتهي غالبا بالاستسلام والقبول؛ معتبرا أنَّ البحث هو بحثه هو، وأنَّ المشرف ما هو إلاَّ الموجه والمقترح...



فهل وُفِّقَ باحثنا جابر ناصر بوحجّام، فيما ذهب إليه؟

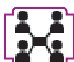
وهل حقَّق المراد، وبلغ الغاية، من عمله هذا؟

وماذا يؤخذ عليه، وماذا يثمّن في جهده وعمله؟

مما لا مفرَّ منه أن يكون الباحث رهينا لمصادره، وظلا لموارده؛ فلا يستطيع ولا ينبغي له أن يدّعي أنه تجاوز الكتاب، والمذكرة، والمقال، والوثيقة، والمراسلة، والمحاورة، والمجاورة... ومن ثم، فإنه لا يدّعي أنَّ ما ورد في بحثه هو «الحقيقة»، وإنما هو جزء، وزاوية من «الحقيقة»؛ وهو في ذلك يؤسس لما عرف بـ«القابلية للاعتراف»؛ ويجتهد ضمن «نموذج الرشد»، ملتزما أعمدته وأركانه: «حركية الفكر والفعل»، و«ذاتية اتباع الأسباب»، و«سداد المسلك»؛ وأخيرا «الصدقية» خلقا ومنهجا.

والباحث جابر، بكل المعايير والمقاييس، في حدّ تقديري؛ باحث مثابر، صاحب مواهب عديدة، منها الخلقية ومنها المعرفية؛ وهو حين اكتسب الثقة في نفسه انطلقَ كالريح المرسلة، بلا كلل ولا ملل؛ ورغم أنه جمع بين البحث والمهمة العملية في معهد المناهج؛ لم يتوان ولم يتكاسل، بل سابق الزمن وسبقه، فأتمّ بحثه في وقت مقبول، وبمستوى جيد، بل ومتميز؛ وبالتالي فإننا نبشر بميلاد باحث جادٍّ، وبمتخصص في «علم اجتماع العالم»، ينضاف إلى ثلة من خيرة شبابنا، الذين يمارسون العلم الحقيق والحقَّ، في زمن الشهادة بأسلوب القص واللصق.

فهنيئا له آخِرا، وهنيئا لوالدته ووالده الدكتور محمد ناصر



بوحجام أولا؛ ثم هنيئا لجده الدكتور محمد ناصر؛ وللعائلة كلّا باسمه ووسمه؛ ولنا نحن ضمن مشاريع «نموذج الرشد» جميعها: المناهج، والمدارس، والجامعة، والوسام، وكتابك... وغيرها. ثم هنيئا لجمعية التراث هذا البحث الذي يسلّط الضوء على مسيرتها الخالدة، وهذا الباحث الذي يغوص في أعماقها البعيدة الغور؛ وهنيئا للجزائر بأبنائها، وهي تمر بزمن صعب، سائلين الله أن يفرج عنا وعنها.

وأخيرا: تفكرت كثيرا في قول الله تعالى لرسوله الكريم، وهو يحاجج الكفار والمشركين، وبخاصَّة الشاكّين في نبوته؛ قال له تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: 46].

أليست الآية آمرةً بالتفكر الجماعي، والاجتهاد مثنى وفرادى، بغية إدراك الحقيقة الواحدة «بواحدة»؟ أي «كلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام» كما قال المفسرون؟

ثم إن رسول الله ﷺ لم يشيّبه في سورة هود سوى قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[هود: 112]؛ ولكن أعتقد أنَّ الذي شيبه أكثر هو: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود: 112] أي الشطر الثاني من الآية.

وفي الختام أستشهد بمقولة لشيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «فالروح الجماعية ضعيفة عندنا في كلّ المجالات، ولاسيما في الأعمال والمشاريع العلميّة. ويرجع ذلك في نظري إلى انعدام أو قلَّة الشعور بالحياة الحضرية؛ فالفرديةُ، كما هو معروف، سمة من سيمات البداوة»، أمَّا مالك

بن نبي فيقول: «لم أكن أعلم إذ ذاك أنَّ العمل الجماعي بما يفرض من تبعات، إنما هو من المقوّمات التي فقدها المجتمع الإسلامي ثم لم يسترجعها بعد، خصوصا بين مثقفيه».

والسؤال اليومَ، للعالِم ضمن جمعية التراث، أو ضمن نموذج الرشد، أو ضمن جامعاتنا، ومعاهدنا، ومؤسساتنا الفكرية والعلمية... هو:

كيف ننتقل من الحالة الفردية للعلم إلى حالة «الجماعة العلمية»، و«المتحد العلمي»، و«مراكز البحث»؟ متحَدِّين سياقنا المتأزم، تحضيرا لسياق أكثر خصوبة؟ ومساهمة في إخراج أمتنا من دائرة التبعية إلى فضاء الذاتية.

ذلكم هو السؤال والتحدي؛ ولا جواب عندي... والله المستعان...

د. **محمد باباعمي**، معهد المناهج

6 ديسمبر، 2019م







المقدمة

تمر بالإنسان محطات وحوادث لا يلقي لبعضها بالا، وتبقى بعضها عالقة في ذاكرته، بل وقد تكون «نقطة انعطاف» في حياته لما يستتبعها من نتائج إيجابا أو سلبا؛ إذا تأمل فيها وتفاعل معها، ثم دوّن ملاحظاته وتساءل عنها مستكشفا باحثا.

شاء الله تعالى أن أحضر مناقشة أطروحة دكتوراه لباحث جاد، أخذ منه البحث سنواتٍ عديدةً جدية وانضباطا، فكانت المحصّلة تتويجا لصبره على إنجاز البحث مع ما ابتلي به من مسؤوليات، وهي حالة الكثير من الباحثين في السياق الحضاري المتأزّم، الذي ينظر إلى البحث العلمي على أنه عملية إضافية في مسار طالب العلم، فعليه أن يقوم بالوظيف وينجز البحث معا ليحقق معيشته...

حضرنا في تلك الأمسية حفل التكريم الذي أقيم على شرف «الدكتور» المتوج، واستدعي إلى صدارة المجلس مجموعة من الدكاتره ليكرّموا هذا المحتفى به ويقدموا كلمات بالمناسبة للحضور.

وأنا أعيد النظر في هذا المشهد وفي هذه الصورة الحية التي جمعت هؤلاء الدكاتره، وخَزني سؤال معرفي وجودي،



كان السبب المباشر في الانطلاق في هذا البحث.

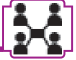
تساءلتُ في نفسي: هؤلاء الذين يملؤون هذا المشهد كان قد جمعهم إطار علمي فيما مضى من سنوات، أنجزوا من خلاله أعمالا بحثية جادة لا نزال نستفيد منها، فهل لا يزال هذا الإطار يجمعهم مع كثرة مسؤولياتهم، وانتقالهم من مرحلة «الطالب الجامعي» إلى مرحلة «الأستاذ»؟ لماذا لا نجد لهم صدى في مشاريع جماعية كما كانوا عليها في سنوات خلت؟

نقلت هذا التساؤل إلى أستاذي الدكتور باباعمي، وكنتُ كمن يحاكم ذلك الجيل ويعتب عليه، فأجابني ببضع كلمات أطارت النوم من جفني بعد ذلك: «إن ذلك الجيل قد عمل واجتهد وأبدع، فكانت النتيجة كما ترى، بل لا يزال منهم من يكابد ويجاهد، والسؤال موجه إلى جيلكم، هل قدمتم وأنجزتم عملا جماعيا لمن يأتي بعدكم؟ وصبرتم على تكوين جيل يخلفكم؟».

بقيتْ هذه الكلمات تحفر في ضميري وتقلقني كلما تجاهلتها، إلى أن غادر النوم أجفاني في ليلة من ليالي الشتاء الباردة، ولم أرتح حتى حررت رسالة إلى تلك المجموعة المباركة من الدكاتره وأخرى إلى إدارة جمعية التراث[1]، وواحدة إلى أستاذي موضع السؤال، أسأل فيها عن أسباب اجتماع هؤلاء حول تلك المشاريع البحثية، وكيف السبيل لبعث أعمال جماعية أخرى في ظل سياق كل مؤشراته تدل على عدم إمكانية تحقيق أمثالها؟

تحولت الرسالة بعد ذلك إلى مشروع بحث بعد نقاش مع

(1) كانت المراسلات في الفترة ما بين: 16-11-2017، و24-11-2017.



الدكتور باباعمي، وبعد تحديد الإشكالية طلب مني وضع خطة مبدئية لمعالجتها، وتوسعت الإشكالية ليصبح البحث من مدخل «علم اجتماع العلوم»، وليصبح إضافة معرفية لا مجرد وصف لما سبق؛ تحليلا على ضوء «نموذج الرشد»[1].

❑ إشكالية البحث وخطته:

«المتحد العلمي» في السياق الحضاري المتأزّم، على ضوء «نموذج الرشد»،
«فريق البحث العلمي»[2] لجمعية التراث الجزائرية (1990-2006)، نموذجا.

أحاول من خلال هذا العنوان التطرق إلى عوامل تشكل «الجماعة العلمية» و«المتحد العلمي» في السياق الحضاري

(1) «**نموذج الرشد**»: أداة تحليلية منهجية لفهم تركيبية الواقع والظاهرة الإنسانية، ثم التعامل معها في حركية دائبة بين الفكر والواقع وبين العلم والعمل، سعيًا لإيجاد العلاقة بين أفكار الإنسان وأفعاله؛ أي كيف تتحول المعلومات إلى معرفة؟، والمعرفة إلى السلوك؟، يستند فكره في تأصيل أي جهد فردي أو جماعي إلى كلام الله تعالى وكل ما له ارتباط وثيق به، أما فعله فيتّسم بالنسبية كأي جهد بشري؛ المحتمل الصواب والخطأ معا، على ما في هذا الربط بين التأصيل والفعل من احتمال للقصور يتحمّله الواصل لقدراته المحدودة ومداركه القاصرة.

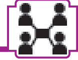
(2) **فريق البحث العلمي لجمعية التراث**: مجموعة من الباحثين من طلبة الليسانس والماجستير ثم طلبة الدكتوراه لاحقا، تشاركوا أعمالا بحثية جماعية في إطار جمعية التراث، وَثِق فيهم أساتذتهم ومشايخهم فمنحوهم مساحة من الحرية والإبداع وفرصة التعلم والتكوين، فأنتجوا أعمالا علمية رائدة رغم الظروف التي كانت تشهدها الجزائر في التسعينيات.



المتأزّم، من خلال معايير «نموذج الرشد»، ومن خلال وصف جهود «فريق البحث العلمي» لجمعية التراث الجزائرية؛ باعتبارها عينة لهذه الحركية في هذا السياق الحضاري، في الفترة ما بين 1990 التي تمثل مرحلة بداية نشاط جمعية التراث بعد الترسيم القانوني، و2006 بآخر إصدار أنجزه الفريق وهو «معجم مصطلحات الإباضية».

وأحاول الإجابة على أسئلة تتفرع من الإشكالية الرئيسة وهي:

- ما دلالة «المتحد العلمي»، وما هي معايير تأسيسه من خلال «علم اجتماع العالِم»؟
- ما هي العلاقة التي تجمع بين «المتحد العلمي» والعلماء الذين يشكلونه و«النموذج المعرفي» الذي يجمعهم؟
- ما هي الجهود التي قام بها «فريق البحث العلمي» لجمعية التراث لبعث العمل البحثي الجماعي، وما هي مشاريعه، وكيف كانت الحركية بين الباحثين؟
- ما هو «نموذج الرشد»؟ وكيف يمكن التأريخ له ولمشاريعه البحثية الجماعية؟
- ما هي معايير «المتحد العلمي» من منظور «نموذج الرشد»؟ وهل هي قابلة للتحقيق في السياق الحضاري المتأزّم؟
- كيف يمكن اكتشاف نقاط ضعف النموذج وتشخيص الأسئلة الحرجة التي تستقبل المشتغلين حوله، ثم الإجابة عليها؟



❑ خطة البحث:

تم تقسيم البحث للإجابة عن هذه الأسئلة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وملاحق:

◄ **الفصل الأول: ثلاثية: «المتحد العلمي»، و«النموذج المعرفي»، والعالِم: الدلالة والعلاقة.**

وفيه الحديث عن الأعمدة الثلاثة لحركية «إنتاج المعرفة»: العالِم أس البناء المعرفي، و«المتحد العلمي» نقطة التقاء العلماء والباحثين، و«النموذج المعرفي» المؤطر للحركية والدافع لها.

◄ **الفصل الثاني: «فريق البحث العلمي»، والمشاريع البحثية الجماعية (1990-2006).**

وفيه تفصيل عن تاريخية إنشاء «فريق البحث العلمي لجمعية التراث»، والظروف التي نشأت فيها الجمعية ومراحل تأسيس فريق البحث، والشخصيات التي أثْرت المسيرة وأثّرَت في المسار، والأعمال البحثية الجماعية التي أنجزت.

◄ **الفصل الثالث: «المتحد العلمي» ضمن «نموذج الرشد».**

هذا الفصل محاولة تأريخ «نموذج الرشد» من خلال «صورة الفتى»(1) التي تتشكل من مجموع الفاعلين ضمن مشاريع «نموذج الرشد»؛ باستحضار السياق الذي عاش فيه «الفتى»، ونقد المشاريع الجماعية التي أنجزها.

---

(1) ينظر تبسيطا لـ «صورة الفتى» ضمن مطلب «الفتى» باعتباره شخصية معنوية في الفصل الثالث.



◄ **الملاحق**[1].

أدرجت فيه فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومسرد مفاهيم نموذج الرشد الواردة في البحث، وقائمة بمؤلفات «نموذج الرشد» ما بين 2006 و2018، ونماذج لقواعد البيانات التي استعملت في إدارة المادة العلمية، وبعض التقارير.

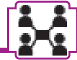
❑ التحديات في رحلة إنجاز البحث:

محاولة تحويل نقاط الضعف إلى قوة

من أبرز التحديات التي تواجه طالب العلم المبتدئ في السياق الحضاري المتأزّم الجانب الخفي من إنتاج المعرفة أو «ما حول المعرفة»، فقد يجد الكثير مما يتناول منهجية إعداد بحث علمي أو كتابة مقالة علمية، لكنه قلّما يصادف توصيفا وتفصيلا لما يدور في سبيل إنجاز البحث؛ وبخاصة ما له علاقة بالجانب النفسي والاجتماعي.

رحلة إنجاز هذا البحث كانت شيقة وشاقة؛ فقد وضعتني في «الطريق الوسط» ما بين «ذهان الاستحالة» في الإسهام في بناء المعرفة، و«ذهان السهولة» الذي ينحو إلى تبسيط الأشياء وتمييعها، وشاقة لأنها مكابدة لتغيير ما في النفس من نقاط ضعف وتحويلها إلى نقاط قوة أستفيد منها فيما يستقبل من مشاريع بحثية قادمة، ومن أبرز هذه التغيرات:

(1) موجودة في أصل الدراسة في مكتبة معهد المناهج.



• من التيه المنهجي إلى القدرة على إنجاز البحث

أسوأ حالة تعتري طالب العلم غياب المرشد والموجه، فيعيش يُتْمًا معرفيا يشعره دائما بالنقص والريبة في خطوه، لذا أولى التراث الإسلامي أهمية خاصة للتتلمذ ولحلقات العلم، كما أولى الحكام والأمراء عناية خاصة باختيار المعلمين الأكفاء لأبنائهم، وأغدقوا عليهم الهدايا والهبات في سبيل قيامهم بهذه المهمة، وقد استشعرتُ هذه الأهمية بوجودي قرب مشرف يأخذ بيدي، ويناقش أفكار البحث معي، إما بسؤال يطرحه، أو بتوجيه إلى مصدر مساعد، أو فكرة تسهم في إثراء البحث، مع الحرية التامة في قبول أو رفض ما يقترحه، وبهذا استطعت أن أتجاوز مرحلة التردد والهيبة إلى مرحلة القدرة على الإنجاز.

• من الخواطر القصيرة إلى إنجاز البحث العلمي

من آثار القدرة على الإنجاز التحول من حالة نشر الخواطر القصيرة والأفكار المقتضبة إلى البناء المعرفي والمنهجي المطول، ومما ساعد على ذلك نصيحة المشرف[1] بتحويل البحث إلى مجموعة من المقالات التي تتناول المباحث بطريقة منفصلة ثم الربط بينها، متتبعا الخطة الشاملة، وبهذا تم تجزيئ الأعمال الكبيرة إلى مهام صغيرة فسهل العمل وخفّ.

(1) ويشير إلى أنه هو أيضا استفاد من هذه النصيحة التي قدمها له د. محمد ناصر بوحجام.



• من القطيعة بين البحث والوظيف إلى الجمع بينهما

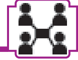
من أسس «النموذج المعرفي» ـ «نموذج الرشد» ـ والمؤطّر لعملية البحث: «حركيّة الفكر والفعل»؛ من واقع إلى عقل ومن عقل إلى واقع، ومن الاكتفاء بالبحث النظري إلى إضافة المقترح العملي، ومن الانتهاء بالتوصيات للآخرين إلى الدفع لتطبيق التوصيات والنتائج، وفي هذا توجيه إلى ضرورة البحث ضمن المهمة المنوطة وتفعيل الأفكار واختبارها، وتقديم التغذية الراجعة، ليتحول البحث من حيز زمني محدود إلى فضاء يعيش داخله الباحث، فعشت البحث بثوانيه، دون انقطاع عن الوظيف؛ لأن الهدف هو تحسين أداء المسؤولية الملقاة من خلال البحث.

• من الغرق في المعلومات إلى بناء المعرفة

من أهداف البحث بناء معرفة تفيد الإنسانية وتسهم في تطويرها، لا استهلاك المعلومات بِنَهَم دون خط منهجي واضح وإشكالية محددة تبحث عن جواب[1]، وقد عانيتُ في مسار البحث من «الذئب الهيجلي المعلوماتي»[2]، وتجمعت لديّ أكثر من 500

(1) يقول بيجوفيتش: «القراءة المبالغ فيها لا تجعلنا أذكياء، بعض الناس يبتلعون الكتب وهم يفعلون ذلك بدون فاصل للتفكير، وهو ضروري لكي يُهضم المقروء ويُتبنّى ويُفهم. عندما يتحدث إليك الناس يخرجون من أفواههم قطعاً من هيجل وهايديجر أو ماركس في حالة أولية غير مصاغة جيدا، عند القراءة فإن المساهمة الشخصية ضرورية مثلما هو ضروري للنحلة العمل الداخلي والزمن، لكي تحول رحيق الأزهار المتجمعة إلى عسل». بيجوفيتش؛ علي عزت، هروبي إلى الحرية، دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - لبنان، ط5، 1434هـ/2013، ص:25.

(2) واحد من ثلاثة ذئاب «تخيلية» هاجمت د. المسيري في رحلته الفكرية، وهي: =



بطاقة بحث[1]، وجدت في بعضها ما لا حاجة لي بها فاستغنيتُ عنها، لأن المطالعة كانت على وتيرة شديدة غطّت في مسار البحث عقدة «الخوف من التحرير» بحجة وجود حاجة إلى مطالعة أكثر، فالهدف من المطالعة ليس حشو العقل بالأفكار ولكن تصريفها والربط بينها والإبداع بعد ذلك.

• من الزمن الممتد إلى الأجل المحدد

كان من المحتمل أن أبقى مع هذا البحث سنوات مديدة قبل أن يُعرض للتداول والنقاش، لولا تذكير المشرف لي إن البحث لن يصل إلى الصورة الكاملة إن كنتُ أنشدها، فالعقل الإنساني يتفاعل مع الواقع وفق معطيات وليس باعتباره آلة صماء، وهذه

= **ذئب الثروة**، وذئب **الشهرة**، و**الذئب الهيجلي المعلوماتي**، وهذا الأخير هو أخطرها ضراوة، و«يعبر عن نفسه في الرغبة العارمة في أن أكتب كتابا نظريا، إطاره النظري واسع وشامل للغاية، ولكنه في الوقت نفسه يتعامل مع أكبر قدر ممكن من المعلومات والتفاصيل، إن لم يكن كلها». المسيري؛ عبد الوهاب، **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتية غير موضوعية**، دار الشروق، مصر، ط.4، 2009، ص:166-176.

(1) راودني في بداية البحث سؤال إدارة بطاقات البحث، وكنتُ قد شاهدت تجارب سابقة لباحثين في طريقة «التقميش» وترتيب البطاقات على المباحث،.. الخ، وسألني أحدهم عن حل إلكتروني للإحالات والوصول إلى البطاقة المطلوبة دون البحث اليدوي الذي يستزف الوقت في بعض الأحيان، فقمت بتصميم قاعدة بيانات لإدارة بطاقات البحث، وقد سهلتْ لي المهمة كثيرا. ينظر نموذج قاعدة البيانات في أصل هذه الدراسة الموجودة في مكتبة معهد المناهج بعنوان: «المتّحد العلمي» في السياق الحضاري المتأزّم، على ضوء نموذج الرشد: «فريق البحث العلمي» لجمعية التراث الجزائرية (1990-2006) نموذجا.



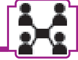
المعطيات متغيرة باستمرار وسأغرق فيها مع وفرتها، فلزم عليّ تحديد أجل زمني لإنهاء كل مبحث والتوقف عند حلول الأجل ولو لم يكتمل المبحث ـ مع مرونة نسبية ـ؛ عملا بقاعدة «العمل يستغرق الوقت الذي يحدّد له»، فخَصّصتُ من أجل ذلك أيّاما مغلقة في الأسبوع قاربت السّنة أتفرّغ فيها للبحث، وخصّصتُ باقي الأيام للمهام الأخرى.

❐ منهج البحث:

بغية تحقيق أهداف البحث، ومحاولةً في الإجابة على الإشكالية الرئيسة والأسئلة التي تفرعت منها، اعتمدت على منهجين:

أولا: منهج التحليل بالنماذج، باعتبار أن البحث غير محصور في تخصص أكاديمي معين، وإنما يدخل ضمن الدراسات الحضارية، وباعتبار أن البحث يعالج المعرفة و«ما حول المعرفة»، وباعتبار أن «نموذج الرشد» قد وُظّف منهجا للتحليل ومنطلقا للتقييم، وبغير هذا قد ينحو البحث بعيدا عن أهدافه.

ثانيا: بعد المنهج الأساس في البحث، أي منهج التحليل بالنماذج، وظفتُ المنهج الوصفي باعتبار التفصيل في مشاريع البحث الجماعية سواء ضمن «فريق البحث العلمي» لجمعية التراث أو ضمن «نموذج الرشد»، واتباع المنهج الوصفي يستتبع التحليل، وهو ما كان بعد عرض المشاريع في مباحث مستقلة وبخاصة مشاريع «نموذج الرشد».



❑ مادة البحث:

تم الاعتماد في معالجة مشاريع «فريق البحث العلمي» على تقارير الأيام المغلقة «غار امجماج» التي حصلتُ عليها من أرشيف «جمعية التراث»، وعلى ذكريات ومذكرات الدكتور محمد ناصر التي نشرها في كتابه «ذكرياتي ومذكراتي»، والمذكرات الشخصية للدكتور محمد باباعمي، وعلى اللقاءات التي أجريتُها مع باحثين كانوا أعضاء في إدارة الفريق أو كانوا باحثين يُسْتدعون للمشاركة دون إسناد مسؤولية لهم[(1)]، وراسلتُ مجموعة أخرى ولكن للأسف لم أحصل إلا على جواب واحد فقط[(2)]، كما استفدت من بعض المقالات الوصفية التي نشرت في بعض المجلات، ولم أطلع على دراسات نقدية لهذه المشاريع.

أما مشاريع «نموذج الرشد» فقد اعتمدتُ غالبا على مؤلفات الدكتورين محمد باباعمي وطه كوزي، كما أني عايشتُ معظم لحظات هذه المشاريع، وهنا مكمن الصعوبة والتحدي الذي ستكون له آثار في معالجة هذا البحث.

---

(1) إضافة إلى اللقاءات المتكررة مع د. محمد باباعمي باعتباره مشرفا على العمل، أجريت في الفترة ما بين 28-12-2017 و25-08-2019 لقاءات مع كل من: د. محمد ناصر بمنزله في الأبيار، د.حمو الشيهاني في معهد الحياة بالقرارة بمناسبة أيام «غار امجماج»، د. صالح أبوبكر بمعهد المناهج، د. مصطفى باجو في منزل أبناء الشيخ حدبون بالحميز، د. مصطفى وينتن في معهد المناهج، د. إبراهيم بحاز في معهد المناهج.

(2) جواب على مراسلتي وصلني من د. مصطفى شريفي بتاريخ: 01-03-2018.



❐ الدراسات السابقة:

أغلب ما كُتب حول «فريق البحث العلمي» لجمعية التراث كان عبارة عن مقالات نشرت في مجلّات محكّمة تتناول مشروعا من مشاريع الفريق من حيث التخصص الدقيق للباحث، سواء من حيث تحقيق المخطوطات، أو علم المكتبات، أو التاريخ، ونذكر هنا حسب الترتيب الزمني:

1. عوفي؛ عبد الكريم، **جمعية التراث بالقرارة ومشروعها الطموح لحماية المخطوطات في منطقة وادي ميزاب (الجزائر) ـ القسم الأول ـ**، مجلة الحياة، دورية فكرية يصدرها معهد الحياة، القرارة، غرداية ـ الجزائر، العدد: 01، رمضان 1418هـ/ جانفي 1998.
2. عوفي؛ عبد الكريم، **جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين**، مجلة «عالم المخطوطات والنوادر، ملحق محكم نصف سنوي» يصدر عن عالم الكتب، الرياض ـ السعودية، مجلد 4، عدد: 1، المحرم / جمادى الآخرة 1420، مايو / أكتوبر 1999.
3. ابن دريسو؛ مصطفى، **تقرير معجم مصطلحات الإباضية**، مجلة الحياة ع: 05، دورية فكرية يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث، القرارة/ غرداية ـ الجزائر، رمضان 1422هـ/ ديسمبر 2001.
4. بحاز؛ إبراهيم، **معجم المصطلحات الاباضية: الفكرة،**



الخطوات، والأهداف، أعمال الملتقى العلمي الثالث لوحدة الدراسات العمانية بجامعة آل البيت حول «التحولات في المجتمع العماني الحديث والمعاصر»، جامعة آل البيت ـ وحدة الدراسات العمانية، عمّان ـ الأردن، 14-15 أفريل 2004م.

5. إمناسن؛ محمد بن أحمد، **العناية بالمخطوط في وادي ميزاب**، ملتقى المخطوط لولايات شمال الصحراء، أعمال ملتقى غرداية، المجلة المغاربية للمخطوطات، مخبر المخطوطات جامعة الجزائر، المجلد 1، رقم 1، شوال 1425هـ/ ديسمبر 2004.

6. ابن دريسو؛ مصطفى، **فهرسة المكتبات والمخطوطات في وادي ميزاب «دراسة وتحليل»**، مجلة الحياة، دورية فكرية يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث، القرارة، غرداية ـ الجزائر، العدد: 12، رمضان 1429هـ/ أكتوبر 2008.

7. مالكية؛ بلقاسم، **من أجل موسوعة لأعلام الجنوب الشرقي الجزائري**، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ـ الجزائر، ع: 2012/01.

8. باباواسماعيل؛ زهير، **فهارس مخطوطات مكتبات وادي مزاب وقراءة وصفية لمحتوياتها**، مجلة التراث، مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، جامعة زيان عاشور، الجلفة ـ الجزائر، العدد 20، ديسمبر 2015.

❐ ختاما

أحمد الله تعالى أن وفقني لإنجاز هذا العمل، والذي أدعو الله أن يبارك فيه ليكون علما نافعا، وأدعو الله أن يتقبل من أستاذي الدكتور محمد باباعمي صبره معي ومرافقته لي حتى أكملت هذا العمل، وأتقدم بخالص دعائي لكل إخواني في مشاريع «نموذج الرشد» وعلى رأسها معهد المناهج، ولكل من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد، فاللهم بارك في أعمارهم وحسّن عاقبتنا في الأمور كلها.

آمين

جَابِر نَاصِر بوحَجَّام

معهد المناهج،

03 محرم الحرام 1441هـ - 03 سبتمبر 2019م





الفصل الأول

ثلاثية

المتحد العلمي

والنموذج المعرفي

والعالِم

الدلالة والعلاقة



الفصل الأول: ثلاثية: «المتحد العلمي»، و«النموذج المعرفي»، والعالِم: الدلالة والعلاقة

تمهيد

ارتبط رقي الأمم ونهوضها ودلالة العصور الذهبية في التاريخ بمدى الإنتاج المعرفي والحراك العلمي؛ متمثلا في حركة التأليف والترجمة وفي حركة الاختراعات والاكتشافات، فازدادت دائرة العلم توسعا ـ على نسبيتها ـ، وتطورت حياة الإنسان وتحسنت، وتشجع العلماء والباحثون للإسهام في هذه النهضة بما وجدوه من تقدير وتحفيز.

وغالبا ما يكون تقييم المعرفة من خلال ما تقدمه للباحثين عنها والمهتمين بها، فتزداد قيمة المعرفة المُنْتَجَة بقدر ما تؤثر في الواقع وتسهم في تطويره، لكن مع تطور العلوم برزت تخصصات تدرس «ما حول المعرفة» وتعالج العلاقة بين العلماء والباحثين في سبيل إنتاج هذه المعرفة.

من خلال هذا الفصل سيكون البحث دائرا حول ثلاثة أعمدة لحركية «إنتاج المعرفة»: «المتحد العلمي» نقطة التقاء العلماء والباحثين، و«النموذج المعرفي» المؤطر للحركية والدافع لها، والعالِم أس البناء المعرفي. وبهذا سيكون الفصل الأول نظريا من حيث ضبط المفاهيم وتبيان العلاقة بين هذه الثلاثية.

يشكل العلماء عند اجتماعهم من أجل الإجابة على أسئلة

معرفية مشتركة ومن مداخلها المتعددة ما يسمى في «علم اجتماع العلوم» بـ«المتحد العلمي»؛ والذي يعتبر من الشروط الحدية في إنتاج معرفة تسهم في تغيير الواقع وتحسن حياة الناس؛ فالظاهرة الإنسانية مركبة لا يستوعبها العقل الفرد، وبهذا يشترط في المعرفة أن ينتجها «عقل جمعي» متناغم لا يختزل الأجوبة في بُعد دون آخر.

يتأسس «المتحد العلمي» باتفاق العلماء على «النموذج المعرفي» أو «البرادايم»، محوره «سؤال الأزمة» المشترك، منه يستقي العلماء المعايير التي تؤطر أعمالهم، وتوحد منهجهم في التعامل مع الأحجيات المعرفية التي تعترضهم في أبحاثهم؛ فـ«النموذج المعرفي» هو إعلان عن ميلاد «المتحد العلمي»، ووجود «المتحد العلمي» وحركيته ضمان لحياة «البرادايم».

تحتاج حركية العلماء ضمن «المتحد العلمي» إلى دراسة وتحليل من مدخل «علم اجتماع العالم»؛ الذي لم ينضبط ـ كما هو الحال مع «المتحد العلمي» ـ بتعريف محدد في المنظومة الغربية باعتبارها السباقة إلى تعيين الاسم، غير أن التراث الإسلامي وضع معايير هي من صميم «علم اجتماع العالم» ولو لم يسمه؛ لأن تصنيف العلوم حدث بعد ذلك، فوضع معايير وشروط في المفسر وفي راوي الحديث.

ويتناول هذا العلم أيضا العلاقة بين العلماء، وقد شهد التراث الإسلامي تداولا معرفيا ونقاشا علميا رفيعا بين العلماء باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم ودون الفصل بين الحياة الشخصية والحياة العامة، بالمقارنة مع المنظومة المادية الغربية التي

تفصل بين ما هو ذاتي في العالِم وهو غير محاسب عليه وبين ما هو موضوعي هو الحَكَم في التفاضل بين العلماء.

ويبقى العالِمُ المحورَ في العلاقة بين «المتحد العلمي» و«النموذج المعرفي»، بانتمائه إلى «كُلٍّ اجتماعي» يؤطره النموذج، فيسهم في تطويره بأسئلته ونقده، ولا يمكن أن يبقى عالِم دون نموذج معرفي يصدر منه، فهو إما أن يختاره طواعية أو أن ينسجم معه دون وعي منه أو أن يجمع بين نماذج معرفية متناقضة وهو لا يدري، وهو ما نجد آثاره لدى بعض الباحثين المذبذين في كتاباتهم وفي أفكارهم.

- ما دلالة العالم في المنظومة التوحيدية وما هي أدوراه، وما هي طبيعة العلاقة التي تجمع العلماء ضمن «المتحد العلمي»؟
- وهل توجد مؤشرات لقياس هذه العلاقة وتقييمها وبالتالي نقدها وتحسينها؟
- وما هي خصائص الحركية بين العلماء في «المتحد العلمي»؟

هي أسئلة نحاول التعرض إليها في هذا الفصل ضمن ثلاثية: «المتحد العلمي»، و«النموذج المعرفي» والعالِم.



المبحث الأول دلالة المتحد العلمي

المطلب الأول: ترجمة مفهوم (Scientific Community) إلى العربية

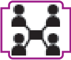
عرفت ترجمة مصطلح (***Scientific Community***) تباينا في نحتها، واختلافا في تحديد مقابلها؛ ولو نقّبنا واستقصينا في اختيار ترجمةٍ وترجيحها على أخرى لما حصلنا على فائدة ذات شأن؛ لأن المصطلح الأصل ولد في سياق غربي من حيث المبنى، رغم استعماله معنىً في سياق التراث المعرفي الإسلامي بقرون قبل ذلك[1]؛ في بيت الحكمة في بغداد، أو في المراكز الإسلامية المماثلة له، حيث إن هذه المراكز تمثل «أول بيوت خبرة في العالم، وهي أشبه بشبكة من الحسابات تستخدم مجموعة منسقة ومتشابكة من العقول البشرية، بدلا من الأجهزة»[2]، والإشارة إلى «مجموعة منسقة ومتشابكة من العقول البشرية» هو تعريف للمصطلح، وسنتعرض له لاحقا بشيء من التفصيل.

يتنوع المقابل العربي للمصطلح حسب اختيار المترجم، فمثلا شوقي جلال في ترجمته لـ«بنية الثورات العلمية» الصادر

---

(1) ويرى د. محمد باباعمي أن «**الجماعة العلمية**» (scientific community) «هو مصطلح جديد قديم، قديم بمعناه وبحقيقته، جديد بمبناه وبتفصيلاته والتفريعات التي وردت على إثره».باباعمي؛ محمد، محاضرة «**الجماعة العلمية**»: **حلقات بذور الرشد من الفكر إلى الفعل**: «**الجماعة العلمية**» 1، https://youtu.be/V7l-TC3AWCc، قناة: veecos.tv، جوان 2012، المشاهدة: 2018-04-07، 10:20.

(2) مورجان؛ مايكل هاميلتون: **تاريخ ضائع، التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفنانيه**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2008، ص:88.



ضمن سلسلة عالم المعرفة[1] يتناوب في الاستعمال بين مصطلحي «الجماعة العلمية» و«المجتمع العلمي»، أما حيدر حاج إسماعيل[2] فيستعمل «المتحد العلمي»؛ وترجمة شوقي جلال هي الأسبق زمنيا، ومع ذلك لا نقرأ أي إشارة إلى الجهد السابق رغم أن الترجمة هي لنفس الكتاب بخاصة في ضبط المصطلح وتحديده.

وفي الأدبيات العربية نقرأ تنوعا في الألفاظ المترجمة من بينها: «الجماعة العلمية»[3]، «المتحد العلمي»[4]، «المجتمع

---

(1) كون؛ توماس.س، **بنية الثورات العلمية**، تر: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، ديسمبر 1992، مثلا الصفحات: 21، 33، 141، وغيرها.

(2) كون؛ توماس.س، **بنية الثورات العلمية**، تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة بيروت-لبنان، ط.1، سبتمبر 2007، مثلا الصفحات: 56، 102، 112، وغيرها.

(3) دوبوا؛ ميشال، **مدخل إلى علم اجتماع العلوم والمعارف العلمية**، ترجمة: سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان، 2008. ساري حنفي وريغاس أرفانيتس، **البحث العربي ومجتمع المعرفة: رؤية نقدية جديدة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط.1، فبراير2015. وبامية؛ محمد، **التقرير الأول للمرصد العربي للعلوم الاجتماعية، العلوم الاجتماعية في العالم العربي: أشكالا لحضور** 2015-، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت - لبنان، ديسمبر 2015. وباباعمي؛ محمد، **العلم والعالم، في نظرية العلم والإدراك على ضوء نموذج الرشد**، كتابك للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 1435هـ/2014، وباباعمي؛ محمد، **في حب كلام الله، تفسير القرآن الكريم من موشور بذور الرشد**، كتابك، الجزائر، ط.1، 1438-2018، وكذا محاضرته: «**الجماعة العلمية**»: **حلقات بذور الرشد من الفكر إلى الفعل**: «**الجماعة العلمية**» 2، https://youtu.be/7UlL2X7IqY0، قناة: veecos.tv، جوان 2012، المشاهدة: 07-04-2018، 11:20.

(4) كون، تر: حيدر حاج إسماعيل، **بنية الثورات العلمية**، وباباعمي، **في حب كلام الله**.

العلمي»[1]، ومفاهيم قريبة من حيث الدلالة؛ رغم أنها ليست ترجمات مباشرة لها من مثل: «المختبر العلمي»، «فريق البحث»، «المنظمة البحثية»، «الشبكة البحثية»، «مركز التفكير»، «مجتمع المعرفة»، «خزان الأفكار»، «الجمعية العلمية»، «جماعة أو مجموعة البحث»، «الجماعة المرجعية»، «مركز البحث»... إلخ.

ونجد مفاهيم أخرى لها علاقة بالمصطلح من حيث كونها تساعد على دراسته في مستويين: التنظير أو التفعيل من مثل: «ديناميكية الجماعة أو المجموعة»، «العمل الجماعي»، «فريق العمل»، «العمل الجمعي»، «العقل الجمعي أو العقل الجماعي»، «تماسك الجماعة»، «علم اجتماع العالم»، «علم اجتماع الاختراع».. إلخ.

هذا الثراء في شبكة المفاهيم المرتبطة بالمصطلح موضوع بحثنا وتنوعها يضطرنا للبحث عن مخرج من إشكالية الترجمة الدقيقة، وفي هذا سنعتمد منهج استعمال «الزمر المصطلحية» الذي وظفه محمد باباعمي في كتابه «الزمن والوقت»[2]، و«العناقيد الاصطلاحية» التي ترجمها سعيد الغانمي لـ«***clusters of words***»[3]

(1) ساريو أرفانيتس، **البحث العربي ومجتمع المعرفة**، وترجمة شوقي جلال لـ«بنية الثورات العلمية».

(2) باباعمي؛ محمد، **الزمن والوقت نصوص ومفاهيم مؤسسة على الرؤية الكونية لفكر الأستاذ فتح الله كولن**، دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول - تركيا، ط.1، 1434/2013، ص:19.

(3) «clusters of word» and «cluster of entries» - Bennett; Tony et al., New keywords: a revised vocabulary of culture and society / edited by Tony Bennett, Lawrence Grossberg, Meaghan Morris, Blackwell Publishing Ltd, 1st Edition, 2005, P: xviii and P: xxii



كما وظفها طوني بنيت وزملاؤه في كتابهم: «مفاتيح اصطلاحية جديدة»[1].

ف«الزمرة المصطلحية» «هي بمثابة جذور مفتاحية تندرج ضمنها مصطلحات من نفس الزمرة، وهذه المصطلحات ألفاظ مفتاحية مترادفة شارحة أو لصيقة بعضها ببعض؛ وتحت كل مصطلح نقرأ «المفاهيم»، وهي صيغ موسعة، تحمل صورة لغوية ومعنى دلاليا كاملا»[2]، أما عن تنظيم «العناقيد الاصطلاحية» - التي جاء التأليف فيها عن طريق مقالات تتراوح بين المتوسطة والطويلة - فيشير المحررون أن الهدف هو «أن يتابع القراء ويتأملوا في التفاعلات والانقطاعات وشبهات الاقتران التي شكلت ما سماها وليامز بـ«التكوينات الخاصة للمعنى»... حتى تكون الروابط التي نعقدها بين الكلمات، والأهمية التي تكتسبها، والسياقات التي ترد فيها، موضوعا للتنوع»[3].

إلا أن مكونات الزمرة قد تختلف بحسب «المنظور» المستعمل؛ فقد تجمع الزمرة مجموعة من المصطلحات التي تتناقض مع بعضها بالضرورة إذا وُجِّه إليها المنظور من زاوية أخرى؛ ف«مراكز التفكير»، و«خزانات الأفكار»، و«نوادي التفكير والتأثير»، و«النوادي الاستشارية» قد يُرى إليها على أنها تختلف عن زمرة «مراكز البحوث الجامعية»،

(1) بينيت؛ طوني وآخرون، ترجمة: سعيد الغانمي، **مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان، ط.1، 2010، ص:35.

(2) باباعمي؛ محمد: **الزمن والوقت**، ص:21.

(3) بينيت وآخرون، ص:26.

و«الجمعيات العلمية»، و«المخابر الدراسية»؛ في خاصيتين:

«**الخاصية الأولى**: بينما هدف الأولى هو التأثير، في مجتمع وعالم يركز كثيرا على التأثر والتأثير؛ فإنّ هدف النوع الثاني هو البحث العلمي المجرد، ولا يقصد التأثير لذاته، بل هو تابع.

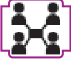
الخاصية الثانية: مستوى الخصوصية والأصالة والإبداع؛ ذلك أنَّ «خزانات التفكير» تميل إلى «سلطة ذاتية» معرفية، ذات أبعاد مختلفة، ومخطَّط واضحٍ؛ أمَّا «مراكز البحث» العامة، فهي أميَل ما تكون إلى التشاركية والمشاركة في صناعة المعرفة، وصياغة الحل العلمي للحاجات المختلفة الملحة»[(1)]، إلا أننا من منظور البحث الذي يسعى لدراسة التجمع البشري المنظم والموجه من أجل المعرفة وإنتاجها فإننا نراها تشكل زمرة واحدة.

وبهذا فعند الحديث عن المصطلح الإنجليزي وما يقابله في اللغة العربية وما يقاربه من مصطلحات؛ نجدها تندرج تحت جذر ناظم هو «جمع» وتحتها تندرج المصطلحات القريبة مبنى ومعنى، أو معنى فقط مما سبقت الإشارة إليه.

وفي هذا البحث وضمن زمرة «الجماعة العلمية» (***Scientific Community***) سأعتمد مصطلح «المتحد العلمي» للحديث عن كل اجتماع يضم «مجموعة منسقة ومتشابكة من العقول البشرية»؛ فهو الأكثر تداولا في أدبيات نموذج الرشد، إضافة إلى صيغة «الجماعة العلمية» أما الصيغ الأخرى، فقد تم الاستغناء عنها.

---

(1) باباعمي؛ محمد، **في حب كلام الله**، ص:224.



المطلب الثاني: زمرة «المتحد العلمي».. محاولة التعريف

من التحديات التي تواجه الباحث في التراث المعرفي العربي تقصي تاريخية مفردة ما، ومعرفة ظروف نشأتها واتباع خط سيرها وتطورها، ولو حاولنا تحديد ظهور مقابل لمصطلح (*scientific community*) فإنّنا سَنَتيهُ ولا نجد معالم مرجعية تبين لنا الطريق.

يرجع ذلك إلى عدة أسباب منها:

أننا نفتقد في اللغة العربية التي نترجم إليها إلى معاجم لتاريخية المفردة العربية[1]، وقد يصل الباحث إلى بغيته من خلال البناء على بحوث سابقة، لكن يبقى هذا العمل مستنزفا للوقت والجهد.

ومن بين الأسباب الأخرى افتقاد اللغة العربية في عصرنا إلى

---

(1) وقد أشار سعيد الغانمي لهذه النقطة في تقديمه لترجمة كتاب: **مفاتيح اصطلاحية جديدة**، ص:20.
ونحن ننوه بالعمل المشكور الذي يقوم به «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» بإطلاقه مشروع بناء معجم تاريخي للغة العربية؛ حيث يرصد ألفاظ اللغة العربية منذ بدايات استعمالها في النقوش والنصوص، وما طرأ عليها من تغيّرات في مبانيها ومعانيها داخل سياقاتها النصية، متتبّعا الخط الزمني لهذا التطور. ويجري إنجاز المعجم على مراحل، وأنجزت المرحلة الأولى الممتدة منذ أقدم نص عربي مُوثّق إلى نصوص العام 200 للهجرة. ينظر الموقع:
.https://www.dohadictionary.org

مجامع لغوية توحد المصطلح المترجَم، فنجد غالبيتها متأثرة بلغة المستعمر[(1)]، مما يضع الباحث بين خيار أن يترجم بنفسه فيختار «مفردة تتطابق مفهوميا مع المعنى الأساسي، لكنها قد تختلف كثيرا في المعاني الثانوية»[(2)] مما يضيف تشويشا آخر على توحيد المصطلح المترجَم[(3)]، أو أن يعتمد ترجمة جارية قد يقبلها اللغويون لكن على مضض[(4)].

وهنا تزداد الحاجة الأكيدة إلى «الجماعة العلمية»، لأن المواضيع تتشعّب في الواقع، والخرق يتسع على الراقع، فالترجمة مؤشر على «المنسوب الحضاري» للأمة، واللغة وعاء يساير تطورها، وبهذا يكون دور علماء اللغة مفرقيا في الحضارة لأنهم يعتبرون المصفاة من الشوائب في الثقافة العربية[(5)]، فالمصطلحات المترجَمة تحمل تحيزا للسياق الذي ولدت فيه وتصطبغ بتحيز من صاغها[(6)].

يرى «ستروان جاكوبس» (***Struan Jacobs***) أن مصطلح

(1) باباعمي؛ محمد، **أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي مقارنة بالفكر الغربي**، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، ط.1، 2006، ص:34.

(2) الغامدي، م.س، ص: 19.

(3) ينظر في إشكالية ترجمة المصطلح: النملة؛ علي بن إبراهيم الحمد، **إشكالية المصطلح في الفكر العربي؛ الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات**، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت - لبنان، ط.1، 1431هـ/2010م، ص:13 وما بعدها.

(4) الغامدي، م.س، ص:18.

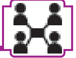
(5) م.س.ن.

(6) المسيري، **الثقافة والمنهج**، ص:338.

فقد[1] ليس من سكّ توماس كون (***Scientific Community***) تحدث عنه قبل ذلك كل من: «تشارلز ساندرس بيرس» (***Charles Sanders Peirce***)، و «جوسيا رويس» (***Josiah Royce***)، و«بولانيي» (***Polanyi Michael***)؛ فتعرض له «بيرس» تلميحا ولم يستعمله، بينما يعتبر «جوسيا رويس» أول باحث يستعمل المصطلح صراحة، لكن دون ذكر تفاصيل عنه من مثل البنية التي يتشكل منها، وسلطته ونشاطاته، أما «بولانيي» فيُعتبر أول منظّر يصف بشكل مفصل ومباشر طبيعة نشاط «المتحد العلمي» ـ مع اشتمال المصطلح على البعد السياسي ـ في ورقةِ محاضرةٍ له بعنوان «الحكم الذاتي للعلم» ألقاها سنة 1942، وقد تأثر

(1) وقد أشار إلى ذلك توماس كون نفسه في مقدمة كتابه **بنية الثورات العلمية** بالقول: «...تعرفت على الكتاب الصغير غير المعروف تقريبا الذي وضعه لودفيك فليك (Ludwik Fleck) بعنوان: Entstehung und Entwicklung einer Wissenschaftlichen Tatsache (صدر بازل في عام 1935)، وفيه محاولة تشمل، على مستوى التوقع، الكثير من أفكاري. هذا، بالإضافة إلى ملاحظة قدمها لي زميل جديد آخر هو فرانسيس ساتون (Francis X. Sutton) حول كتاب فليك جعلتني أدرك أن تلك الأفكار لا بد أن تنتميَ إلى «سوسيولوجيا المتحد العلمي» [sociology of the scientific community]. ومع أن القراء سيجدون أدناه إشارات قليلة إلى هذه الأعمال أو المحادثات، فإنه لا بد لي أن أذكر أني مدين لها بأشكال أكثر من أن أستطيع الآن وضعها وتقييمها»، كون، **بنية الثورات العلمية**، تر: حيدر حاج إسماعيل، ص:41. والنسخة الإنجليزية من الكتاب:

Kuhn; Thomas S., The Structure of Scientific Revolutions, International Encyclopedia Of Unified Science, second edition, enlarged, 1970, The University Of Chicago Press and London. volume 2 • number 2. P: vii.



«توماس كون» به في صياغته للمصطلح[1].

واعتبر «لودفيك فليك» أن اجتماع شخصين اثنين أو أكثر يتبادلون الأفكار ويتداولونها؛ يؤسسون ما أسماه بمجموعة أو جماعة الفكر (*Thought Collective or Community*) وهي كيان اجتماعي يضم أعضاء واعين بمهمتهم، على أنها غير مقتصرة على المجموعات العلمية بل تضم أيضا الجماعة العسكرية، والسياسية، والدينية، والرياضية، والفنية،... إلخ.

وفي هذا اختلاف بيِّن بين «مجموعة أو جماعة الفكر» (*Thought Collective*) و«الجماعة العلمية» (*Scientific Community*).

وفي بعض الأحيان يستعمل «لودفيك» مصطلح (*Scientific Community*) لكنه لا يقصد به التعريف المتفق عليه، ويستعمله مفهوما اجتماعيا في تحليله[2].

تنتمي زمرة «المتحد العلمي» ـ محل الدراسة في هذا البحث ـ إلى «الحقل المعرفي» الذي يعنى بدراسة الجانب الاجتماعي للعلم وتطوره أو «علم اجتماع العلوم»[3]، وكذلك الجانب

(1) JACOBS; STRUAN, Models of scientific community: Charles Sanders Peirce to Thomas Kuhn, INTERDISCIPLINARY SCIENCE REVIEWS, Published by Maney on behalf of the Institute of Materials, Minerals and Mining, Australia, VOL. 31, NO. 2, 2006, PP: 163-171.

(2) Ibid., 165-167 and 172.

(3) باباعمي؛ محمد، محاضرة «**الجماعةالعلمية**»: «**الجماعة العلمية**» 1.



الاجتماعي لحياة العالِم والذي يسمى: «علم اجتماع العالم»، أو «علم اجتماع المثقفين»، أو «علم اجتماع الاختراع» إلى غير ذلك من التصنيفات التي تفرعت من «علم اجتماع العلوم»، فهو حقل يدرس تطور العلم باعتبار التفاعل الاجتماعي للعالم مع بيئته و«وعائه الحضاري»[1]، كونه إنسانا له مشاعر وأحاسيس لا مجرد آلة صماء؛ «فيشكل التأسيس المعياري «للجماعة العلمية» الموضوعَ الدراسيَّ بامتياز لـ«علم اجتماع العلوم» الذي يستلهم «التراث المرتوني»[2]. حتى إن «و.ن.ستورر (***Storer***)» يذهب في دراسته عن «النسق الاجتماعي للعلوم» إلى القول إنه الموضوع

---

(1) نموذج الوعاء الحضاري من مفاهيم نموذج الرشد «يعالج ما هو خارج إرادة الإنسان مما لم يختره هو، فهو كلُّ ما يؤثِّر في مسير الإنسان ومصيره - الدنيويِّ - أكيدا، والأخروي أحيانا: هو جغرافيتُه، وتاريخُه، ومحيطُه، وبيئتُه، وخصائصُه الموروثة، وأحداثُ عصره، والمؤثرات في فكره، والمحركات لمشاعره...»، باباعمي؛ محمد، **الوعاء الحضاري منطق البحر والأمواج أو السباحة ضد التيار**، كتابك للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 1436هـ/2015، ص:34.

وفي هذا المعنى يقول مالك بن نبي: «الفرد مقيد مقدما وإلى حد كبير بالظروف التاريخية والجغرافية، التي تفرض شروط حياته قبل أن تشرطها مواهبه الشخصية، وأن حظه مرتبط مقدما بالقانون العام الذي يسيطر على حياة كل فرد ينتسب إلى (الوحدة) التاريخية التي ينتسب إليها هو، وذلك مهما كانت معادلته الشخصية». بن نبي؛ مالك، **مشكلات الحضارة: تأملات**، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط.10، 1433هـ/2012، ص:112.

(2) يُرى إلى مرتون على أنه واضع أسس «علم اجتماع العلوم»، ينظر:

Dubois; Michel, From Discovery to Invention, Sociological study of academic correspondence, Revue européenne des sciences sociales, 2014, p: 9.

الجدير بالاهتمام في هذا الفرع»[1].

المُتَّحَدُ[2] هو اسم مكان مشتق من اتّحد [أ ح د، و ح د]، (فعل: خماسي لازم، متعد بحرف)، والمصدر اتحاد. و«يصاغ اسم المكان، مما فوق الثلاثي، من المضارع المجهول بإبدال حروف المضارعة ميما مضمومة»[3] (يُتّحَد: مُتّحَد)، ومن معانيه في معجم «المعاني الجامع»، وقاموس «المعجم الوسيط»: الاجتماع، الاتفاق، الاندماج؛ وعليه يكون المتَّحد مكان حصول المعاني السابقة من اجتماع واتفاق واندماج.

أما المجتمَع فمن [ج م ع]. وتعني مكان الاجتماع[4]، كما تعني الهيئة الاجتماعية أو الجماعة من النَّاس تربطها روابط ومصالح مشتركة وعادات وتقاليد وقوانين واحدة[5]، وهو «مفهوم غير مؤصل معرفيا، ولا نجد له حضورا في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية، ولعل العهد الاشتراكي هو الذي أحلَّ المجتمع بديلا عن غيره في الجزائر، بخاصة ما بين بداية الستينيات ونهاية

---

(1) دوبوا، ص:132.

(2) استعمل خليل أحمد خليل «المتحد» مرادفا لـ«Communauté» الفرنسية، و«Com-munity» الإنجليزية، و«Gemeinschaft» الألمانية: في تعريبه لموسوعة لالاند، ينظر: لالانـد؛ أنـدريه، **موسوعة لالانـد الفلسفية**، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان - باريس، فرنسا، ط.2، 2001، ص:183.

(3) الأسمر؛ راجي، **المعجم المفصل في علم الصرف**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1418هـ/1997، ص:137.

(4) المعجم الوسيط ومعجم الرائد ومعجم المعاني الجامع.

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة، ومعجم الغني ومعجم المعاني الجامع.

السبعينيات»[1].

والجماعة وجذرها [ج م ع]، تعني في معجم «المعاني الجامع»: فرقة، مجموعة، زمرة، طائفة من الناس يجمعها غرض واحد، منها «جماعة أبولّو» الأدبية، وجماعة الإخوان، وكذا جماعة الضغط والجماعة التكفيرية... إلخ.

استعمل مصطلح الجماعة (***community***) في التراث الأنجلوسكسوني «لأول مرة في القرن الرابع عشر للإشارة إلى «هيئة ممثلي الشعب» أو كيان اجتماعي أو سياسي (...) ومنذ ذلك الحين صارت الكلمة تستخدم استخدامات متنوعة لتدل على الرفقة (...) أو الملكية المشتركة، أو الدولة أو المجتمع المنظم، أو الهوية المشتركة، أو المصالح المتداخلة. واستنادا إلى هذا يتحدث الناس عن جماعة علمية، أو أكاديمية، أو قانونية، أو دينية، أو جماعات عمل»[2].

يوافق علي عزت بيجوفيتش «فرديناند تونيز» (***Ferdinand Tönnies***)[3] بصفة عامة في تفريقه بين المجتمع

(1) باباعمي؛ محمد، **الصدق في العمل الاجتماعي**، سلسلة ما بأنفسهم، مكتب الدراسات العلمية، الجزائر، ط.1، 1425هـ/2004.

(2) بينيت وآخرون، ص:244.

(3) عالم اجتماع ألماني (1855-1936) عرف بنظريته الاجتماعية التي حاولت التوفيق بين المفاهيم العضوية للمجتمع والعقد الاجتماعي (موسوعة بريتانيكا Britannica).

والجماعة[1][2]، حيث يعطي للأول الجانب السلبي من حيث إن المجتمع هو مجموعة خارجية من أفراد مجهولين تجمعهم المصلحة وتفرقهم، وتحكمهم قوانين الأصلح، وقوانين التبعية والاستغلال.

بينما يرى في الجماعة أنها مجموعة داخلية من الناس تجمعهم مشاعر الأخوة والثقة والشعور بالانتماء؛ وعلاقتهم قائمة على أساس تلبية المطالب الروحية؛ من إقامة للعدل، وتبادل المعونة

---

(1) ينظر القسم الأول: **تصنيف عام للأفكار المفتاحية**، ص:83 وما بعدها، تونيز؛ فرديناند، تونيز: **الجماعة والمجتمع المدني**، تحرير: جوزيه هاريس، ترجمة: نائل حريري، مراجعة: سعود المولى، نشر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر - بيروت - لبنان، ط.1، 2017.

(2) وهي النظرية الاجتماعية التي تسمى (Gemeinschaft und Gesellschaft) أو (Community and Society) أي الجماعة والمجتمع، قابل فرديناند تونّيز (كيل Kiel) جماعة (Gemeinschaft) ومجتمع (Gesellschaft). «يعد جماعة، في ابتكارات البشر الفكرية أو في تمثلهم الاجتماعي، كل ما هو طبيعي أو فطري، ويعد مجتمعا، كل ما هو نتاج الصنعة» (بمعنى تقنية اجتماعية منظمة)... هذا هو الفارق، مثلا، بين المقايضة والتجارة، بين الضيافة الودية والصناعة الفندقية... إلخ». لالاند، ص:183.

وقد اعتبرت موسوعة بريتانيكا (Britannica) أن الخلط بين ثنائية تونيز شكّل فشلًا في فهم أن هذه النظرية تصف نماذج مثالية وليست تقسيما أو تصنيفا. موقع:
https://www.britannica.com/topic/Gemeinschaft-and-Gesellschaf-t#ref116857، المشاهدة بتاريخ: 26-07-2018، 17:34.

ويمكن الاطلاع على ملخص كتاب تونيز «**الجماعة والمجتمع**» الذي أعدّه د.السيد محمد بدوي، من موقع: https://up.top4top.net/downloadf-399od-vy91-pdf.html، تاريخ الاطلاع: 26-07-2018، 17:39.



والتضامن[1].

بينما يستعمل مالك بن نبي المفهومين للدلالة على التكامل بينهما؛ فالجماعة محتواة في المجتمع إذا علمتْ هدفها وسارت في إثره لتحقيقه، مع اتسامها بالتنظيم وإنتاج وسائل التغيير، ومع ضرورة وعيها بقيمة اجتماع أفرادها والسعي للمحافظة عليه، وليس فقط تجميعا للأشخاص[2]، حيث يقول: «المجتمع هو: الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير (...) فهو ليس مجرد مجموعة من الأفراد، بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقا لنظام معين»[3]. و«تكسب الجماعة الإنسانية صفة (المجتمع) عندما تشرع في الحركة، أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها. وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة»[4].

---

(1) بيجوفيتش؛ علي عزت، **الإسلام بين الشرق والغرب**، تر: محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات، ميونيخ - ألمانيا، ط.2، 1997، ص:250-251.

وينظر أيضا: بيجوفيتش؛ علي عزت، **الإعلان الإسلامي**، تقديم وترجمة: محمد يوسف عدس، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط.1، 1430هـ/2009، ص:97.

(2) ينظر: بن نبي، **تأملات**، ص:157.

(3) بن نبي؛ مالك، **مشكلات الحضارة: ميلاد مجتمع - الجزء الأول: شبكة العلاقات الاجتماعية**، دار الفكر، دمشق - سوريا، الإعادة السادسة، 1427هـ/2006، ص:17.

(4) م.س، ص:17-18.

أما إذا أضفنا صفة العلمية للزمرة: «المتحد العلمي»، «الجماعة العلمية»، «المجتمع العلمي»، فإنه يقصد بها مجموعة من العلماء يتشاركون «أزمة معرفية» واحدة إما اقتصارا على المكان دون الزمان أو العكس[1]، أو جمعا بينهما مكانا وزمانا؛ يحاولون الإجابة على أسئلتها «وهم قد اجتازوا تربية تعليمية مماثلة وقبولا مهنيا بمقدار لا يوازيه مقدار في معظم الحقول الأخرى. وخلال العملية، تشربوا الأدب التقني ذاته وحصّلوا الدروس ذاتها منه»[2].

إلا أن شرط «تشرب الأدب التقني الموحد» و«تحصيل الدروس منه» لم يعد شرطا حديا كما كان في عهد «توماس كون» حين ألّف كتابه «بنية الثورات العلمية» وحين نقحه وأضاف إليه، ففي «الوقت الراهن أصبح الحديث عن الجماعات العلمية البَيْن ـ تَخَصّصية أو البينية[3]، أي بين تخصصات متعددة، كل حسب تخصصه، وحسب قدراته، وحسب مستواه»[4]، فأصبح «المتحد

(1) ونقصد به «الجماعة العلمية الافتراضية»، ينظر: آخر المطلب الثاني من هذا الفصل.

(2) كون، **بنية الثورات العلمية**، تر: حيدر حاج إسماعيل، ص:293.

(3) interdisciplinary.

(4) باباعمي؛ محمد، محاضرة «الجماعة العلمية»: «**الجماعة العلمية**» 1.
وينظر أيضا:
El Kenz; Ali and Waast; Roland, **Sisyphus or the Scientific Communities of Algeria: Scientific Communities in the Developing World**, Edited by: jacques Caillard, et. Al, Sage Publications, New Delhi- India/ Thousand Oaks, London- UK, 1997, p: 20.



العلمي» عبارة عن «وحدة أكاديمية أو غير أكاديمية داخل مبنى حكومي أو خاص؛ عبارة عن مبنى مادي يضم مختبرات وفصولا دراسية وما شابه ذلك؛ أو مجموعة من العلاقات الاجتماعية والمهنية بين الأفراد، ورغم هذا التنوع والاختلاف، فإنها وإلى حدٍّ ما تتشارك هوية جماعية»[1] تتمثل في قيم مشتركة «يمكن أن تكون محددات مهمة لسلوك الجماعة؛ حتى ولو لم يطبقها أعضاء المجموعة جميعهم بالطريقة نفسها»[2].

بل «المتحد العلمي» قبل ذلك هو حديث عن «ملكات ذهنية، واستعداد فطري وكسبي، للعمل ضمن مجموع»[3] بما يستوجب من انسجام ونظام؛ اتباعا للفطرة التي يجد الإنسان آثارها فيما حوله مما ذرأه الله في هذا الكون، فهو يعيش في عالم يتّسم بالانسجام بين أشيائه وحوادثه جبرا واضطرارا، بينما هو يسعى للانتظام إرادة واختيارا؛ وهو في سبيل بلوغ هذا المقصد لا بد له من إعلاء ميول الخير في نفسه واجتثاث جذور الالتفات إلى الشر منها[4]، وتقديم مصلحة الغير على مصلحة الفرد؛ وهذه

---

(1) Cahan; David, **From Natural Philosophy to the Sciences Writing the History of Nineteenth-Century Science: Institutions and communities**, ed: Cahan David, THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS, USA, 2003, p: 293.

(2) كون، ص:305.

(3) باباعمي، محاضرة «الجماعة العلمية»: «**الجماعة العلمية**» 1.

(4) ينظر: كولن؛ محمد فتح الله، **ونحن نقيم صرح الروح**، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، ط.4، 1428هـ/2008، ص:100.

مناقضة لصفة النفعية[1] التي تسم العلم في المجتمع العلمي الغربي عموما في تعامله مع «الآخر» غير الغربي، والذي لا يستطيع الإجابة عن السياقات غير العربية وغير الإسلامية[2]؛ مما يضطرنا إلى إعادة التعريف واعتماد معايير من داخل التراث الإسلامي حتى لا نتنكر لجهود علماء همشت لأنها لم تَرْقَ إلى معايير متحيزة لمنظومة مغايرة[3].

إن أحد أدوار «المتحد العلمي»، زيادةً على دعم التعاون بين الأعضاء، هو تحفيز المشاركة في «الجدل العلمي»[4] مما يزيد في ديناميكية العلم وفي تطويره، وإنشاء «محافل للمناقشة» وهو

---

(1) النفعية «تعني المصلحة والأثر والآني والمقابل المحسوب للبشر، وقد سك نموذج الرشد مصطلحا مقابلا له وهو "النافعية" والذي يتوخى الأثر الماديّ والمعنويّ، الدنيويّ والأخرويّ معاً؛ باعتبار أن كل علم لا يتحوَّل إلى فعل وحركية؛ ولا يسهم في إسعاد البشرية دنيا وآخرة، ولا ينفع خلق الله هو لغو وعبث وردٌّ»، ينظر: باباعمي، **العلم والعالم**، ص:24.

(2) هذا الحكم أخذته من د. محمد باباعمي في لقائي معه حول الموضوع في نوفمبر 2017 بمعهد المناهج، الجزائر العاصمة.

(3) «لقد كتب بيار بورديو أن «التوحيد يفيد المهيمن» (standardization benefits the dominant)، وبهذه التصنيفات يريدون ترسيخ فكرة مفادها أن ثمة قياسا يناسب كل شيء، بشكل مستقل عن المضمون، والتوجه، والموقع أو الموارد، فبدلا من التفكير في الجامعات كمؤسسة اجتماعية تناسب سياقا معينا، من حيث البيئة (ecology) (تنوع حيوي يتكيف مع بيئتها)، فإنه يفكر فيها من حيث التدرج الهرمي (hierarchy) (كيفية تحقيق اللقب «الأفضل» عند التنافس ضد جامعة هارفارد ذات الوقفية الـ41 مليار دولار)». ينظر: ساريو أرفانيتس، **البحث العربي ومجتمع المعرفة**، ص:129.

(4) ينظر: ساريو أرفانيتس، ص:154 و ص: 157-159.



إحدى العمليتين المرتبطتين بمفهوم «المتحد العلمي»[1]، فبيت الحكمة في بغداد شهد نوعا من «الذكاء الجماعي» بين العلماء من خلال المناقشات التي حدثت بينهم والاقتباسات المتبادلة، ويرى مايكل هاميلتون أنه قد وقعت بينهم أيضا سرقات وتنافس من أجل إقناع رعاتهم للحصول على الامتيازات[2]، وفي هذا السياق أيضا نستحضر النقاش الذي وقع بين الإمام الغزالي في تهافت الفلاسفة وابن رشد في تهافت التهافت.

بناء على هذا الملحظ يمكننا إضافة ملمح آخر لتعريف «المتحد العلمي»؛ وهو أن كل تداول أو نقاش علمي جاد ولو بين شخصين[3]، حول أي منتج معرفي تحليلا ونقدا، مباشرة أو عن طريق غير مباشر من مثل المراسلات والمحادثات[4]، بل وعن طريق تواصل بين حقبتين زمنيتين مختلفتين[5] يمكننا

---

(1) م.س، ص:154.

(2) ينظر: مورجان، **تاريخ ضائع**، ص:88.

(3) يرى د. محمد باباعمي ضمن النظرية التي طوّرها «نظرية الانبثاق أو التولّد»، أن الأفراد قد يكونون بسطاء ودون المطلوب، ويتّصفون بصفات لا ترشحهم فرادى لأداء المهمة، ولكن لو تم الربط بينهم بعلاقة متينة بشروط موضوعية وذاتية كما فعل سيدنا محمد ﷺ عندما آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، فإنه ستتحقق «البركة» التي يعبر عنها «الكل أكبر من مجموع أجزائه». ينظر تفصيل الحديث عن هذه النظرية في كتابه: **تيه ورشاد، من القابلية للاستعمار إلى القابلية للرشد، نحو نموذج حضاري بديل**، نشر دار الفكر، دمشق - سوريا، ط.1، 1437هـ/2016، ص:119.

(4) ينظر: Dubois, From Discovery to Invention، ص:10 وص:24.

(5) وهو ما نعني به «الجماعة العلمية الافتراضية». ينظر: باباعمي؛ محمد، **سؤال** =

اعتباره بداية لتشكل نواة «المتحد العلمي».

مما سبق نخلص إلى أن «المتحد العلمي» هو «ملكات ذهنية، واستعداد فطري وكسبي، للعمل الجماعي بين باحثَيْن أو أكثر، من تخصص مشترك أو من تخصصات متعددة، تجمع بينهم قيم مشتركة وعلاقات اجتماعية ومهنية، غير مقيدة زمانا أو مكانا، يحاولون الإجابة على أحجيات «سؤال الأزمة» المشترك ضمن صبغة النافعية للخلق».

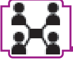
«الجماعة العلمية الافتراضية»

من أشكال «الجماعة العلمية» التي تحقق التداول و«إنتاج المعرفة»، وتضمن التواصل مع الماضي وعدم القطيعة، وتدفع إلى الجمع بين الخيرين؛ «الجماعة العلمية الافتراضية»[1]، فهي

= **الحضارة، هل عاد مالك بن نبي، كما وعد**، كتابك للنشر والتوزيع، ط.1، 1437هـ/2016، ص:86، وأيضا: باباعمي؛ محمد وكوزي؛ طه، **من الكمون إلى الفعل الحضاري، سؤال العلاقة بين الفكر والفعل**، كتابك للنشر والتوزيع، ط.1، 2015، ص:10.

(1) أول من قرأت له عن هذا المفهوم هو د. محمد باباعمي، وبعد قراءتي لمقدمة حيدر حاج إسماعيل في ترجمة «**بنية الثورات العلمية**» لتوماس كون، أخبرته - ونحن في تنقل لعمل بالسيارة - أن هذا المفهوم قد ذكره المترجم أيضا، فقال لي أنه لم يطّلع عليه من قبل. ينظر: **بنية الثورات العلمية**، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، ص:7-8. وهذا يُذكِّر بـ«توارد الأفكار» عند عبد الوهاب المسيري، ينظر كتابه: **الثقافة والمنهج**، ص:252.

«الجماعة العلمية الافتراضية»، و«الجماعة العلم-عملية»؛ إجراء عملي حين تعذَّر بناء «الجماعة العلمية»؛ وخطوة مرحلية، مارسها «مكتب الدراسات العلمية» في بداياته، ثم كتب لـ«الجماعة العلمية الافتراضية» أن يتطور إلى مفهوم راسخ مؤصّل، =



جماعة لا تتشكل من ذاتها، ولكن ينسج العلاقة بين أطرافها من يؤمن أن «الخيرية رهينة بصفاتها»، فيجمّع لها أصحاب الهم الواحد والفكر المشترك، «حتى وإن لم يكتب لهم أن يعملوا على صعيدٍ واحد»[1]، وسواء كانوا من الأحياء أم من الأموات[2].



= وأن يخفت مصطلح «الجماعة العلم-عملية»؛ فلم يتمّ تشغيله ولا تفعيله.

(1) باباعمي، **سؤال الحضارة**، ص:86.

(2) ينظر: دوبوا، ص:133.

المبحث الثاني «النموذج المعرفي» و«المتحد العلمي»

اعتبرنا في المبحث السابق من بين الأجزاء المكونة لتعريف «المتحد العلمي»: أن «تجمع بينهم قيم مشتركة وعلاقات اجتماعية ومهنية، غير مقيدة زمانا أو مكانا، يحاولون الإجابة على أحجيات سؤال الأزمة المشترك، ضمن صبغة النافعية للخلق»[(1)]، هذا الاشتراك في «القيم» و«العلاقات» و«الأحجيات» و«الأزمة المشتركة» هي ما يشكل «البراديم» أو «النموذج المعرفي» الواحد.

وصياغة تعريف حدي للنموذج ليس بالأمر الهين كما هو الحال أيضا في تعريف المفاهيم المترجمة الأخرى، كونه لم ينضبط في اللغة الأصل، فتنوعت ترجمة (***paradigm***) بين النقل الحرفي إلى العربية مثل «باراديغم»[(2)] و«براديغم»[(3)]، أو «بارادايم»[(4)] ـ حسب اللغة المترجم منها ـ، ومن الترجمات أيضا «النموذج المعرفي»، وغيرها من الترجمات.

وسيكون الاعتماد في هذا البحث على ترجمتي «البرادايم»

---

(1) ينظر التعريف الذي صغته في المبحث السابق، ص:29.

(2) اختار هذه الترجمة سعود المولى في ترجمة كتاب ميشال دبوا، **مدخل إلى علم اجتماع العلوم**.

(3) اختيار حيدر حاج إسماعيل في ترجمة كتاب **بنية الثورات العلمية**.

(4) اختيار باباعمي؛ محمد وكوزي؛ طه في كتبهما، منها: **في حب كلام الله، الوعاء الحضاري**، و**النماذج المعرفية في فكر طارق رمضان**.



وعلى «النموذج المعرفي». ويأتي الاختيار الأول باعتبار أنه يحمل الشحنة المعنوية والجذور اللغوية اللاتينية للمفهوم الأصل في اللغة الإنجليزية[1]، ولتوظيفه ضمن «نموذج الرشد»، وهذا الأخير هو الاختيار الثاني للترجمة.

و«النموذج المعرفي» أداة تحليلية منهجية[2] لفهم تركيبية الواقع والظاهرة الإنسانية والتعامل معها، يصوغها عقل الإنسان (بشكل واع أو غير واع) من كمٍّ هائل من العلاقات والتفاصيل والحقائق[3]، تستند إلى مجموعة من المعتقدات، والعلاقات، والفروض، والمسلمات، وإجابات عن أسئلة كلية[4] ضمن «نسق كامن»[5].

إذًا «البرادايم» يتشكل لدى الإنسان بوعي منه أو بغير وعي، فهو إما أن يصوغ نموذجا يجيب به على أسئلة واقعه المتراكبة والمتراكمة؛ وبهذا يزداد «البرادايم» كثافة وقدرة على التحليل[6]، أو أن يفشل في ذلك فيتخلى عنه صاحبه، أو أن يتبنى نموذجا مصاغا عن وعي منه، أو أن يتفاعل مع الواقع بناء على نموذج

(1) ينظر: كوزي، **النماذج المعرفية**، ص:17.

(2) المسيري، **رحلتي الفكرية**، ص:364.

(3) م.س، ص:366.

(4) للتوسع، ينظر: المسيري، **الثقافة والمنهج**، ص:277.

(5) كوزي، **النماذج المعرفية في فكر طارق رمضان**، مؤسسة كتابك، الجزائر، ط.1، 1435هـ/2014، ص:29.

(6) وقد تحدث عن هذه النقطة أيضا كون، في كتابه **بنية الثورات العلمية**، تر: حيدرحاج إسماعيل، ص:100 و158.

معرفي وهو غير مدرك لذلك؛ فالجهل وغياب المعلومة قد يكون من أهم مكونات «البرادايم»[1].

وصياغة «النموذج المعرفي»[2] ليست مجرد إبداء رأي حول قضية ما ـ على أهمية الرأي ـ، ولكن هو نتيجة يتوصل إليها الباحث بعد فترة طويلة من الملاحظة والتأمل والتساؤل، وتقديم جواب مفترض لكن ليس على أسئلة تفصيلية وإنما على أسئلة كلية توضح العلاقة مع الله والإنسان والكون (الرؤية الكونية)، واختبار هذا الجواب المفترض في الواقع؛ وكلما قدم أجوبة كلما ازداد كثافة وقدرة على التحليل وأصبح «أكثر تفسيرية».

والملاحظ في تاريخ العلم أن «البرادايم» لا يحيا على يد «الفرد المنعزل»[3] ولو ابتدأ كذلك، فقد «يظهر فجأة، أحيانا في جوف الليل، في عقل إنسان مستغرق بتعمق في الأزمة»[4] أو «نفر قليل من الأفراد»[5]، فيجتذب إليه الباحثين والمنشغلين

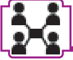
(1) المسيري، **الثقافة والمنهج**، ص:266.

(2) للتوسع، ينظر: م.س، ص:280-282.

(3) يقول مالك بن نبي: «عالم الأشخاص لا يمكن أن يكون ذا نشاط اجتماعي فعال، إلا إذا نظم وتحول إلى (تركيب). والفرد المنعزل - إذا ما أعطينا هذه الكلمة معناها النسبي - لا يمكن أن يستقبل الثقافة، ولا أن يرسل إشعاعها...». بن نبي؛ مالك، **مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة**، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط.4 - إعادة، 2000، ص:64.

(4) شالمرز؛ آلان، **ما هو العلم؟**، ترجمة: لطيفة ديب عرنوق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، 1997، ص:135.

(5) كون، ص:249.



بحل إشكالات بحثية، وكلما استطاع «النموذج المعرفي» تقديم أجوبة على أسئلة الباحثين كلما ازداد تعمقا في الأزمة، وازداد طمأنة للباحثين على النتائج التي يتوصل إليها.

وبهذا، فإن أعضاء «المتحد العلمي» يجمعهم بالضرورة «براديم» واحد يمثل مرجعيتهم، وفي نفس الوقت فإن «البراديم» يتشكل ويتكثف من إسهامات أعضاء «المتحد العلمي» في بنائه[1]، أي إن ميلاد «النموذج المعرفي» متلازم مع تأسيس «المتحد العلمي»، ووجود «المتحد العلمي» شرط في حياة النموذج، وبغير هذا فإن «المتحد العلمي» يفقد البوصلة والمعنى، ويفقد «البراديم» السند والقدرة على تكاليف الحياة.

العلاقة بين «المتحد العلمي» و«البراديم» علاقة تبادلية؛ علاقة تأثير وتأثر. المشتغلون بنموذج معرفي مشترك يخضعون لقواعد ومعايير الممارسة العلمية نفسها[2]، بحدودها المشروعة التي يرسمها النموذج والتي يجب أن تتم الممارسة ضمنها[3]، فَيَقْدِر النموذج على عزل «المتحد العلمي» عن بعض المشكلات المهمة اجتماعيا التي لا يمكن له التعامل معها فكريا وعمليا[4].

ويقوم النموذج بدور «الخريطة المعرفية» للباحثين المشتغلين في إطاره بما يمنحهم من ضوابط وقواعد للتعامل مع الواقع، بل

(1) للتوسع، ينظر: دوبوا، ص:149. وكون، ص:292.

(2) كون، ص:64.

(3) دوبوا، ص:152.

(4) كون، ص:102.

يوفر «لهم أيضا بعض التوجيهات الجوهرية لصنع الخرائط»[1].

ويؤثر أعضاء «المتحد العلمي» في «البراديم» المشترك بما يمنح هذا «البراديم» أعضاء «المتحد العلمي» من دقة وانضباط معرفي فيسهمون في تطويره وصقله؛ بتمكينهم من معيار اختيار مشكلات يفترض أن يكون لها حلول[2]، ومنحهم التركيز على حل مشكلات في مجال «النموذج المعرفي». وخلال فترة نجاح «البراديم» تكون بعض المشكلات قد حُلّت دون توقع من الباحثين فيها، وما كانوا ليصلوا إلى نتائج من دون الالتزام بنموذج معرفي[3].

كما يقوم الباحثون بتكثيف «النموذج المعرفي» وصقله بتجريبه ومحاولة الإجابة على أسئلة الواقع من خلال: التأليف، والمؤتمرات المتخصصة، ومسودات المقالات قبل الطباعة بين العلماء، والتعليم، والأسفار[4]،... وبذلك يزداد عدد الباحثين حوله، وتزيد عدد التجارب، والأدوات، والمقالات، والكتب المبنية على «البراديم»[5]؛ مما يمنحه القدرة على الانتشار والتوسع.

إن محور «النموذج المعرفي» أو «البراديم» هو «سؤال الأزمة»

---

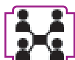
(1) م.س، ص:202.

(2) م.س، ص:102.

(3) م.س، ص:83.

(4) باباعمي وكوزي، **من الكمون إلى الفعل الحضاري**، ص:13.

(5) كون، ص:269.



الذي حوله يدندن أصحاب النموذج الواحد، فهو الذي يوجه الطاقة والجهد الذي يولده القلق والتوتر حيال قضية ما. إن «سؤال الأزمة» هو «سؤال عن الوجهة والغاية والأهداف والمناهج»[1] للوصول إلى الحل، إنه السؤال الحضاري في شموليته للنهوض بالأمة في جميع النواحي، والإجابة عن إشكالات الواقع، لا الإجابة التجزيئية للظاهرة الإنسانية.



(1) باباعمي وكوزي، ص:21.

المبحث الثالث العالم و«المتحد العلمي»

المطلب الأول: العالِم بين منظومتين: التوحيدية والمادية الغربية

قبل الحديث عن دلالة العالم بين المنظومتين التوحيدية والمادية، لا بد من الإشارة إلى أن وضع إطار محدد وثابت لدلالة العالم هو مهمة شاقة[1] وقد تكون غير ناجحة، بل وغير مهمة أيضا[2]؛ لأن هذا المفهوم لا يخضع لمرجعية فكرية واحدة لها السلطة في إثبات تعريف واستبعاد آخر؛ ففي المنظومة الواحدة نجد تداولا معرفيا وتنوعا في استعمال المفاهيم الدالة على معنى واحد: في الأدبيات العربية تستعمل مفاهيم متقاربة من مثل «العالم»، «الباحث»، «المثقف»، «المفكر»... إلخ، وفي الأدبيات

(1) ينظر: كوزي، **النماذج المعرفية**، ص:70.

(2) يرى «تشارلز كورزمان» و«لين أوينز» أن «تقديم تعريف محدد للمثقفين هو أقل أهمية من استكشاف الطريقة المثلى التي يعرف بها المثقفون أنفسهم، وعرفهم بها الآخرون، في مواقف تاريخية محددة».
Kurzman; Charles and Owens; Lynn, THE SOCIOLOGY OF INTELLECTUALS, Annual Review of Sociology 2002 28:1, 63-90. P:80.
بل حتى بين المثقفين أنفسهم يصعب تحديد تعريف لهم ولأدوارهم، ينظر: مفلح؛ أحمد مفلح، **في سوسيولوجيا المثقفين العرب، دراسة وصفية من خلال تحليل مضمون، مجلة المستقبل العربي** (1978-2008)، نشر منتدى المعارف، بيروت - لبنان، ط.1، 2013، ص:48.



الإنجليزية: «*scholar*»[1]، «*scientist*»[2]، «*intellectual*»[3]، وكذلك في الأدبيات الفرنسية: «*savant*»[4]، «*scientifique*»[5]، «*intellectuel*»[6].. إلخ.

على أن بعضها قد يكون للدلالة على السخرية، فيورد إدوارد سعيد[7] مقولة لـ«رايموند ويليامز» تبين أن «الكلمات الإنجليزية

---

(1) المتبحر في فرع أو أكثر من فروع المعرفة، وبخاصة العلوم الإنسانية، وهي كلمة قديمة في اللغة الإنجليزية (قاموس أكسفورد).

(2) يعرف بهذا المفهوم من تخصص في العلوم الطبيعية أو الفيزيائية وأصبح خبيرا فيها. وأول من نحت هذا المفهوم هو «ويليام هيُوَلْ» (William Whewell)، في 1834، وهو مفهوم هجين من اللغة اللاتينية (scientia) التي تعني المعرفة وإضافة لاحق الكلمة (-ist) على وزن (artist). (من موقع etymonline.com). وبهذا يكون هذا المفهوم متأخرا مقارنة بمفهوم (scholar) الذي كان هو الشائع.
للتوسع: Cahan, p: 296.

(3) هو الإنسان المتعلم المهتم بالبحث وبالأنشطة ذات الجهد العقلي والتفكير المتأني (قاموس كامبريدج). صاحب عقل ناضج (قاموس أكسفورد).

(4) الشخص الذي يتمتع بكفاءة استثنائية في تخصص علمي ما (قاموس لاروس).

(5) المتفرغ لدراسة علم أو مجموعة من العلوم (قاموس لاروس). وبهذا نلاحظ أنه لا فرق واضح بين المفهومين «savant» و«scientifique».

(6) هو المهتم بالنشاط العقلي والفكري (قاموس لاروس).
وهذا المفهوم بنسخته الأصلية التي ظهرت في اللغة الفرنسية ثم ترجم إلى اللغات الأخرى، ظهر أول مرة كمفهوم مع الثورة الفرنسية في 1894 عند محاكمة الضابط اليهودي دريفوس الذي اتُّهم بتسريب معلومات لألمانيا، فقد استعمل كأسلوب تهكّمي ضد كل من وقف مع هذا الضابط من أمثال إيميل زولا وآخرين. ينظر مثلا: ليكلرك؛ جيرار، **سوسيولوجيا المثقفين**، ترجمة: جورج كتوره، نشر دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط.1، 2008. ص:56-57.

(7) سعيد؛ إدوارد، **المثقف والسلطة**، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، =

التي تعني المفكرين والصبغة الفكرية وطبقة المفكرين كانت ذات دلالات تحط من قدرها، وقد ظلت هذه الدلالات سائدة حتى منتصف القرن العشرين، والواضح أن هذه الدلالات لا تزال قائمة»[1]. كما يفرق مالك بن نبي بين العالم والمثقف، فيرى في الأول سلبيته في الحركية والاكتفاء بالتنظير، بينما يُشيد بالثاني لعلمه وفعاليته[2]. ويرى بيجوفيتش أن العالِم يرقى درجات أعلى عندما يتجاوز نفسه فيصبح مفكرا أو فيلسوفا أو فنانا[3].

والحديث عن زمرة المفاهيم المتقاربة لمعنى «عالم» ضرورةٌ لأنها تسمح لنا بتقصي تاريخية مفهوم «علم اجتماع العالم» موضوع هذا المبحث، فقد نُصدر حكما مبتسرا لأننا لم ندرس السياق الذي استعمل فيه المفهوم بتعدد الصيغ التي أعطيت له، فكان لزاما توضيح خريطة المفاهيم المتقاربة قبل مواصلة التحليل.

= القاهرة - مصر، ط.1، 2006، ص:19.

(1) Williams; Raymond, Keywords: A Vocabulary of Culture and Society (1976; rprt. New York: Oxford University Press, 1985), p:170.

(2) ينظر: بن نبي، **تأملات**، ص:149.

(3) بيجوفيتش، **الإسلام بين الشرق والغرب**، ص:192.
والنص باللغة الإنجليزية:
«the scientist surpasses himself and becomes a thinker, a philosopher, an artist.» Izetbegovic; Alija Ali, Islam Between East and West, American Trust Publications; 3rd edition (1993), p:153.



1 دلالة العالم من خلال أدواره في المنظومة المادية الغربية:

وهنا لا بد أن نتناول أدوار العالِم بدل الحديث عن تعريف جامع مانع لشخص العالِم، مع ضرورة ربط هذه الأدوار بالرؤية الكونية و«النموذج المعرفي» الذي تصدر منه. وسأقوم باستخلاص بعض منها من المصادر التي اقتبستُ منها موضوع «علم اجتماع المثقفين» و«علم اجتماع العلماء» وقد قسمتها إلى جوانب أربعة:

الجانب المعرفي:

- صاحب تعليم متقدم[1]، مهتم بفهم العالم الذي يعيش فيه غير منفصم عن واقعه[2]، مع التركيز على بؤرة بحث دقيقة تساعده على الدقة[3] والتنبه إلى ما قد يطرأ من حالات عدم التوقع أثناء البحث[4].
- أن يكون صاحب أثر أو عمل يميزه[5]، منتجا للمعرفة أو ناقلا لها[6]. وهو خاضع لتقييمات على أساس مقاييس مستقلة عن

---

(1) Kurzman and Owens, p:63.

(2) Ibid.

(3) كون، ص:108.

(4) ينظر:
LAKATOS; IMRE, The methodology of scientific research programmes, Philosophical Papers, Volume I, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 1989, p: 52.

(5) ليكلرك، ص:80.

(6) Kurzman and Owens, p:63.

ميزاته أوعن سمعته الشخصية؛ فما يهم هو العمل المقدم[1].

- النضال من أجل الاعتراف بالأسبقية العلمية وحماية الحقوق الفكرية[2].
- صاحب سلطة فكرية من خلال إدارته للمعرفة ضمن «مأسسة العلم»[3][4].

الجانب الاجتماعي:

- لا بد لاعتبار الباحث عالما أن ينتمي إلى «كُلٍّ اجتماعي» مكون من مجموع الباحثين الذين يتشاركون الاهتمامات البحثية[5].
- الانضباط بقواعد ومبادئ الجماعة التي ينتمي إليها، أو ما يمكن تسميته الالتزام بـ«النموذج المعرفي»/ «البارادايم»[6].

---

(1) فينك؛ دومينيك، **علم اجتماع العلوم**، ترجمة: ماجدة أباظة، نشر المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص:33.

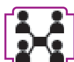
(2) دبوا، ص:56.

(3) ليكلرك، ص:81-83.

(4) وقد أشار دوبوا إلى أن كلا من «مرتون وزوكرمان طورا» تصورا تعاقبيا «للشخصية الاجتماعية» التي وصفها زناييكي. ويرتكز هذا التعاقب على التكامل بين أربعة أدوار مختلفة يحتلها العالم وفق طرائق متغيرة: «الباحث» chercheur، و«المدرس» enseignant، و«الإداري» administrateur، وما يسميه المؤلفون: المنظم-الضابط régulateur أو «حارس البوابة» «gate keeper». دوبوا، ص:127.

(5) دوبوا، ص:113. ليكلرك، ص:78-79.

(6) دوبوا، ص:113. فينك، ص: 33-51.



- ينتمي لشريحة متميزة من المجتمع برؤيتها المعرفية واهتماماتها الخاصة، قادرة على إنتاج شريحة جديدة فيه[1].
- لا يرجعون إلى حقيقة كونية واحدة، نظرا لإغراقهم في عصر «تعدد القيم»[2].

الجانب الأخلاقي:

- بعيد عن التجاذبات السياسية[3].
- الاعتراف بالخطأ وتصحيحه عند ثبوت خلل في النتائج المتوصل إليها[4].

الجانب التربوي:

- الإشراف وتكوين باحثين يكُونُون الخلف ضمن الجماعة التي يعمل فيها[5].
- أن يكون مدرسا وباحثا منتميا للأكاديميين الجامعيين[6].

من خلال هذه الخصائص يلاحظ أن تقنين ممارسة العلم

---

(1) Antonelli, Francesco. New Sociology of Intellectuals and Net-Activism. Net-Activism. How digital technologies have been changing individual and collective actions (2017), p: 34.

(2) Ibid., p: 35.

(3) Ibid.

(4) كون، ص:108 و269.

(5) م.س، ص:293. دوبوا، ص:129.

(6) ليكلرك، ص:80.

وتنظيمه قد حقق في المنظومة الغربية فعالية وحراكا عمليا في الواقع الذي تحيا فيه، إيجابا أو سلبا وبذلك رسا جوٌّ اجتماعيٌّ يتأثر فيه الإنسان ويؤثر كما أشار إلى ذلك مالك بن نبي[1].

إلا أنه وبالمقابل يلاحظ على هذه الخصائص أنها ليست دائما موجودة وحقيقية، بل قد نجد تجاوزات في الواقع، بميكيافيللية: «الغاية تبرر الوسيلة»، وهو ما عبر عنه بعض علماء الاجتماع من بينهم مرتون أنها «مشاحنات بين العلماء»[2]، وانتقده دومينيك فينك مبينا أن مخالفات القواعد موجودة وكثيرة، فهل هذه القواعد التي وضعها تنحو إلى المثالية؟ وهل هي حقا من تصرفات علماء؟[3].

(1) يقول مالك بن نبي: «إن عنصر الحركة الدافعة في الإنسان أو ما نطلق عليه اسم الفعالية، يدخل في بناء الشخصية عن طريق التمثل النفساني لعناصر ثقافية معينة، يمتصها الفرد في الجو الاجتماعي الذي يعيش فيه. كما يمتص الحيوان العناصر الحيوية عن طريق التنفس الطبيعي. ولا شك أن الفعالية تتركب في بناء الشخصية بكل بساطة، عن طريق تنسيق حركي تأليفي للمقومات الأولية: الفكر، اليد، المال بمعناه الصحيح أي باعتباره العمل المخزون». **تأملات**، ص:58.

(2) دوبوا، ص:56.

(3) «حالات الابتعاد عن القواعد والمخالفات التي يرتكبونها كثيرة جدا ومعروفة مما يجعلنا نتساءل حول ما إذا كانت قواعد «ميرتون» مثالية أكثر منها واقعية. هل تمثل بالفعل ممارسات العلماء؟ فالممارسات المشاهدة كثيرا ما تكون متناقضة بشكل مباشر مع الأربع قواعد الأخلاقية المبينة». فينك، ص:40.



2 دلالة العالم في الرؤية الكونية التوحيدية من خلال نموذج الرشد:

نظرا لأني أعتبر «نموذج الرشد» هو المرجعية الفكرية التي أنطلق منها في التحليل والفهم، فإني سأعتمد على ما استخلصه طه كوزي من مقاييس تحدد دلالة العالم في كتابه «النماذج المعرفية في فكر طارق رمضان»، باعتبار أنه استخرجها مما وضعه علماء يعتبرون في «نموذج الرشد» معالم وروافد نُحِت النموذج بأفكارهم.

وقد قسم طه كوزي المعايير التي تحدد دور العالم إلى «حدّية شمولية مرتبطة بوظيفته ودوره، وأخرى ثانويّة مرتبطة بطبيعة تخصّصه، ومجال بحثه وممارسته»[1]، وفيما يلي بعض من الشروط الحدية:

◄ العالم الرباني:

من تشوهات العصر التي ورثناها من المنظومة الغربية التفريق والتمييز بين عالَمَين: «عالم الدنيا» و«عالم الآخرة»، بين عالم منسوب للتطور والتجربة والحياة، وعالم مهتم بالشريعة والغيبيات، فأوقعت المسلم في حيرة من أمره وارتباك في تصرفه؛ اضطرته لإبعاد «الآخرة» عند الحديث عن «الدنيا»، وإبعاد «الدنيا» أوان الحديث عن «الآخرة»، بينما الأصل الجمع بينهما بمبدأ «الربانية في العلم» مصداقا لقوله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ

(1) كوزي، **النماذج المعرفية**، ص:70.

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران: 79]، ليكون العلم موصلا لخشية الله دافعا للإخلاص له سبحانه وتعالى.

لكن العلم أضحى جزرا متنافرة؛ ورغم أن المنظومة الغربية تحاول إعادة العلاقة من خلال الأبحاث المتجاوزة للتخصصات، إلا أننا لا زلنا لم نفق بعد من هذه المغالطة التي أفسدت العلاقة بين العلماء، تتجلى في لغة الخطاب غير المفهومة من غير أصحابها. لذا وجب علينا تجاوز التصنيف الكلاسيكي للعلماء، فنحن في حاجة «إلى التحكم في شتى العلوم والمعارف واتخاذها سلما للإيمان وسمو الوجدان»[(1)].

◄ **المسؤولية الأخلاقية، والمسؤولية العلمية:**

العالم إنسان مراوح بين مسؤوليتين: مسؤولية علمية تستدعي منه البحث والتأمل والتفكير، ومسؤولية أخلاقية تفرض عليه أن يعيش واقعه غير منفصم عنه، فهو «ضمير المجتمع وعقله المفكر الذي يبحث دائما عن متتاليات جديدة تواكب التغيرات التي تقع في الواقع»[(2)]. وهذه الحركية بين «فكر وفعل»، تستدعي منه أن يكون دائم السؤال عن مدى «نافعية العلم»[(3)] الذي يقدمه، يَقِظًا فَطِنًا في واقعه وما يُحَاك فيه من فتن[(4)]، شاهدا ومعيارا ومرجعا

(1) م.س، ص: 74.

(2) المسيري، **الثقافة والمنهج**، ص: 181.

(3) سبق الحديث عن معنى النافعية عند الحديث عن زمرة «المتحد العلمي»، الهامش: 1، ص: 51.

(4) «دور العالم أوان الفتن ابتداء هو فهمها، وتحديد أسبابها الحقيقة، والحذر من أن تتم =



في أمته، غير مُتَخَنْدق من أجل مصلحة ما[1] ومُتَحَلِّيًا «بالتواضع باعتباره جزءا من كُلٍّ اجتماعي علمي، ووليد وطن تتعين عليه خدمته»[2]، من أفق «القابلية للاعتراف».

و«القابلية للاعتراف» من المفاهيم التي طورها نموذج الرشد؛ إنها «حالة ذهنية» و«انفعال نزوعي»[3] يطبع تصرفات الإنسان ويعكس محدودية علمه وحدوده، وهو إقرار منه بسعة دائرة جهله وضيق دائرة علمه، معتبرا نسبية الحق في جانبه ونسبية الخطأ في مخالفه، من منطلق الرؤية الكونية التوحيدية التي تعترف أن الكمال من صفات الله تعالى وحده؛ فمقياس «العالم هو التواضع والاعتراف بإمكان الخطأ»[4].

«القابلية للاعتراف» هو مفهوم مؤسس على «نموذج الرشد» وعلى مصادر النموذج، بخاصة أعمال مالك بن نبي، وعلي عزت بيجوفيتش، وعبد الوهاب المسيري»[5] تشكلت ملامحه أول ما

= مغالطته، أو التلاعب بمشاعره، أو حتى التشويش على مواقفه وخطابه». باباعمي، **العلم والعالم**، ص:31.

(1) كوزي، **النماذج المعرفية**، ص:75.

(2) م.س، ص:71.

(3) يرى الشيخ الشعراوي أن مراتب الشعور ثلاث: إدراك بالحواس، ثم أثر في الوجدان، ثم نزوع للفعل، ينظر تفسير الآية 83 من سورة المائدة. الشعراوي؛ محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، المجلد 6، نشر أخبار اليوم: قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، مصر، 1991، ص:3339-3341.

(4) باباعمي، **العلم والعالم**، ص:66.

(5) باباعمي؛ محمد، **الدكتور محمد ناصر، سيرة ذاتية من مدخل علم البرمجة الزمنية**؛ =

تشكلت مع الحديث عن «تقييم المقيّمين» وعن «مقياس العلم والعالم» في إشكالية «العلاقة بين الدين والعلم»[1]، ثم عولج المفهوم بعد ذلك في معرض الحديث عن الظاهرة الإنسانية المركبة من مقام العجز والقصور عند تناول حياة الدكتور محمد صالح ناصر[2].

◄ مقومات المعلم والمبلّغ:

يستشعر العالم دائما مهمته الأساسية المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشتى الوسائل المعتبرة للزمان والمكان، فوجب عليه أن يكون معلما لغيره، ناقلا للمعرفة؛ لأن «التتلمذ في الفكر الإسلامي يعتبر منهجا في تواتر مصادر المعرفة»[3]، ومشاركا في دوائر الحوار والنقاش العلمي؛ بهدف التدافع و«إحلال الرؤية الكونية التوحيدية بديلا عن الرؤية الكونية المادية الإلحادية في الدوائر العلمية المختلفة»[4]. فلابد أن يتمتع العالم «بقدرة عالية على التواصل مع شتى الأطياف والفئات من حوله، سواء كانوا من العلماء أو الباحثين وطلاب

= نشر كتابك، الجزائر، 1438هـ/2017، ص:12.

(1) ينظر: باباعمي؛ محمد، **من يقيّم المقيّمين؟ وما هو مقياس العلم؟ مقاربة عقدية في جدلية الديني والعلمي، كراسات تربوية - الدين والعلوم الإنسانية - إعادة إنتاج المعرفة**، تحرير: حسان عبد الله حسان، عدد: 2، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، 1431هـ/2010، ص:7. وباباعمي، **العلم والعالم**، ص:55.

(2) باباعمي، **الدكتور محمد ناصر، سيرة ذاتية**، ص:12.

(3) م.س، ص:72.

(4) باباعمي، **العلم والعالم**، ص:23.



العلم وعامة الناس»[1].

◄ **التحكم في تخصص معرفي أو أكثر:**

فلا يمكن أن نعتبر إنسانا مَا عالما إذا لم يتحكم في تخصصه على الأقل ويبدع فيه، مما يستدعي منه التركيز على بؤرة بحثية وعدم تشتيت الذهن؛ فكل «شيء اليوم توسع في التفريعات تَوَسُّعًا يعجز الفرد الفريد عن حمل العبء»[2]، وهذا يكون دافعا له أن يعرف حدود علمه مُقِرّا بجهله. على أن لا يحْمِله ذلك أن يبقى رهين تخصصه في «قطيعة ابستيمولوجية» مع التخصصات الأخرى؛ لأن الملاحَظ أن لكل من العالم المفكر المهتم بالحضارة، والعالم الفقيه، والعالم الصوفي زاوية معالجة للواقع[3].

◄ **«الجماعة العلمية»:**

محدودية علم الإنسان من جهة، وتعقد الظاهرة الإنسانية من جهة أخرى، تدفع بالباحث أن يعمل ضمن مجموع، فلم يعد للعالم الموسوعي والعالم المفرد القدرة على الإجابة على أسئلة العصر، بل حل محله ضرورة العمل بروح «الشخصية المعنوية والتشاور والشعور الجمعي»[4]، بمبدأ «تقسيم الأدوار فيما بين العلماء والباحثين المشتغلين بالحضارة همًّا واهتماما، بين من

(1) كوزي، **النماذج المعرفية**، ص:75.

(2) كولن، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص:42.

(3) ينظر: باباعمي، **في حب كلام الله**، ص:247.

(4) كولن، ص:42.

يملأ "القلب" إحساسا، ومن يسمو "بالروح" ارتقاء، ومن يفجر طاقات "العقل" إبداعا»[1]، «فالمعرفة الإنسانية وليدة عمل جماعي بين العلماء على اختلاف تخصصاتهم ومعارفهم» كما أشار إلى ذلك طارق رمضان[2]. مع ضرورة أن يتحلى العمل الجماعي بالنظام والانسجام لأن «الانسجام بين الأشياء والحوادث جبري واضطراري، والنظام بين البشر إرادي، ومصدره الأعظم هو مخافة الله ومهابته. والنظام اسم جامع للأمان والاطمئنان والانسجام الاجتماعي ورجاء المستقبل الزاهر»[3].

◄ العالم متحيز بالضرورة:

تتأثر شخصية العالم بمجموع من العوامل التي تصبغ آراءه وخياراته، منها ما هو حتمي لا يمكنه الفكاك منها، ومنها ما يمكنه تجاوزها بوعي وإدراك. فالرؤية الكونية والمرجعية الفكرية خيار يتبناه ويدافع عنه، فلا يمكن أن نعتبر عالما من يراوح بين مرجعيتين فكريتين متناقضتين؛ أن يكون في المسجد إنسانا مسلما وفي أبحاثه وكتاباته داروينيا أو نيتشويا أو منتميا لأي توجه فكري مناقض.

كما أن «الوعاء الحضاري»[4] يسهم في تشكيل مواقفه وآرائه؛ فهو متأثر به بالضرورة إيجابا أو سلبا، إما أن يكون له دافعا

(1) ينظر: باباعمي، **في حب كلام الله**، ص:247.

(2) كوزي، **النماذج المعرفية**، ص:71.

(3) كولن، ص:100.

(4) التعريف به عند التفصيل في زمرة «المتحد العلمي»، الهامش 1، ص:44.



ومحفزا على الإبداع والعمل الجماعي[1]، وإما أن يكون له مثبطا، أو دافعا له للمقاومة والاحتكاك، حادا له من الإنتاج، وهنا نميز بين إنسان مقاوم للسلبية وبين إنسان مستسلم «قابل للاستعمار»، بل ومبرر له.

بعد استعراض جملة من مقاييس العالم بين المنظومتين المادية الغربية والتوحيدية الإسلامية، نجد أنهما تتفقان في الكثير منها، ماعدا فيما يخص الفصل بين «الذاتي» و«الموضوعي»[2] وفق الرؤية المادية، التي ترى في أن الحياة الشخصية للعالم لا دخل لها في تقييم العلم، وإنما المهم هو «إنتاج المعرفة» بأي سبيل كان: «فما يهم هو العمل المقدم» و«النضال من أجل الاعتراف بالأسبقية العلمية»، و«عدم الاحتكام إلى مرجعية قيمية واحدة»؛ وما يترتب عن هذا الفصل يسري على المعرفة برمتها؛ ولذا فإن الذي تختلف فيه المنظومتان يضرب بجذور في الرؤية الكونية[3].

(1) «مدى وعي «العالِم» والباحثين من حوله بالعمل الجماعي، ومدى التزامهم بتفعيله والعمل وفقه؛ فالتفاف «الجماعة العلمية» حول «برادايم» و«نموذج معرفيّ» مقياسٌ حدّي في بناء المعرفة الإنسانية وتطورها». كوزي، **النماذج المعرفية**، ص:73.

(2) يفضل المسيري استعمال مصطلحي «أقل تفسيرية» و«أكثر تفسيرية»، فيقول: «وجدت أنه من الأجدى استبعاد مصطلحي «موضوعي» و«ذاتي» (فهما يفترضان موضوعا قائما في حد ذاته، وذاتا مستقلة منعزلة لا تتعامل مع الموضوع). وأحللت محلهما مصطلحي «أكثر تفسيرية» و«أقل تفسيرية»، فهما أكثر دقة في وصفهما لعملية الإدراك والتفسير». المسيري، **رحلتي الفكرية**، ص:340.

(3) يقول د. عبد الحميد أبو سليمان: «بقدر ما تتمتع به الرؤية الكونية وبالتالي منهجية فكرها ومبادئ هذه المنهجية، من سلامة المنطلقات ووضوح الغايات، وتناسق =

المطلب الثاني: نحو «علم اجتماع العالم» بين الفكر الإسلامي والمنظومة الغربية

⊙ العصر المعيار: أصل كل العلوم ولو من دون تسمية:

يعتبر العلماء أن «العهد النبوي» هو «العصر المعيار» الذي إليه يُحْتَكَم، ومنه تُسْتَنْبط القواعد والضوابط، فهو نقطة الجمع لما تفرق بعد ذلك؛ والذي ستحتاجه البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، من علم وخلُق، بل ومن أزمات وانتصارات.

فقد عاش النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مربيا وقائدا ومرشدا، واستطاع أن يصنع على عينيه علماء وقادة؛ هَمُّهُم التمكّن مما رشحهم له سيدنا محمد ﷺ بما وجد في أنفسهم من قابليات، ثم أَهَمَّهُمْ بعد ذلك أن يبلغوا ما استوعبوه عنه لكل شبر تلامسه أقدامهم؛ محققين نبوته ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزّاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر[1]»،

= البناء، تصبح تلك الرؤية ومنهجية فكرها مصدر قوة الدافعية والسلامة النفسية والاجتماعية في كيان الأمة»، ينظر كتابه: **الرؤية الكونية الحضارية القرآنية - المنطلق والأساس للإصلاح الإنساني**، 2008، ص:19. (نسخة إلكترونية من موقع مركز الدراسات المعرفية: http://epistemeg.com/.

(1) البيهقي (الإمام)؛ أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج:9، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط.3، 1424هـ/2003، ص:305، الحديث 18618 - كتاب السير/ باب إظهار دين النبيّ ﷺ على الأديان.



فوجدنا في أصحابه ﷺ: تنوعا في الكفاءات وتوجيها للطاقات: من قائد إلى مقود، من قوله ﷺ في أسامة «إنه خليق للإمارة»، إلى أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي قال له: «... يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[(1)].

ووجدنا فيهم علماء اختص كل واحد منهم بجانب من العلم على يد الرسول ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي: أبو بكر، وأَشدهم في أمر اللهِ: عمر، وأَصدقهم حياء: عثمانُ، وأَقرؤهم لكتاب اللهِ: أُبَيٌّ بن كعب، وأفرضهم: زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام: معاذ بن جبل، ألا وإِن لكل أمة أمينا، وإِن أمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجَراح»[(2)].

ألا يمكن أن نعتبر هذا التقسيم الذي أولاه سيدنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو مما قننه «علم اجتماع العلوم» بعد ذلك؟[(3)] ونعتبره كذلك من أسس «علم اجتماع العالم»؛ فقد استطاع عليه السلام أن يستوعب شخصيات أصحابه واختلافاتها، ويسبر أغوارها فميزهم بناء عليها؟

من أوضح الصور على أدب الاختلاف بين الصحابة في عهده ﷺ حادثة غزوة بني قريظة؛ عندما أمر الرسول ﷺ المسلمين

---

(1) مسلم (الإمام)، صحيح مسلم، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، الحديث رقم: 1825.

(2) أخرجه الترمذي (3791)، والنسائي في «السنن الكبرى»، 8242.

(3) رأي د. محمد باباعمي في الموضوع في لقائي به في معهد المناهج 01 سبتمبر 2018.

بالخروج إلى بني قريظة قائلا: «لا يصليَنَّ أحد العصر إلا في بني قريظة»[1]، فَهِمَ بعض الصحابة أن النص يطبق بحرفيته؛ أي إنّ الصلاة لا تكون إلا في المكان الذي حدده الرسول ﷺ رغم أن الوقت تأخر وقارب على الانتهاء، ورأى آخرون أن المقصد هو الإسراع في الوصول، لكن عندما حان وقت الصلاة وجب تأديتها. ولم يخطّئ النبي عليه السلام أي فريق بعد ذلك وسكت عن الأمر؛ وهي ما يسمى بالسنة التقريرية. ويرى العلماء أنه من هذه الحادثة ظهرت مدرستان في الفقه الإسلامي: مدرسة النص ومدرسة المقاصد[2].

كذلك، ألا يمكن أن نعتبر ما فعله سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حق هشام بن حكيم بن حزام[3] الذي قرأ برواية لم يعرفها وناقشه حولها، ثم تحكيم سيدنا رسول الله حولها ضمن التداول المعرفي الذي يسم «علم اجتماع العالم»؟[4].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: مرجع النبيّ صلى الله عليه وسلم من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة، ومحاصرته إياهم، الحديث رقم: 4119.

(2) ينظر مقال: **صور من الاختلاف في العصور المفضلة**، سلمان العودة، نشر في موقعه بتاريخ: 1 محرم 1429هـ/10 جانفي 2008، وشوهد بتاريخ: 10-12-2018، الساعة: 21:07. رابط الموقع: http://www.salmanalodah.com.

(3) هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، وأم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عمة أبيه، أسلم يوم الفتح ومات قبل أبيه حكيم. ينظر: ابن الأثير؛ عز الدين أبو الحسن، **أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة**، الترجمة رقم: 5376، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط.1، 1433هـ/2012، ص:1222.

(4) عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبد القاري، قال: سمعت عمر بن الخطاب، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، =



والخلاف الذي وقع بين العظيمين سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وهما في حضرة الرسول ﷺ، في تعيين أمير على وفد بني تميم فاختلفا وتعالت أصواتهما، فنزلت فيهما آية سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات: 2][1].

هي نماذج وعيّنات من حياة إنسانية عاشها أصحاب خير خلق الله ﷺ، فِيهِم المبشرون بالجنة، كانت بينهم لحظات أزمة واختلاف ولحظات وُدٍّ وصفاء، كان النبي ﷺ فيها نعم الحَكَم ونعم الموجه، بل وحتى بعد وفاته كانت بين الصحابة اجتهادات مختلفة فيما استجد من قضايا العصر، احتكموا إلى الثوابت

= وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، فكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقال رسول الله ﷺ: «أرسله، اقرأ»، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت»، ثم قال لي: «اقرأ»، فقرأت، فقال: «هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه». صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَبَيَانِ مَعْنَاهُ، حديث رقم 1408.

(1) عن ابن أبي مليكة، قال: «كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾[الحجرات:2]» الآية قال ابن الزبير: «فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر». صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع، حديث رقم: 6911.

وتسامحوا في المتغيرات واعتبروا النيات، ولم تفسد علاقة الود بينهم، فلم يكن منصب أمير المؤمنين ميزة يستأثر بها في الحكم، بل كثيرا ما تنازل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ وهو خليفة للمسلمين ـ لرأي أحد أصحابه لأنه أقوى حجة وأظهر حكما[1].

ويلاحظ أن الاختلاف الذي حدث بين الصحابة لم ينتج تيارا فكريا أو مدرسة فكرية في هذا العصر؛ لأن مرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية هي الوحيدة وهي الفيصل في الحُكْم، كما أن الصحابة لم يتناولوا تفريعات المسائل[2]، بل كانت معالجاتهم مباشرة لما يجِدّ في الواقع، بعيدا عن الاقتصار على التنظير الفكري الذي قد يصبغ بعض النقاشات الفكرية والمحاورات العلمية.

⊙ «علم ميزان الرجال».. «علم اجتماع العالم»:

أولت الأمة الإسلامية أهمية خاصة للقرآن الكريم حفظا ونقلا، ولسنة النبي ﷺ بعد أن رسخ تدوين كلام الله تعالى في مصحف جامع بعد ذلك، فتسابق أبناؤها في حمل المسؤولية استشعارا بخطورتهما ورغبة في نيل أجرهما، فوضعوا لهذين المصدرين علوما تخدمها، وقواعد تؤطر التعامل معهما، فكان أن برزت علوم من مثل القراءات، أسباب النزول، التفسير، علم

---

(1) للتوسع ينظر: العلواني؛ طه جابر، **أدب الاختلاف في الإسلام**، **سلسلة قضايا الفكر الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، 1413هـ/1992، ص:49 وما بعدها.

(2) ينظر: م.س.ن.



الحديث رواية ودراية.. إلخ.

هذه العلوم تطورت وضرورات المرحلة؛ فقد ابتدأت مركزة على المحتوى من حيث أصالته وصفاؤه من الأخطاء، ثم مع تقدم العصر واتساع رقعة بلاد الإسلام وتعدد الطوائف والأعراق، اقتضت الحاجة أن توضع شروط في الناقل بعد أن كانت مركزة على النقل، فظهر في علوم القرآن «شروط المفسر»[1] وفي علوم الحديث «ميزان الرجال» أو «الجرح والتعديل».

وقد مر تقييد علم الحديث في نشأته بمرحلتين: إحداها مرحلة تقييد الأحاديث في صحف خاصة كان الصحابة يحرصون عليها عند تلقي الحديث من الرسول ﷺ مباشرة، دون أن تُتداول بين الناس، والمرحلة الثانية التي بدأ فيها الناس تداول هذه الصحف، ولكنها لم تكن مبوبة أو مرتبة كما عرف بعد ذلك في العصور اللاحقة فيما سمي بعصر التدوين الذي بلغ أوجه في القرن الثالث الهجري؛ عصر السنة الذهبي الذي دونت فيه السنة وعلومها تدوينا كاملا[2].

ومع تباعد الزمان عن عصر الرسول ﷺ وانتشار الإسلام في الأمصار وتنائي أقطاره، تسللت إلى الحديث بعض الروايات المحرفة بسبب الطبيعة البشرية التي يعتريها النسيان أو بسبب

(1) ينظر مثلا: السيوطي؛ جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت - لبنان، ط.1: 1429هـ/2008.

(2) ينظر: السباعي؛ مصطفى، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، نشر المكتب الإسلامي ودار الوراق، ط.2، 2000م، ص: 125.

تربص أعداء الدين للمساس بالمصدر الثاني في التشريع الإسلامي، فهب العلماء للتبيين والإرشاد فَحَثُّوا الناس على التثبت فيمن يأخذون عنه الحديث حتى شاعت بين الناس قاعدة: «إنما هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذونها»[(1)].

بل، أرشدوا الناس فعلا وقولا؛ فقعّدوا لعلم يهتم برواة الحديث من حيث عدالتهم وضبطهم، وهو علم «ميزان الرجال» أو «الجرح والتعديل»، فالعدالة تمس شخص الراوي ـ الباحث والعالم ـ من حيث إسلامه، وبلوغه، والاتصاف «بالمروءة وترك ما يخل بها، وهو كل ما يحط من قدر الإنسان في العرف الاجتماعي الصحيح..»[(2)]، «واشتراط العلماء للمروءة سببه: أن الإخلال بها إما يكون لخبل في العقل، أو لنقصان في الدين، أو لقلة حياء وكل ذلك رافع للثقة بقوله»[(3)]. أما الضبط فيمس الرواية أو «إنتاج المعرفة» ـ إن جاز التعبير ـ فهي «تؤهل الراوي لأن يروي الحديث كما سمعه..»[(4)].

وقد بذل العلماء في سبيل تدوين الصحيح من الحديث جهدا معتبرا يصب في صميم «علم اجتماع العالم»؛ فكانوا يرحلون

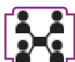
---

(1) ينظر: عتر؛ نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، دار الفكر، دمشق - سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط.33، 1434هـ/2013، ص:55.

(2) عتر، ص:79.

(3) كافي؛ أبو بكر، **منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح**، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط.1، 1421هـ/2000، ص:88.

(4) ينظر: عتر، ص:80.



ويتنقلون مسافات طويلة في سبيل الاستماع إلى الراوي، والوقوف على حاله وحياته والاستماع إلى مقاله ومروياته، فقد كتب الإمام البخاري عن ألف وثمانين نفس[1]، وانتقل بين الأمصار فجمع ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة[2]، واقتصر في صحيحه على سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثا[3].

ولم يفْصِل العلماء بين مرويات الراوي وبين أفعاله، بل اعتبروا أفعاله تمثلا لأقواله وطريقة تفكيره، متبعين منهج القرآن الكريم في الاستنكار على المؤمنين مخالفة ما يفعلونه لما يقولون، بل وصف هذا التصرف بأنه فعل شنيع مبغوض ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:2-3]، وهذا عكس المنظومة المادية التي ترى أن الحياة الخاصة للعالم هي مسألة شخصية منفصلة عن حياته العلمية، ولا تُعتبر معيارا للتقييم في التكريم والاعتراف، فلم يكن هناك حرج لـ«جيمس واطسون»[4] ـ الحائز على نوبل في الطب سنة

(1) القاسمي؛ محمد جمال الدين، **حياة البخاري**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار النفائس، بيروت - لبنان، ط.1، 1412هـ/1992، ص:16.

(2) م.س، ص:29.

(3) م.س، ص:34.

(4) جايمس دويوي واطسون (James Dewey Watson)، (1928-)، أمريكي حائز على جائزة نوبل في الطب في سنة 1962 عن اكتشافه للحمض النووي رفقة زميله فرانسيس كريك. المصدر: موقع جائزة نوبل.
https://www.nobelprize.org/prizes/medicine/1962/watson/facts.

1962 رفقة زميله «فرانسيس كريك»[1] ـ، أن يحاول تشويه سمعة أحد «منافسيه» ـ حسب التعبير المستعمل في هذه المنظومة ـ وهو «لينوس بولنغ» بأن وضع تقريرا سيئا عن محاضرة ألقاها، وهو لم يحضرها أصلا[2]، أو عندما قدم انتقاداته لامرأتين في مسيرته العلمية لكونهما امرأتين ليس إلا[3].

مثل هذه الواقعة في المنظومة المادية لن تُؤخذ كمعيار في الحُكم على العالِم من غيره، لأن المنافسة مباح في سبيلها كل فعل ما اعتُبر أنه «علمي»، وهذا يخدم رؤيتها في تعريف العلم على أنه التفسير والتحكم والتنبؤ، لكن المنظومة التوحيدية ترى أن في هذه الواقعة انفصاما بين عالَمَيْن عالم الأخلاق وعالم المعرفة.

هذا التنقيب في الحياة الاجتماعية للراوي ـ الباحث والعالم ـ وعدم الاكتفاء بالجانب العلمي منها من خلال «الجرح والتعديل» أو علم «ميزان الرجال» هو بمثابة الملامح الأولى لـ«علم اجتماع العالم»، فالأصل أن حياة العالم/الإنسان متكاملة الجوانب،

---

(1) فرانسيس هاري كومبتون كريك (Francis Harry Compton Crick)، (1916-2004)، بريطاني حائز على جائزة نوبل في الطب في سنة 1962 عن اكتشافه للحمض النووي رفقة زميله جايمس واطسون. المصدر: موقع جائزة نوبل. https://www.nobelprize.org/prizes/medicine/1962/crick/facts.

(2) **إدلسون؛ إدوارد، فرانسيس كريك وجيمس واطسون وأسلوب بناء الحياة،** (ضمن سلسلة علماء عباقرة)، تعريب: أماني الدجاني، نشر مكتبة العبيكان - السعودية، ط.1، 1425هـ/2004، ص:83.

(3) م. س، ص:87 وص:148.



غير منفصمة بين ما هو علمي وبين ما هو شخصي، فما يقدمه في حياته الخاصة ينطبع حتما على حياته العلمية والعكس بالعكس؛ لذا اعتبر الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن السفر ممحص لشخصية الإنسان لأنه يعَرِّضُها لدرجة عالية من الانصهار المتمثل في السفر ومشاقه، والمال وإغراءاته، والأمانة وتبعاتها.

قال رجل لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن فلانا رجل صدق. فقال له عمر: هل سافرت معه؟ قال: لا. قال: فهل كان بينك وبينه معاملة؟ قال: لا. قال: فهل ائتمنته على شيء؟ قال: لا. قال: فأنت الذي لا علم لك به، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد.

وقد تعرض الإمام البخاري في أواخر حياته إلى حادثة اختلفت الروايات في تصنيفها بين كيد وحسد وبين غيرة على الدين، وهي تمثل صميم «التداول المعرفي» بين العلماء وفي صميم «علم اجتماع العالم».

فتصنيفٌ يرى أن الإمام البخاري تعرض إلى كيد وحسد، عندما أشهر هو وبعض معاصريه بضعفاء المحدثين والمتهمين بالكذب مما أوغر عليه صدور الفقهاء؛ فامتحنوه في موضوع «خلق القرآن»، ففُهم منه أنه يقول بالَخلْق على خلاف المذهب السائد فكفّروه وطردوه من موضع إلى آخر[1].

(1) ينظر: البطليوسي؛ ابن السيد، **الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم**، تحقيق: محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر - سوريا، ط.3، 1407هـ/1987، ص:163-164. والذهبي؛ شمس الدين، **سير** =

ويرى تصنيف آخر[1] أن الدافع من الحادثة ليس حسدا أو كيدا وإنما غيرة على الدين؛ فقد كان تأويل لفظه: «القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة» أنه يقول بالخلق؛ سببا في نفور محمد بن يحيى الذهلي وتحذير الناس من حضور مجلسه.. «وإنما أراد محمد بن يحيى ـ والعلم عند الله ـ ما أراده أحمد بن حنبل.. من النهي عن الخوض في هذا ولم يرد مخالفة البخاري.. وإنما أراد هو وأحمد وغيرهما من الأئمة النهي عن الخوض في مسائل الكلام، وكلام البخاري عندنا محمول على ذكر ذلك عند الاحتياج إليه»[2].

هذه القصة على ما حملته من شد وجذب بين المؤرخين وأصحاب السِّيَر، تحمل في طياتها ما يمكن أن يصل إليه العلم من اضطراب وخروج عن مساره؛ إذا أقحم أناسٌ غير متخصصين

= **أعلام النبلاء**، الجزء 12، تحقيق: صالح السمر، إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - لبنان، ط.11، 1417هـ/1996، ص:453-466. والقاسمي، **حياة البخاري**، ص:55-61.

(1) حاول عبد الوهاب الطريري أن يقف موقفا وسطا في الخلاف الذي وقع بين الإمامين البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي، أنه وقع بين عَلَمَيْنِ من أعلام الأمّة، وأنهما قد تعرّضا كليهما للظلم والجور ممن روى القصة عنهما بل وظُلِم أناس آخرون جراء هذه الحادثة، على أنه لم يفصل فيها كثيرا ولم يبيّن وجهة نظره بدقة، ينظر مقاله في موقع الإسلام اليوم، ونشر بتاريخ 02 ماي 2012، وكان تاريخ قراءة المقال في 30 نوفمبر 2018، على الساعة: 20:09. الرابط:
.http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-43-167080.htm

(2) السبكي؛ تاج الدين، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج2، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، 1383ه/1964، ص:229.



نفوسَهم فيه؛ فموضوع «خلق القرآن» كان يمكن أن يبقى على مستوى «التداول المعرفي» والحراك العلمي بين أهله، لكن تدخلت فيه السياسة فانتصرت لرأيها وحوّلَتْه إلى الحق المبين[1]، ومارست قمعها فيمن يقول بخلاف توجهها، فانساق الناس بين متّبع ومتستر، وبين متعصب ومتسامح.

وجراء هذه الحادثة أيضا تطاول الناس على الإمام البخاري؛ في شخصه وفي صحيحه، فقدحوا في أخلاقه وفي صحة نقله للأحاديث جملة وتفصيلا تمهيدا للتشكيك في ثوابت الدين[2]،

(1) ينظر: وينتن؛ مصطفى و باباعمي؛ محمد، **أصول الإيمان: التوحيد ووحدة الأمة**، مؤسسة كتابك - الجزائر، ط.1، 1438هـ/2016، ص:45.

(2) فهذا رشيد أيلال المثير للجدل في المغرب يتحدث في مواضيع بعناوين مثيرة: «الإسراء والمعراج.. أسطورة من؟» و«الحج في القرآن بين الحقيقة والأسطورة»، وفي «صحيح البخاري.. نهاية أسطورة» يقول مبينا موقفه من الإمام البخاري ومن صحيحه بالقول:

«أردنا من خلال سردنا لهاته الأقوال أن نبين للقارئ سقوط دعوى الإجماع حول شخصية البخاري وكتاب صحيح البخاري، وأن الأسطورة التي تم نسجها بشكل خرافي حول شخصية البخاري وكتاب الجامع الصحيح ليست إلا كذبة، لا تعتمد على أي أساس علمي أو تاريخي، وأن الاختلاف في كتاب صحيح البخاري، وشخصية البخاري، بلغ مداه عبر كل القرون، وحكاية الإجماع هي أسطورة من الأساطير المؤسسة لتقديس البخاري وكتاب الجامع الصحيح، بدون الاستناد إلى أي حجة يمكن الوقوف عندها واحترامها، لأن كل ما يروى في هذا الباب، يستخف العقول والأفهام بشكل مستفز، ويدعو في ذاته إلى تكذيبه، والسخرية منه..»، ينظر: أيلال؛ رشيد، **صحيح البخاري: نهاية أسطورة**، نشر دار الوطن - المغرب، ط.1، 2017، ص:148.

كما نجد له مواضيع تجرأ بها على الطبيعة البشرية بأن تلاعب بمفاهيم من مثل قوله أن «القرآن لم يحرم العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج»، شرط أن تكون =

فاستغفلوا العقول بأنهم يفتحون الباب لاجتهاد العقل ونقد الآراء وتمحيصها حتى ولو كانت قرآنا لا يقبل التأويل.

ويبقى احترام العلماء ديدن الأفاضل من الناس، فلا يدفع الخلاف في الرأي إلى الجرأة عليهم أو الانتقاص من قدرهم، بله رد كل علمهم دون معرفة السياق الذي عاشوا ضمنه والفترة التي ألّفوا فيها، فقد يحاسب عالم على رأي قديم قد تراجع عنه لاحقا.

التهافت... وتهافته:

من أبرز الأمثلة على التداول والتدافع المعرفي في التراث الإسلامي؛ ما وقع بين العلمين الإمام أبي حامد الغزالي والفيلسوف المسلم أبي الوليد ابن رشد، في كتابيهما تهافت الفلاسفة وتهافت التهافت على التوالي.

يبرز هذا التدافع المعرفي رغم الحقبة الزمنية التي تفصل بين صدور الكتابين: فتهافت الفلاسفة ألفه الإمام الغزالي سنة 488هـ-1095م، بينما ألف ابن رشد كتابه سنة 575هـ-1180م؛ أي أن المدة الزمنية بينهما هي خمس وثمانون (85) سنة.

ويبرز كذلك رغم البعد الجغرافي؛ فالإمام الغزالي ألف كتابه عندما كان يعيش في بغداد تحت خلافة «أحمد المستظهر

= «رضائية» و«علنية»، ينظر المقال: «**رشيد أيلال.. القرآن لم يحرم الجنس خارج إطار الزواج**» في موقع برلمان، نشر بتاريخ 23 نوفمبر 2017، وتم الاطلاع عليه في 01 ديسمبر 2018 على الساعة: 22:29. الموقع: .https://www.barlamane.com



بالله» في عهد الدولة العباسية واستفحال دور السلاجقة والفتن المتراكمة بسبب المشاكل الداخلية والخطر البيزنطي من الخارج، أما ابن رشد فقد كان يعيش في إشبيلية وقرطبة في عهد الدولة الموحدية تحت حكم «أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن» الذي كان مهتما بمناقشة المسائل الفكرية ولو على حساب المواقف العسكرية الواجب اتخاذها، والذي كان من مقربيه الفيلسوف أبو بكر محمد بن طفيل[1].

فـ«التداول المعرفي» الذي وقع بين العالمين لا يمكن اجتثاثه من سياقه والحكم عليه مبتسرا، بل يفرض علينا أن نستحضر الجانب الاجتماعي والنفسي لكليهما[2]؛ فالغزالي عاش لمدة خمس وخمسين (55) سنة وألّف الكتاب وهو ابن ثمان وثلاثين، عندما كان مدرّسا بالمدرسة النظامية في بغداد ما بين: 484هـ-1095م/488هـ-1099م، وهو يواجه الفكر الباطني، فألّف في نفس السنة وبالتوازي مع «تهافت الفلاسفة» كتابه: «فضائح الباطنية».

---

(1) ينظر: الصلابي؛ علي محمد محمد، **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي**، ج5: **دولة الموحدين**، دار البيارق، عمان - الأردن، د.ت، ص:140 وص:153.

(2) يقول المفكر عبد الوهاب المسيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «.. إن الحكم (على الأفكار) يجب أن يسبقه عملية تفكيك وتركيب وتفسير وفهم،.. إن إشكاليتنا في العالم العربي هي أننا نندفع إلى الحكم الأخلاقي - وهذا شيء هام - فالحكم الأخلاقي إن لم يصدره الإنسان فهو ليس بإنسان، لكن قبل أن يصدر الحكم الأخلاقي لا بد أن يفهم الآخر، يفهمه حسب منطقه، وعليه أن يفهم دوافعه ولا يُسقط دوافعه عليه. وبعد كل هذا يصدر الحكم». المسيري، **الثقافة والمنهج**، ص:232.

أما ابن رشد الذي تأثر بكتابات ابن باجة[1] ـ منها ما انتقد فيها الإمام الغزالي في ميله نحو التصوف[2] ـ فقد عاش لمدة خمس وسبعين سنة، وألف كتابه وهو في السن الخامسة والخمسين، وكان قاضيا في إشبيلية، مشتغلا بدراسة مؤلفات أرسطو وترجمتها وشرحها بعد أن أبدى «أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن» غموضا في أغراض هذا «الحكيم» اليوناني[3].

رغم هذه الاختلافات يبقى أن ما يجمعهما هو غيرتهما على الدين والوقوف للدفاع عنه توجيها وتصويبا، وتبيينا للخطإ والأخذ بيد من أساء الفهم؛ تحصينا للعامة الذين لا يميزون، وتنبيها للباحثين إلى الأخطاء التي يرتكبون.

فالإمام الغزالي انتدب نفسه «لتحرير هذا الكتاب ردا على الفلاسفة القدماء، مبينا تهافت عقيدتهم، وتناقض كلمتهم، فيما يتعلق بالإلهيات، وكاشفا عن غوائل مذهبهم وعوراته»[4]، معتمدا منهج المحاججة والمناظرة فيعرض الرأي المخالف ثم ينقضه

(1) نشأ في سرقسطة ثم انتقل إلى شاطبة، عاش في الفترة: 473-532هـ/1080-1138م.

(2) Davidson; Herbert A., Alfarabi, Avicenna, And Averroes, On Intellect. Their Cosmologies, Theories Of The Active Intellect, And Theories Of Human Intellect. New York, Oxford: Oxford University Press, 1992. P: 258.

(3) ينظر: بالنثيا؛ آنخل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، 2011، ص:401.

(4) الغزالي؛ أبو حامد، **تهافت الفلاسفة**، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ط.4، د.ت، ص:75، وص:285.



بما تأتّى له من براهين وأدلة مُفرِّقا بين ما هو من أصول الدين وما ليس منه؛ فيقول في المقدمة الثانية مبينا الأقسام الثلاثة للخلاف مع الفلاسفة، أن «القسم الثالث: ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين... فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه»[1]، بخلاف «ما لا يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين.. لسنا نخوض في إبطاله، إذ لا يتعلق به غرض، ومن ظن أن المناظرة في إبطال هذا من الدين، فقد جنى على الدين وضعف أمره»[2]؛ ويضع الإمام الغزالي قاعدة كلية يبين فيها خطر الزيغ عن منهج الدعوة الذي خطه الإسلام بقوله: «ضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه، أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه»[3].

أما ابن رشد فقد سعى إلى تجلية ما قد يكون قد تشوش على الإمام الغزالي من فهم وما التبس عليه فيما أصدر من حكم؛ مبينا على لسان الفلاسفة أن «قصدهم إنما هو معرفة الحق. ولو لم يكن لهم إلا هذا القصد لكان ذلك كافيا في مدحهم... وليس يعصم أحد من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى بأمر إلهي، خارج عن طبيعة الإنسان، وهم الأنبياء»[4]. وموضحا خلل المنهج

(1) م.س، ص:81.

(2) م.س، ص:80.

(3) م.س، ص:80.

(4) ابن رشد؛ أبو الوليد، **تهافت التهافت**، قدم له وعلق على حواشيه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط.1، 1422هـ/2001، ص:236.

الذي اتبعه الإمام الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة» معتبرا أن نشر «الكلام في هذه الأشياء مع الجمهور هو بمنزلة من يسقي السموم أبدان كثير من الحيوانات التي تلك الأشياء سموم لها»... فانتدب نفسه ـ هو أيضا ـ لتبيان الزلل معتبرا أن من سقى «السم من هو في حقه سم على أنه غذاء، فقد ينبغي على الطبيب أن يجتهد بصناعته في شفائه. ولذلك استجزنا نحن التكلم في هذه المسألة في مثل هذا الكتاب. وإلا فما كنا نرى أن ذلك يجوز لنا...»[1]، ويضيف «.. ولولا ضرورة طلب الحق مع أهله،... والتصدي إلى أن يتكلم فيه من ليس من أهله، ما تكلمت في ذلك علم الله بحرف. وعسى الله أن يقبل العذر ويقيل العثرة، بمنه وكرمه وجوده وفضله، لا رب غيره»[2].

هذا الجدل المعرفي بين العالمين تراوح بين الاعتراف فيما توافقا عليه، وبين الإنكار والاستهجان لما يعتبره أحدهما في الآخر انحرافا عن الجادة؛ فيعترف الغزالي للفلاسفة ـ ومن خلالهم ابن رشد ـ أنه لا ينكر شيئا مما ذكروه[3]. كما اعترف ابن رشد للغزالي في بعض المواضع صحة اعتراضه: «وأما المعاندة العقلية التي أتى بها في هذا الباب لابن سينا، فهي

(1) م.س، ص:238.

(2) م.س، ص:375.

(3) الغزالي؛ أبو حامد، **تهافت الفلاسفة**، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ط.4، د.ت، ص:238.



معاندة صحيحة»[1].

ولكن وقعت بينهما بعض التجاوزات، وصل الأمر في بعضها إلى أن يصف الإمام الغزالي الفلاسفة بأنهم قد ينطقون بلفظ «تجملا بالإسلاميين، ولا يتم الدين بإطلاق الألفاظ الفارغة عن المعاني، فصرحوا بأن الله سبحانه وتعالى لا فعل له، حتى يتضح أن معتقدكم مخالف لدين المسلمين..»[2]، فيرد ابن رشد: «ولا شك أن هذا الرجل أخطأ على الشريعة كما أخطأ على الحكمة..»[3].

وازدادت النبرة شدة وغلظة بأن وصل الحكم إلى التكفير غير المعلن وإلى الوصف بالجهل مع سبق الإصرار، فيقول الإمام الغزالي في خاتمته: «.. قد فصلتم مذاهب هؤلاء، أفتقطعون القول بتكفيرهم، ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم؟! قلنا: تكفيرهم، لا بد منه، في ثلاث مسائل: إحداها مسألة قدم العالم،.. والثانية قولهم: إن الله تعالى، لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة.. والثالثة: إنكارهم بعث الأجساد وحشرها..»[4]، ويصف ابن رشد الإمام الغزالي بالجهل وبالشرارة ـ أي الشر ـ بقوله: «فهذا الرجل في أمثال هذه المواضع في هذا الكتاب لا يخلو من الشرارة أو الجهل، وهو أقرب إلى الشرارة منه إلى الجهل. أو

(1) ابن رشد؛ أبو الوليد، **تهافت التهافت**، ص:322.

(2) الغزالي؛ أبو حامد، **تهافت الفلاسفة**، ص:138.

(3) ابن رشد؛ أبو الوليد، **تهافت التهافت**، ص:375.

(4) الغزالي؛ أبو حامد، **تهافت الفلاسفة**، ص:307.

نقول إن هنالك ضرورة داعية إلى ذلك»[1]، إلا أنه يرجعها إلى طبيعة البشر التي يطالها القصور فيما تتعرض لها من الفلتات[2].

هذا التراوح بين الاستهجان والتفهم نجد آثاره في ثنايا الكتاب، وهو يبيّن الجانب البشري في العالِم/ الإنسان، المركب من الانفعالات والعواطف، من المشاعر والأحاسيس، المندفع أحيانا والمحجم أحيانا، فهو ليس ملكا لا يخطئ ولا شيطانا لا يتوب، وهذا «البينُ بين» هو ما أشار إليه بيجوفيتش نقلا عن «هرمان هِسَّه» على أنه «الطريق الثالث»، الذي افتقدته المنظومات الأخرى خارج روح الإسلام. فيعيد المحقق سليمان دنيا هؤلاء العلماء إلى حقيقتهم فيقول: «.. وإنما ينزلون هذه النصوص على المعنى الذي هداهم إليه تفكيرهم..»[3]، ويضيف «نعرف الغزالي في مظهر آخر غير هذا المظهر، نعرف الغزالي الذي يحتاط جد الاحتياط في مسألة الكفر والإيمان، حتى ليزجر الناس، عن أن يضعوا كلمة الكفر على أطراف شفاههم... وذلك حيث يقول: من كفّر مسلما فقد كفر»[4].

توضحت النية وتجلى المقصد، واختلفت الطريقة وتباينت بين علمين من أعلام التراث الإسلامي، ممن لا نشك في إخلاصه وورعه، وتبقى الأسئلة الجديرة والمحيرة:

(1) ابن رشد؛ أبو الوليد، **تهافت التهافت**، ص:261.

(2) م.س، ص:311.

(3) الغزالي، الهامش 3، ص:308.

(4) م.س، الهامش، ص:309.



- كيف نتصرف مع النصوص التي قرأناها بين العالمين، هل نعتبر أنهما أخطآ في التصرف، ونلتفِت عن كل كتبهما لأنهما لا يمثلان قيم الإسلام رغم ما في مؤلفاتهما من فوائد ودرر نافعة؟
- أم نعتبر السياق الذي وردت فيه فنبرر لها، ونحاول أن نجد لها ما يزيل الغبار عنها رغم نصاعتها؟
- أم أن الأمر مرتبط بطريق وسط يشيد بالمحاسن ويشين المساوئ؟
- هل نطبق المثل العربي المشهور أنه «لكل عالم هفوة» ونسكت عما تجادلا حوله على أساس أن ذلك من التاريخ؟ وعلينا الحذر من التعرض لهما فـ«لحوم العلماء مسمومة»؟[1]
- أم أن هناك حدودا لا يمكن التسامح فيها من مثل التكفير والتفسيق، ثم نسمح لأنفسنا بالرد عليهما وتبيان الأخطاء التي وقعا فيها؟

---

(1) تنسب هذه المقولة لابن عساكر الدمشقي، والعبارة المستعملة تستعمل في بعض الأحيان في غير محلها، فقد ربط ابن عساكر بين لحوم العلماء والافتراء عليهم بما هم منه براء، وهذا هو النص كما ورد في الكتاب: «واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء - رحمة الله عليهم - مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم...». الدمشقي؛ ابن عساكر، **تنبيه المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، دار الفكر - سوريا، ط.2، 1399هـ، ص:29.

- كيف يستفيد أبناء الأمة الإسلامية من هذا التداول المعرفي دون السقوط في فخ التقديس أو «التدنيس»؟ وكيف يمكننا الفصل بين نقد الفكر وانتقاد المفكر؟
- وهل يمكننا الحديث عن «التداول المعرفي» بين عالمين أو باحثين مع وجود اختلاف زمني قد يصل إلى مئات السنين واختلاف جغرافي يمتد إلى آلاف الكيلومترات؟

إننا من خلال أمثال هذه المطارحات المعرفية والتي يزخر بها الفكر الإسلامي نؤرخ للعلم ونرسم الصور الأولى لعلم اجتماع العلوم في شكله الحديث؛ ونسهم في وضع معالم «علم اجتماع العالم» من منظور الرؤية الكونية التوحيدية.

ويطرح صلاح الدين الهواري أسئلة في صميم «علم اجتماع العالم»، من مثل:

- «لماذا تجاهل مفكرو اليهود... مؤلفات الغزالي، في حين انكبوا على كتب ابن رشد شرحا وتلخيصا وترجمة؟»
- وما سر إقبال مفكري النصارى الغربيين على آراء ابن رشد الفلسفية لأول وهلة، ثم الانقلاب عليها ومحاربتها؟...
- وإذا كان ابن رشد قد قصد تبيان الحق والحقيقة والانتصار للشريعة والفلسفة معا، فلماذا حورب من دعاة الدين، وصودق وصدّق من أنصار الفلسفة؟...
- من مِن الرجلين كان الأشد انتصارا للحق والحقيقة؟ وما معيار هذين المفهومين عند كل منهما؟



- ما المكانة التي تبوأها كل منهما على ضوء ما قدمه للشريعة والفكر والإنسان؟»[1].

إن أمثال هذه الأسئلة تفتح آفاق الفهم أمام الباحث دون تسرع أو استعجال في الحكم، ودون تطرف أو مغالاة في النقد، وبهذا سنتعامل مع هؤلاء العلماء باعتبارهم بشرا في المقام الأول لا ملائكة منزهين ولا شياطين مدنسين.

⊙ «علم اجتماع العالم» في العصور المتأخرة:

من حسنات تطور العلم في المنظومة الغربية أنه تم تقنين العلوم ووضع مناهج للبحث فيها، رغم ما في بعضها من عيوب ضد الطبيعة البشرية، إلا أن ذلك سمح بأن يتمكن الباحث من مجال البحث الذي يدرسه.

والتطرق لـ«علم اجتماع العالم»، يستدعي الحديث عن «علم اجتماع المثقفين» (سوسيولوجيا المثقفين)[2] «***Sociology of Intellectuals***» أو «***Sociologie des Intellectuels***» في اللغتين الإنجليزية والفرنسية، باعتبار قلة تداول «علم اجتماع

(1) ابن رشد؛ أبو الوليد، **تهافت التهافت**، قدم له وعلق على حواشيه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط.1، 1422هـ/2001، ص:8-11.

(2) مثلا: ليكلرك، **سوسيولوجيا المثقفين**، وكذلك: مفلح، **في سوسيولوجيا المثقفين العرب**، و العمر؛ معن خليل، **علم اجتماع المثقفين**، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009. حيمر؛ عبد السلام، **في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين - من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل الاجتماعي - ومن منطق العقل إلى منطق الجسد** (أو **التطبع**)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت - لبنان، ط.1، 2009.

العلماء»[1] و«سوسيولوجيا المتحد العلمي»[2] في اللغات الثلاث ـ العربية والإنجليزية والفرنسية ـ وشيوع استعمال «علم اجتماع المثقفين» فيها، وكذا للتقارب بين هذه المعاني. والسؤال الذي يُطرح هنا هل «علم اجتماع العالم» هو نفسه «علم اجتماع المثقفين»؟

ظهر «علم اجتماع المثقفين» في نهاية العشرينيات، واتسم تاريخه بالتقلب، فمرة تتشكل ملامحه كعلم مستقل ومرة يندرج ضمن علوم أخرى مثل: «علم اجتماع المهن»، «علم اجتماع المعرفة»، «علم اجتماع العلوم»، وغيرها..[3]، وهو علم يهتم بدراسة فئة من يسمون بـ«المثقفين» ـ مع اختلاف في ضبط تعريف هذه الفئة ـ وعلاقتها بالمجتمع الذي تعيش فيه باعتبار التأثير والتأثر[4].

---

(1) أشار دومينيك فينك في الفصل: «العلم مؤسسة اجتماعية» في كتابه **علم اجتماع العلوم** إلى مفهوم «علم اجتماع العلماء» أنه «لا يزال هناك مساحة كبيرة لم تخضع للتحليل والتي ستكون موضوع علم اجتماع جديد يصاغ باعتباره علم اجتماع العلماء. (...) ظهر (...) بالتوازي مع أعمال علماء الاجتماع الوظيفيين الأمريكيين ومن أشهرهم (روبرت ميرتون)». فينك، ص:29.

(2) «Sociology of the Scientific Community»، ذكره كون في كتابه **بنية الثورات العلمية**، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، ص:41.

(3) ينظر:
Kurzman and Owens, P: 63. و «Antonelli».

(4) Eyal; Gil and Buchholz; Larissa, From the Sociology of ntellectuals to the Sociology of Interventions, The Annual Review of Sociology, Annu. Rev. Sociol. 2010. 36:117–37, 2010, p: 120.



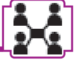
المطلب الثالث: طبيعة العلاقة بين العلماء في «المتحد العلمي»

رأينا فيما مضى في البحث أن العالم بالضرورة هو إنسان «ينتمي إلى كُلٍّ اجتماعي»، يعمل ضمن مجموع يتفاعلون مع «سؤال أزمة معرفية» يشغلهم جميعا دون سواه، وتتعدد المقاربات والمناهج من أجل الإجابة على «الأحجيات العلمية» التي تعترض مسيرتهم في البحث، فيتداولون الفكرة قبولا أو رفضا أو تصويبا ضمن «المتحد العلمي».

هذا التداول والنقاش بين العلماء أعضاء «المتحد العلمي»، هو حراك يقع بين بشر تحكمهم الطبيعة الإنسانية من عواطف وأحاسيس وملكات ذهنية، لها تأثير ليس فقط على الجانب الوجداني والسلوكي بل حتى على الجانب المعرفي، فمن «وجهة نظر «توماس كون»، فإن طراز العوامل التي تؤدي في الوقائع إلى جعل العلماء يغيرون النموذج هو موضوع بحث سيكولوجي واجتماعي»[1].

نحاول فيما يلي ذكر بعض الخصائص النفسية والاجتماعية والتنظيمية للحركية بين العلماء في المتحد، التي تحتاج إلى الاهتمام والرعاية لنحقق إنتاج المعرفة التي ننشدها، ونحن عند ذكرنا لهذه الخصائص لا ندعي الاستيفاء ولكن نحاول ذكر أهمها.

(1) شالمرز، **ما هو العلم؟**، ص:138.



1 خصائص الحركية بين العلماء في المتحد:

(أ) • الخصائص النفسية والاجتماعية:

في أحد المجالس التي ضمت بعض العلماء والباحثين، قال لنا أحد الدكاتره معبرا بأسف إنه لا يستطيع أن يعمل ضمن مجموع، وإنما أقصى ما يمكنه هو التركيز والعمل مفردا، وهو ممن يُشهد له بحركيته واجتهاده في مجال تخصصه. فهل هذا التصريح يمكن ضمه إلى تقييم المعرفة التي ينتجها المجتمع، أم نعتبر ذلك خارج العلم؟ يقول مالك بن نبي: «إن النشاط الاجتماعي والثقافي لفكرة ما، مرتبط في الواقع ببعض الشروط النفسية الاجتماعية التي بدونها تفقد الفكرة فاعليتها»[1].

هذه الشروط النفسية والاجتماعية تسهم فيها مؤثرات داخلية وخارجية تتجلى في تصرفات العالم/ الإنسان، في مواقفه وتعامله مع الآخرين، وتظهر جليا عند الأزمات والمحن التي يتعرض لها، كما رأينا مع الإمام البخاري، والإمامين الغزالي وابن رشد، ومع علماء آخرين[2].

◂ القابلية للعمل الجماعي[3]:

من أهم شروط العلاقة بين العلماء في «المتحد العلمي»

---

(1) بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ص:46.

(2) ينظر: مقال «فتنة العلماء... أو حين يتعفن الماء»، وكذلك «تشويه الرموز: البوطي والعلواني والترابي نموذجا» لـ: باباعمي، **في حب كلام الله**. ص:203 و209.

(3) ينظر في هذا المعنى باباعمي، محاضرة: «**الجماعة العلمية**» 2.



«القابلية للعمل الجماعي»، فإذا لم تكن لدى الإنسان القابلية أن يقود المجموع وأن ينقاد أيضا فإنه لن يستطيع أن يعمل مع باحثين آخرين، فلا يمكنه أن يقوم بكل الأدوار التي يتطلبها العمل الجماعي، لذا لا بد من تقاسم الأدوار والمسؤوليات مع الآخرين[1].

◄ **قبول النقد:**

يعيش الباحث في «المتحد العلمي» في جو هادئ أحيانا وفائر أحيانا أخرى، بما يمور من نقاشات وحوارات حول الفكرة وأحيانا ـ ومن طرف خفي ـ حول «ما حول الفكرة»، فـ«النموذج المعرفي» المشترك بين أعضاء «المتحد العلمي» لا يعني اتفاقهم الكلي في التفاصيل، مما يجعل الفكرة تتعرض للنقد والتمحيص قبل أن تظفر بالقبول والموافقة. «فكيف يتابع العلماء عملهم عندما يعون أن شيئا قد انحرف، بصورة جوهرية، في مستوى

---

(1) نذكر في هذا السياق ما أورده الشيخ محمد علي دبوز أن الشيخ أبا زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي بحكم اشتغاله بالإصلاح الاجتماعي وإشرافه على التعليم «لم يستطع أن يؤلف شيئا مما يشعر بحاجة زمانه إليه، فوجد في تلميذه القوة في ذلك فحثه على التأليف في الفنون المهمة على النحو الذي يليق بالنهضة الحديثة التي ينشئانها، إن الشيخ أبا زكرياء هو الذي دعا تلميذه لتأليف كتاب النيل، فله الفضل الأكبر في هذا الكنز الثمين، وقد عرضه عليه الشيخ عبد العزيز لما أتمّه فأقره، إن هذا يدل على علو مقام أبي زكرياء في العلم وتواضع تلميذه العظيم له». دبوز؛ محمد علي، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، ط.1، 2013، ص:266.
هذا النص الذي أورده الشيخ دبوز يستدعي قراءة جديدة للتراث الإسلامي، من مدخل المنهج والمعرفة، ومن زاوية «علم اجتماع العلوم».

لم يعدّهم تدريبهم على التعامل معه؟»[1].

إن تراوح العلماء بين رفض النقد وقبوله هي حالة إنسانية، لا يمكن الفكاك منها، على أن لا تكون سببا في التطرف والإقصاء. والحديث عن مثل هذه الحالات مفيد لطلاب العلم ذلك أنها ترسم لهم الطريق بين الأزمة والانفراج[2]، فالحاجة ماسة إلى قراءة «ما حول العلم»[3] لأنها تنفي المثالية وتسهم في مقاربة الواقع أكثر.

◄ المرونة:

يضطر الباحثون في «المتحد العلمي» إلى التنازل عن بعض قراراتهم العملية من أجل أن يستمر العمل ويتواصل، وإذا تصادف أن تشبث الأعضاء بها واعتبروها قضية مبدئية[4] ـ والتي قد تكون معاكسة ـ فإن العقبة ستكون كَأْداء، وتستحيل أن تستمر العلاقة وأن يكون هناك «إنتاج معرفي».

ويتجلى اختبار المرونة أكثر عندما يكسى بلَبُوس الدين، فيغلف

---

(1) كون، ص:171.

وهل يمكن اعتبار ما تعرض له «لينوس بولنغ» من محاولة تشويه السمعة أو التعصب الذي طال المرأتين من «جيمس واطسون» ضمن مفاجآت «علم اجتماع العالم»؟.

(2) باباعمي، **العلم والعالم**، ص:135.

(3) لا يفضل الدكتور أحمد موساوي ترجمة «Meta» إلى «ما وراء» أو «ما بعد»، لأنها «تجعل استعمال لفظ «Meta» استعمالا غير دقيق قد تترتب عنه نتائج مناقضة للمقصود»، بل يرى الأنسب هو «ما حول»، ينظر: موساوي؛ أحمد، **مدخل جديد إلى المنطق المعاصر**، ج2، معهد المناهج، الجزائر، 1428هـ/2007، ص:167-172.

(4) ينظر: بينيت وآخرون، ص:34.



بالتحريف في العقيدة والزيغ عن الدين أيُّ محاولة لاستخدام العقل عند أصحاب «الحرفية»[1] و«الحروفية»[2]، الذين يخلطون بين ثوابت الدين ومتغيراته، فتُسْتلّ سيوف التكفير من أغمادها، كما حدث بين الإمامين الغزالي وابن رشد، مما يضيف تحديات جديدة للوصول إلى حالة «المتحد العلمي» المنشود.

إن الشروط التي ذكرت هنا ليست من باب الحصر ولكن من باب الأهمية، فهناك شروط أخرى لم تذكر بالتصريح قد تكون ذكرت تضمينا، أو ذكرت في ثنايا هذا البحث.

(ب) • الخصائص التنظيمية:

يعتبر مالك بن نبي أن المنطق العملي الذي يعنى «بكيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه»[3] هو أحوج ما نحتاجه في حياتنا لأن العقل المجرد دون عقل تطبيقي عملي يعضده سيبقى ترفا فكريا، يعجب المنظرين ولا يستسيغه الباحثون عن التغيير والفعالية. فوجب النظر إلى بعض من الشروط التنظيمية التي تسهم في أداء «المتحد العلمي»، منها:

○ القائد، المربي، المحرك، الكاريزما... صفات ضرورية ولكن:

يتميز «المتحد العلمي» بالعمل الجماعي والحراك المتناغم

---

(1) المسيري؛ عبد الوهاب، **اللغة والمجاز بين التوحيد ووَحدة الوجود**، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط.1، 1422هـ/2002، ص:164.

(2) كولن، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص:14.

(3) بن نبي؛ مالك، **مشكلات الحضارة: شروط النهضة**، ترجمة: عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق - سوريا، 1986، ص:95.

والمتناسق، وهذا يظهر من خلال النتائج التي يحققها، والأعمال التي ينجزها، لكن وبتقريب المجهر والتركيز على العمل الداخلي نجد أن أعضاءه لا يتساوون في الجهد وفي الحركية، فنجد داخل هذا الجسمِ القلبَ الذي يضخ الدماء إلى أطرافه لتتحرك ـ مع الاختلاف في تحديد مصدر القرار في جسم الإنسان ـ، وهو الذي يمنح الحياة للمجموع في سياق ما، فارتباط المتحد رهن بوجوده[1] ـ إما في حالة شخص واحد أو مجموعة من الأفراد[2] ـ، وهو يمثل في جسد «المتحد العلمي»: «محرك المجموع»، أو «القائد»، أو «المربي»، إلى غير ذلك من الأوصاف.

«الكاريزما»: هو من يمتلك صفات القيادة إما من ذاته أو استلهمها من قوى خارجية، وهو إنسان متميز عن المحيط الذي يعيش فيه، ذاتي وعفوي، ومبدع، صاحب أفكار ثورية تغييرية، إنه مصدر حركية وتغيير في المجتمع»[3].

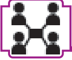
إن هذه الصفات قد تجتمع في شخص واحد بما حباه الله من مواهب، وبما أسهمت فيه بيئته من تنشئة ورعاية، وبما بذله من جهد واجتهاد، لكن تبقى كلها نسبية في تحقيق حالة

---

(1) ينظر:
El Kenz and Waast, p: 20.

(2) لا بد من أن يتحمل العبء في البداية فرد، إما فكرةً أو حركية ثم يصبح القلب «مجموعا»، وهذا هو الخيار الثالث.

(3) Hunt; Stephen, the Blackwell encyclopedia of sociology, edited by George Ritzer, BLACKWELL PUBLISHING, USA, 1st edition, 2007, p: 433.



«المتحد العلمي» و«إنتاج المعرفة»، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش «وحيد زمانه» أو أن يكون «روبنسون كروزو العلم»[1] إذا لم تكن هناك بيئة مساعدة، فالسنة الكونية تقول: ﴿...وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:32]، و«سخريا» تعني الاستخدام والانتفاع المتبادل[2]، فالقائد أو المربي وجوده ضروري في قيادة «المتحد العلمي»، وهو في نفس الوقت قاصر عن «إنتاج المعرفة» الجمعية إذا لم يكن معه من يسنده.

وفي هذا الإطار طوّر نموذج الرشد مفهوم «الجماعة العلم-عملية»، ليعبر عن مرحلة ما قبل الوصول إلى «المتحد العلمي»، والتي تتسم بالحركية التي تجمع بين الباحث العالم والمفكر بأجوبته المقترحة وبين العامل في الواقع (معلما، تاجرا.. إلخ) باختبار الأجوبة وتقديم التغذية الراجعة، ضمن بحوث الفعل الذي يعتبر أن العلم مزيج بين النظري والواقع[3].

(1) JACOBS, p:163.

(2) ينظر: بيوض؛ إبراهيم بن عمر، **في رحاب القرآن**، تفسير سورتي الشورى والزخرف، ج:17، تحرير: عيسى الشيخ بالحاج، نشر جمعية التراث، القرارة - الجزائر، 1429هـ/2008، ص:484.

(3) باباعمي، محاضرة: «**الجماعة العلمية**» 2.

○ تقسيم الأدوار[1]:

لقد اجتهد كل من مرتون وزوكرمان ووضعا تقسيما لأدوار الباحثين في «المتحد العلمي»، وهي أدوار تعاقبية، ينتقل فيها الباحث من دور إلى آخر، بين «الباحث» ***chercheur*** الذي مهمته الاستقصاء والبحث العلمي وتطوير المعرفة، إلى «المدرس» ***enseignant*** ومهمته توصيل المعرفة وإعداد من يخلفه، و«الإداري» ***administrateur*** الذي توكل إليه مهمة إدارة المؤسسة والعمل، والبحث عن ممولين، وأخيرا «المنظم_الضابط» ***régulateur*** الذي يقوم بتقييم أعمال الآخرين، واختيار أحد هذه الأدوار ليس عشوائيا بل يعكس السياق الذي ينشط فيه الباحث وكذا طبيعة التكوين الذي حصله في مساره العلمي[2].

2 مصادر قياس التداول بين العلماء:

يعتبر التداول بين العلماء ضمن «المتحد العلمي» من أهم عناصر اختبار «النموذج المعرفي» في الواقع، حيث بفضله سيزداد انتشاره وبالتالي نقده إيجابا أو سلبا، وإذا لم يحصل ذلك فإن أول الهادمين للنموذج هم أعضاء «المتحد العلمي» الذين تبنَّوْه، ولعل هذه الظاهرة من التداول أقوى في المجتمعات الغربية لنوايا مختلفة تتراوح بين «الدَّيْن الأخلاقي»[3] في العلاقة بين

(1) مع التنبيه إلى أن هذه الأدوار في «المتحد العلمي» قد تختلف في سياقنا، ولا يلتزم بها كلية بالضرورة.

(2) دوبوا، ص: 125-130.

(3) Dubois, p: 28.



اثنين والحاجة لتسديده، إلى التشهير بـ«النموذج المعرفي» الذي يتبنونه بدراسات نقدية فيها نوع من المجاملة[1].

ومن أهم مصادر قياس التداول بين العلماء نذكر:

المراسلات:

تعتبر المراسلات بين العلماء من أهم مصادر الدراسات المعرفية بما تحمله من مواقف ورؤى[2]، وما تقدمه من وصف لـ«ما حول العلم»، وما تؤرخ له من أفكار، وما كان يعيشه العلماء من حَراك فكري في تلك الفترة[3].

فهل تمت دراسة المراسلات بين العلماء من مدخل «علم اجتماع العلوم» الذي يؤرخ للعلم ويتتبع المعرفة وتطوّرها، أم أنّ جلّ الدراسات تحليلية ولكن في الحقول الأخرى غير هذا التخصص؟ فالتراث الإسلامي يزخر بنماذج من هذه المراسلات التي لم تكن مجرد تبادل للأخبار ووصفٍ للأحداث، بل كانت تعكس حالة من التداول المعرفيّ يمكن أن يسهم في التراث الإنساني العالمي.

---

(1) يدعو باتريك بايرت الباحثين إلى إنشاء علاقات جيدة مع النقاد، لأن النقد الإيجابي لصالح المنتج المعرفي يزيد في انتشاره، ينظر:
Baert; Patrick, The sudden rise of French existentialism: a case-study in the sociology of intellectual life, Springer Science+Business Media, Published online, 14 September 2011, p: 627.

(2) ناصر؛ محمد، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، ط.1، 1439هـ/2018، ص:68.

(3) .Dubois, p: 10

الاطلاع على إنتاج الآخرين:

يحتاج أي إنسان في الوجود أن يسمع رأي الآخرين حول عمله إيجابا أو سلبا، فالإحساس بالتفاعل محفز على العمل وللمضي قدما، والحاجة أكثر لأن يجد العالم صدى ما كتب في واقعه إما تعليقا أو تفعيلا. ويعتبر التفاعل بين العلماء من أثمن ما تستفيد منه الأمة، فهو يزيد في البناء المعرفي ويشد بعضه بعضا.

ومن بين الأمثلة نذكر الشيخ أبا اليقظان وهو في مرضه يقول: «أتممت مطالعة الكتاب «عروبة ودين» ثم زدت مطالعة كتاب «الإسلام المفترى عليه» لمحمد الغزالي إلى أن أتممته، ثم أخذت في مطالعة كتابٍ له «نظرات في القرآن» وهو كتاب نفيس جدا...» إلى أن يقول: «أتممت كتاب **الجُنّة في وصف الجنة** وعدت إلى **نظرات في القرآن**، فإذا أتممته أستأنف مطالعة **مع الله** ثم أجيبك برأيي فيه إن شاء الله..»[(1)].

وقد قننت المنظومة الغربية هذا الفعل باستحداث منصب «المُراجع» «***reviewer***» المكلف بالاطلاع على الإنتاج الأدبي والفني بمختلف أنواعه، ويقدم قراءته على العمل من نواحيه المختلفة، وقد حفزت هذه القراءات النقدية القراء للإقبال على أعمال والإحجام عن أخرى ـ مع اختلاف في النوايا والمقاصد ـ.

فهل نحن بحاجة إلى استحداث هذه المهمة في دور النشر

(1) ناصر، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، ص:84.



في سياقنا الحضاري؟ أم أننا بحاجة لمعالجة إشكال المقروئية بين النخبة ومن بعدها لدى القراء الآخرين، للوصول إلى هذه المهمة بصورة آلية؟

الدراسات النقدية:

من أقوى طرق التداول بين العلماء الدراسات النقدية؛ فهي تدفع إلى القراءة المتأنية للمنتج المعرفي، ومن ثم تقديم ملاحظات جوهرية دقيقة إما معرفية أو منهجية، وكلها تزيد في الحراك الفكري والمعرفي، يقول الرازي معلقا على بعض آراء جالينوس في كتابه «شكوك على جالينوس»: «صناعة الطب والفلسفة لا تحتمل التسليم للرؤساء، والقبول منهم ولا مساهلتهم وترك الاستقصاء عليهم»[1].

ولكن كيف يمكن أن نجمع بين الدراسة النقدية «الموضوعية» وبين تحيزات الناقد المذهبية والفكرية، هل بالإمكان تجاوز الثنائية الاختزالية «الذاتي والموضوعي»؟ في سياق حضاري مفتت يعتبر بعض الأعراق أعلى شرفا وأقدس نسبا من أعراق أخرى؟ أم أن الناقد مطالب بداية بالإفصاح عن توجهاته الفكرية وتحيزاته، ومن ثم يقدم نقده بكل حرية؟ وهل هذا ممكن في السياق الحضاري المتأزّم[2] الذي لم يتجاوز بعد حالة التفكير

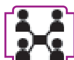
(1) مورجان، **تاريخ ضائع**، ص:186.

(2) ما نعنيه بالسياق الحضاري المتأزّم، هو السياق الذي تعيشه الأمة الإسلامية الباحثة عن سبل النهوض بعد الانتكاسة، فالبوصلة موجودة ولكن الآليات والوسائل التي لا تناقض الرؤية الكونية التوحيدية لا تزال مفقودة، وإن وجدت فهي لم ترق بعد إلى

الأحادي، ولم يستطع بعد التفريق بين الثوابت والمتغيرات؟

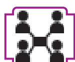


مستوى الفعالية والتأثير الشامل في مناحي الحياة، وسمي السياق متأزّما لأن هناك محاولات جادّة تذكر فتشكر، هي في حاجة إلى تكثيف لتسهم في تحقيق النهضة المنشودة.



مستخلص الفصل

- لا يوجد اتفاق على ترجمة مفهوم (*scientific community*) إلى العربية ما بين «الجماعة العلمية» و«المجتمع العلمي» و«المتحد العلمي».
- استعمال منهج «الزمرة المصطلحية» أو «العناقيد الاصطلاحية» هو المخرج في ترجمة المفهوم إلى العربية حتى لا تختزل الترجمة في بعد دون آخر مما يشوش في تلقي المفهوم في اللغة المترجم لها.
- تقصي تاريخية مفردة ما في اللغة العربية من أصعب المهام التي تعترض الباحث لعدم وجود معاجم لتاريخية المفردات العربية، وافتقاد اللغة العربية في عصرنا إلى مجامع لغوية توحد المصطلح المترجَم.
- تنتمي زمرة «المتحد العلمي» (*Scientific Community*) إلى الحقل المعرفي الذي يعنى بدراسة الجانب الاجتماعي للعلم وحياة العالِم.
- «المتحد العلمي» هو «ملكات ذهنية، واستعداد فطري واكتسابي، للعمل الجماعي بين باحثَيْن أو أكثر، من تخصص مشترك أو من تخصصات متعددة، تجمع بينهم قيم مشتركة وعلاقات اجتماعية ومهنية، غير مقيدة زمانا أو مكانا، يحاولون الإجابة على أحجيات «سؤال الأزمة» المشترك ضمن صبغة النافعية للخلق».



- لا يمكن إعطاء تعريف حدي للنموذج المعرفي لعدم انضباطه في اللغة الأصل، فتنوعت الترجمة بالتبع.
- يمكن وضع تعريف إجرائي للنموذج المعرفي؛ أنه أداة تحليلية منهجية لفهم تركيبية الواقع والظاهرة الإنسانية والتعامل معها، يصوغها عقل الإنسان (بشكل واع أو غير واع) من كم هائل من العلاقات والتفاصيل والحقائق، تستند إلى مجموعة من المعتقدات والعلاقات والفروض والمسلمات وإجابات عن أسئلة كلية ضمن «نسق كامن».
- صياغة «النموذج المعرفي» يتوصل إليها الباحث بعد فترة طويلة من الملاحظة والتأمل والتساؤل، وتقديم جواب مفترض على أسئلة كلية توضح العلاقة مع الله والإنسان والكون (الرؤية الكونية)، واختبار هذا الجواب المفترض في الواقع؛ وكلما قدم أجوبة كلما زاد كثافة وقدرة على التحليل وأصبح «أكثر تفسيرية».
- ميلاد «النموذج المعرفي» شرط في تأسيس «المتحد العلمي»، ووجود «المتحد العلمي» شرط في استمرار حياة النموذج.
- العلاقة بين «المتحد العلمي» و «البراديايم» علاقة تبادلية؛ علاقة تأثير وتأثر.
- محور «النموذج المعرفي» أو «البراديايم» هو «سؤال الأزمة»؛ السؤال عن الوجهة والغاية والأهداف والمناهج، فهو الذي يوجه الطاقة والجهد الذي يولده القلق والتوتر حيال الأزمة الحضارية للأمة.

- وضع إطار محدد وثابت لدلالة العالم هو مهمة شاقة وقد تكون غير ناجحة، بل وغير مهمة أيضا.
- لا يخضع مفهوم «العالِم» لمرجعية فكرية واحدة لها السلطة في إثبات تعريف واستبعاد آخر.
- استطاع «علم اجتماع العالم» في المنظومة المادية الغربية تقنين ممارسة العلم وتنظيمه؛ فحقق فعالية وحراكا عمليا في الواقع الذي يحيا فيه، إيجابا أو سلبا.
- يلاحظ على خصائص «علم اجتماع العالم» أنها ليست دائما موجودة وحقيقية، بل قد نجد تجاوزات في الواقع.
- تنقسم المعايير التي تحدد دور العالم في المنظومة التوحيدية إلى حدّية شمولية مرتبطة بوظيفته ودوره، وأخرى ثانويّة مرتبطة بطبيعة تخصّصه، ومجال بحثه وممارسته.
- مقاييس العالم بين المنظومتين المادية الغربية والتوحيدية الإسلامية تتفقان في الكثير منها ماعدا فيما يخص الفصل بين «الذاتي» و«الموضوعي»؛ فالحياة الشخصية للعالم لا دخل لها في تقييم العلم من منظور الرؤية المادية.
- ظهرت في العهد النبوي وفي عهد الصحابة الكرام حوادث تمثل صميم «علم اجتماع العالم»، من نقاشات فكرية وتداول حول مقاربات للحلول وتطبيقات للفهوم، مما أقره الرسول ﷺ في حياته، وما توافق عليه الصحب الكرام من بعده.
- بذل العلماء في سبيل تدوين الصحيح من الحديث جهدا

معتبرا يصب في صميم «علم اجتماع العالم»؛ فكانوا يرحلون ويتنقلون مسافات طويلة في سبيل الاستماع إلى الراوي، والوقوف على حاله وحياته والاستماع إلى مقاله ومروياته.

- «الجرح والتعديل» أو علم «ميزان الرجال» هو بمثابة الملامح الأولى لـ«علم اجتماع العالم».
- قدمت لنا قصة «التهافت» و«تهافته» نموذجا آخر في التداول المعرفي وملمحا آخر من ملامح «علم اجتماع العالم» قبل تسميته، فالتداول وقع بين عالمين من مكانين مختلفين وزمانين متباعدين.
- الشائع في السياق الغربي استعمال «***Sociology of Intellectuals***» أو «***Sociologie des Intellectuels***» للدلالة على «علم اجتماع العالم».
- تتكثف العلاقة بين العلماء في «المتحد العلمي» بتحقق خصائص نفسية واجتماعية وتنظيمية من مثل: القابلية للعمل الجماعي، وتقبل النقد، والمرونة في التعامل مع المستجدات، ووجود محرك دافع ومجموع مساند يتقاسمون الأدوار.
- يحقق «النموذج المعرفي» وجوده في الواقع بالتداول المعرفي الذي ينشأ بين أعضائه، والذي يمكن قياسه من خلال ما يتبادلون من مراسلات وتفاعلهم فيما بينهم مع ما ينتجونه اطلاعا ونقدا.





الفصل الثاني

فريق البحث العلمي، والمشاريع البحثية الجماعية (1990 - 2006)



الفصل الثاني: «فريق البحث العلمي»، والمشاريع البحثية الجماعية (1990-2006)

تمهيد

بعد الحديث عن «المتحد العلمي» وعلاقته بالنموذج المعرفي وبالعالم، وبعدما فصلنا البحث في موضوع «علم اجتماع العالم»: أصل التسمية وطبيعة العلاقة بين العلماء داخل «المتحد العلمي»، نتناول في هذا الفصل تاريخية إنشاء «فريق البحث العلمي لجمعية التراث»، والظروف التي نشأت فيها الجمعية ومراحل تأسيس فريق البحث، كما سنذكر الشخصيات التي أثْرت المسيرة وأثّرَت في المسار، فأنتجت تلك الأعمال الجماعية في الفترة ما بين 1990 بعد حصول جمعية التراث على الترخيص القانوني، و2006 باعتبار آخر عمل جماعي صدر وهو «معجم مصطلحات الإباضية»، على أن الجمعية وأعمال فريق البحث العلمي لازالت متواصلة.

نسعى من خلال هذا الفصل إلى تقديم صورة تقريبية عن المشاريع البحثية الجماعية التي أنجزها فريق البحث العلمي وهي: «فهرسة شرح النيل»، و«معجم أعلام الإباضية»، و«دليل مخطوطات وادي ميزاب»، و«معجم مصطلحات الإباضية»، وأيضا المشاريع التي تم التفكير فيها ولم يتم إنجازها.

ولن نتحدث عن الأعمال الفردية التي قام بها أعضاء الفريق

من تآليف، كما أننا لن نتعرض في هذا الفصل لأعمال جماعية أنجزت خارج فريق البحث العلمي من مثل «المطياف القرآني» و«الأيام البكرية المسورية» والتي سنتعرض لها في الفصل الثالث.

في هذا الفصل نقوم بتحليل تلك المشاريع البحثية من خلال ثلاثية: التنظيم، والتكوين، والنشر المعرفي، باعتبارها مؤشرات على وجود «المتحد العلمي»، ونرى إمكانية إسقاط معايير «المتحد العلمي» كما ضبطه «علم اجتماع العلوم» في السياق الغربي على «فريق البحث العلمي» وعلى بيئته.

عرضنا لفريق البحث العلمي ليس بهدف المحاسبة وتبيان الأخطاء التي قد توجد في المسار، ولكن بهدف الغوص في الأسباب التي ساعدت في إنجاز تلك المشاريع البحثية في مدة 16 سنة من العمل، وكذلك استكشاف الإيجابيات وتعزيزها ومعرفة النقائص لتلافيها ضمن مشاريع «نموذج الرشد»، والتحديات التي واجهت الفريق وكيف تخطاها وحقق أهدافه التي كان يصبو إليها.

سنحاول في هذا الفصل الإجابة عن بعض الأسئلة:

- هل يحتكم «فريق البحث العلمي» إلى «نموذج معرفي» جامع؟
- هل يكوّن فريق البحث متحدا علميا؟ أو إرهاصا له؟ أم أنه مجرد عمل بحثي جماعي وُجد في فترة فراغ تنظيمي للطلبة والباحثين؟

- هل كان بإمكان الفريق إنجاز هذه المشاريع البحثية دون وجود إطار تنظيمي ألا وهو «جمعية التراث»؟
- هل يمكن إنجاز أمثال هذه المشاريع دون الارتباط بسلطة إدارية أو مالية؟
- هل سارت المشاريع البحثية على وتيرة واحدة أم أنها اختلفت في التحديات وفي الإنجازات أيضا؟



المبحث الأول جمعية التراث من الفكرة إلى تأسيس الفريق

المطلب الأول: جمعية التراث... من التوتر إلى الفعل الإيجابي

اتخذت جمعية التراث شعارا لها: «المعرفة، والتعارف، والاعتراف»[1] الذي سكه الشيخ علي يحيى معمر[2]، ليحطم به التعصب المقيت لأي فكرة؛ مهما كانت، وأبدل بهذا التعصبِ التحيزَ المحمود الذي يحفظ للإنسان خصوصيته دون استعلاء، ويعرّفه بحدوده دون دونية أو ذوبان.

(1) يقول الشيخ علي يحيى معمر: «... فبالمعرفة يفهم كلّ واحد منّا ما يتمسّك به الآخرون، ولماذا يتمسّكون به، وبالتّعارف يشتركون في السّلوك والأداء الجماعيّ للعبادات، وبالاعتراف يتقبّل كل واحد منهم مسلك الآخر برضى، ويعطيه مثل الحقّ الذي يعطيه لنفسه، سواء اجتهد فأصاب أو اجتهد فأخطأ»، ينظر: معمر؛ علي يحيى، **الإباضية بين الفرق الإسلامية**، مراجعة: بكير بن محمد الشيخ بالحاج، نشر جمعية التراث، القرارة - الجزائر، ط.3، 1423ه/2003، ص:1.
ويقول بيجوفيتش: «المعرفة هي أقوى علاج ضد الكراهية»، بيجوفيتش، **هروبي إلى الحرية**، ص:186.

(2) الشيخ علي يحيى معمر (ولد في: 1337هـ/1919- وتوفي في: 1400هـ/15 جانفي 1980) من شيوخ الإباضية في ليبيا، تعرض للمضايقات السياسية زمن الرئيس معمر القذافي، «مضى إلى ربه شهيدا في ميدان العلم والدين الحنيف، تاركا للأمة الإسلامية نموذجا حيا للعالم المسلم، والمجاهد المخلص، والمؤلف الصادق»، ينظر: لجنة البحث العلمي لجمعية التراث، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي**، ج2، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط.2، 1421ه/2000، الترجمة رقم: 640.



اتخذت الجمعية هذا الشعار وهي تتشكل نشاطا ثقافيا جزائريا وسط حراك معرفي تمخض عن محاولات الإنسان الجزائري أن يضع قدما راسخة بعد خروجه من محنته الطويلة تحت حكم الاستعمار الذي محا عنه الكثير من معالم شخصيته؛ فاستورد تجارب حاول أن يتأقلم معها[1] وينتصر لها ـ ولو كانت مناقضة لجيناته في بعض الأحيان ـ.

في هذا الوسط المضطرب والسياق المتأزم، اشتعل النقاش واحتدم بين دعاة «الأصالة» ودعاة «الحداثة»، بين المتمسكين بالتراث وبين المتحررين من كل موروث، وحتى بين التيارات النقدية الأدبية، فانتقل النقاش في بعض الأحيان من الحوار الهادئ[2] بالعقل إلى الصدام والفوضى، وتأثرت كل أطياف المجتمع بهذا الفوران، وكان على رأسها كل مهتم بالشأن الثقافي.

كانت الجامعة الجزائرية حقلا خصبا لهذه النقاشات التي

(1) حاولت الحركة الإصلاحية في الجزائر أن تستفيد من التجارب الموجودة في العالم الإسلامي، فأرسلت البعثات العلمية للتكوين، وكذلك حاولت أن تطبق بعض الإصلاحات الجديدة في البيئة الجزائرية بما يرفع من مستواها ويزيل عنها غشاوة الجهل التي تفشت في أوساطها.

(2) نذكر هنا النقاش العلمي الذي جرى على صفحات جريدة الشعب بين د. محمد حسين الأعرجي (العراقي) من جهة ود. محمد ناصر وأ.إبراهيم بحاز من جهة أخرى حول تحقيقهما لكتاب «**أخبار الأيمة الرستميين**» لابن الصغير، في خمس مقالات ثم الرد عليه في ثلاث مقالات، وهذا التداول العلمي لم تشهده الساحة الجزائرية كثيرا، وكانت المقالات ما بين 8-13 جويلية 1986، والردود عليها ما بين 1-4 أكتوبر 1986. ينظر: ناصر؛ محمد صالح، **ذكرياتي ومذكراتي** (1357-1435هـ/1938-2014)، ج2، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 1435هـ/2014، ص:514-515.

كانت مفيدة في عمومها، رغم سلبية الأفعال في بعض الأحيان؛ لأنها كانت دافعة للحركية والنشاط الفعال، ولعل من بركات ذلك؛ التفكير في إنشاء جمعية التراث التي اتخذت من التعريف بالمذهب الإباضي نشاطا لها، لِما طال المنتمين إليه من تهميش وتخوين وتكفير، فاضطر الأكاديميون الإباضية ـ على قلّتهم ـ والشيوخ إلى الدفاع عن أنفسهم وتبيين الحقيقة لمن يجهلها.

ومن بين من عاش هذا الحراك وهذا التضييق د. محمد ناصر[1]؛ ليس لكونه إباضيا فقط ولكن لكونه محسوبا على الإسلاميين الذين كانوا غير مرغوب فيهم، فتصدى لذلك بكتاباته، ونقاشاته، ومحاضراته التي كان يلقيها في حرم الجامعة دفاعا عن الإسلام والعربية.

وضمن محاولاته الدفاع عن الهوية الجزائرية المتعددة الأبعاد، راودته[2] فكرة إنشاء جمعية تقوم بنشر التراث الإباضي والتعريف به في الأوساط الثقافية، وتحافظ على وحدة الوطن ضد من يسعون إلى التخريب فيه وتأجيج الفتنة بين أبنائه، ولتنسيق الجهود مع العاملين في الميدان.

---

(1) أ.د محمد صالح ناصر: **الأديب الشاعر،... حياة جهاد.. «في رحاب الله»**، ينظر ترجمة حياته في الكتيب الذي أصدرته مؤسسة وسام العالم الجزائري، وفي موقع المؤسسة: www.algerianscholaraward.org.

(2) ينظر: **فريق البحث العلمي لجمعية التراث مكابدة.. نحو جماعة علمية**، كتيب تعريفي بمناسبة تكريمه في حفل وسام العالم الجزائري، نشر معهد المناهج، الجزائر، 1436هـ/2014، ص:20، وموقع المؤسسة.



فكان أن بادر بطرح الفكرة على بعض المهتمين من المشايخ وبعض من المثقفين الجامعيين الموجودين في العاصمة فاستحسنوا الفكرة وساندوها، ويذكر «من بينهم لأفضلية الريادة: الأستاذ بكوش يحيى[1]، القاضي بالمحكمة العليا، ومستشار وزير العدل، والأستاذ محمد عيسى وموسى: نائب مدير المكتبة الوطنية ورئيس قسم الدوريات بها، وناصر موسى بن يوسف الأستاذ بإحدى متوسطات العاصمة»[2]، وابتدأ العمل في شهر جانفي 1983.

اتسعت بعد ذلك دائرة المهتمين والمساندين لهذه الجمعية الفتية فاستقطبت إليها مشايخ جمعيات الحركة الإصلاحية في

---

(1) يحيى بكوش (17 أوت 1932 - 17 فيفري 2014)، ولد في غرداية وفيها توفي، درس بمعهد الحياة الثانوي بالقرارة ولاية غرداية، التحق بجبهة التحرير الوطني، منها وُجه لإكمال دراسته في جامع الزيتونة وحصل على شهادة العالمية في الشريعة الإسلامية، وحصل على البكالوريوس في الحقوق من جامعة بغداد سنة 1962. عمل قاضيا بمحكمة البليدة، ونائبا عاما مساعدا بمجلس قضاء ورقلة، نائبا عاما بالمحكمة العليا. استقال من منصب النائب العام سنة 1988، ورفض منصب وزير العدل، بعدها تفرغ للمحاماة حتى سنة 1998. ترأس اللجنة الوطنية للتعريب في الجزائر، درّس في كلية الحقوق، وفي المدرسة الوطنية للإدارة، وفي معهد تكوين القضاة، ومعهد تكوين الكتّاب القضائيين، وأشرف على لجنة صياغة قانون الأسرة في الجزائر. من إنتاجه العلمي: «**أدلة الإثبات في القانون المدني الجزائري مقارنة بالفقه الإسلامي**»، «**فقه الإمام جابر بن زيد**» من أهم مراجع الفقه الإباضي، «**صياغة الأحكام القضائية ونظرية البطلان في قانون الإجراءات المدنية الجزائرية**». ينظر: **موسوعة خريطة العلم الجزائري** (مخطوط)، تأليف: مجموعة من الباحثين بالاشتراك بين معهد المناهج ومؤسسة وسام العالم الجزائري.

(2) **ذكرياتي ومذكراتي**، ج1، ص:493.

وادي ميزاب[1]: وعلى رأسهم المشايخ: الشيخ عدون[2]، والشيخ القرادي[3]، والشيخ حمو فخار[4] رَحِمَهُمُ اللَّهُ الذين واكبوا تطوراتها حتى وفاتهم.

وبمناسبة الإصلاحات السياسية وصدور الترخيص بإنشاء الجمعيات[5]، بادرت جمعية التراث إلى الترسيم القانوني وحصلت عليه في ماي 1989، وكان ذلك حافزا ودافعا للعمل المنظم والمعلن، فانعقد لقاء عام حضره المثقفون من مختلف قرى وادي

---

(1) من المشايخ الذين ساندوا الفكرة: الشيخ حمو فخار في غرداية، والشيخ أبي القاسم عبد الحميد في مليكه، والشيخ أحمد أوراغ في بريان، وحنِّي بكير في بنورة، كما كان صديقاه أحمد جهلان، وقاسم بكوش أكبر سند له.

(2) الشيخ سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون) (ولد في: 1902، وتوفي سنة 2004)، من أعلام الحركة الإصلاحية في الجزائر ووادي ميزاب، تولى عدة مسؤوليات ورافق العديد من الشخصيات الإصلاحية، تحدث عن مناقبه مشايخ من بينهم: الشيخ أبو اليقظان والشيخ بيوض والشيخ الدبوز، وغيرهم، ينظر: ناصر بوحجام؛ محمد، **الشيخ عدون بأقلام أصدقائه وأبنائه**، جمعية التراث، القرارة - غرداية - الجزائر، ط.1، 1430هـ/2009.

(3) يعتبره الدكتور محمد ناصر ممن أسهم بفعالية في إنشاء جمعية التراث، ينظر: ناصر؛ محمد، **مشايخي كما عرفتهم**، دار الريام، الجزائر، ط:1، 1429هـ/2008، ص:274.
إبراهيم بن يحيى الحاج أيوب (القرادي)، ولد في: 1923، وتوفي سنة: 1989 بالمدينة المنورة. عالم وعلم من مواليد العطف، الجزائر. ينظر ترجمته: **معجم أعلام الإباضية**، الترجمة رقم: 054.

(4) ناصر، **ذكرياتي ومذكراتي**، ص:493.

(5) تنص المادة 39 من دستور 1989 والمؤرخ في 23 فبراير سنة 1989، أن «حريات التعبير، وإنشاء الجمعيات، والاجتماع، مضمونة للمواطن». ينظر موقع رئاسة الجمهورية الجزائرية: http://www.el-mouradia.dz.



ميزاب[1] لانتخاب الإدارة في فيفري 1990[2]، فانتخب الشيخ عدون رئيسا، والأستاذ سعيد كعباش كاتبا عاما، والسيد جهلان أحمد أمين المال، ود. محمد ناصر رئيس المجلس العلمي للجمعية، وباقي رؤساء الجمعيات أعضاء في المجلس الإداري الذي يعقد جلساته مرة كل شهر على الأقل، وتُعرض عليه التقارير المالية والأدبية لسير الجمعية[3].

جاء الترسيم ليتوج أعمالا وجهودا بذلت للتعريف بالتراث الإباضي من خلال «تصوير كل المقالات والبحوث الصادرة بالدوريات الداخلية والخارجية عن الإباضية تاريخا، وفكرا، وحضارة»[4]، وتوجيه الباحثين وتشجيعهم بطباعة الأعمال الجادة، وكانت البداية بطباعة ماجستير إبراهيم بحاز التي ناقشها في جامعة بغداد وكانت حول الدولة الرستمية عام 1984.

وقد عرفت الجمعية قبل ترسيمها توجها نحو التأليف الجماعي ابتدأ بباحثين وبعملين هما:

1. **أخبار الأئمة الرستميين**: ابن الصغير، تحقيق وتعليق:

---

(1) ينظر نص الدعوة بعنوان: «دعوة من جمعية التراث بالقرارة إلى النخبة المثقفة لاجتماع عام من أجل التراث» في: **ذكرياتي ومذكراتي**، ج2، ص:575.

(2) حضره د. محمد باباعمي وكان طالبا فطرح السؤال عن وجود عمل بحثي جماعي فأجاب الدكتور ناصر الذي كان يسير اللقاء أنه حاليا لا توجد... وبعدها تحقق السؤال بالعمل.

(3) **ذكرياتي ومذكراتي**، ص:496.

(4) م.س، ص:497.

د. محمد ناصر وبحاز ابراهيم. ط. لافوميك، الجزائر، 1986م.

2. شاعر الثورة التحريرية مفدي زكريا في الصحافة الوطنية من جانفي 1986 إلى جويلية 1987م (بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة الشاعر): إعداد د. محمد ناصر وعيسى وموسى محمد. ط. بالرونيو، القرارة، 1987م.

وهذا المؤلف الأخير هو استفادة من العمل الذي وكل للدكتور محمد عيسى وموسى في إطار جمعية التراث وهو: «الملفات الصحفية»[1]؛ يهتم بمتابعة ما ينشر في الصحافة الوطنية عن وادي ميزاب والإباضية في جميع الميادين، وبكل اللغات، وتصويره حسب الزمن وحسب الموضوعات، لتسهيل الوصول إلى أي موضوع نشر في الصحافة، ما بين 1985-1991، ووصل عدد المواضيع إلى حوالي 777 موضوعا، وحجم الصفحات: 1449 صفحة[2].

وبفضل الترخيص القانوني والحق في النشاط العام، نظمت «نجم الأدب الإسلامي» بحضور الجمعية أياما تعريفية حول

---

(1) يشاء الله أن أتصل بالدكتور محمد عيسى وموسى بتاريخ 12 جانفي 2019، على الساعة 18:52؛ من أجل عقد لقاء معه حول «الملفات الصحفية» أضمها إلى مادة البحث، فأجابني حفيده أنه لا يمكنه الحديث، ثم يأتينا خبر وفاته رحمه الله في 02 فيفري 2019، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه الفردوس الأعلى، وقد نعاه الكثيرون، فقد كان العامل في صمت والعالِم المربي الذي رعى الطلاب وبخاصة في إدارته لكلية المنار المسائية بالحميز. ينظر ما كتب عنه د. محمد ناصر بوحجام ود. محمد باباعمي.

(2) **جمعية التراث: ادّكار - اعتبار - استنفار**، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية - الجزائر، 1412هـ/1992، ص:10.



الفكر الإباضي في قاعة ابن خلدون بالعاصمة لمدة ثلاثة أيام: 16-18 شوال 1411هـ/1-3 ماي 1991م، شارك فيها أساتذة جامعيون وحضرها شخصيات مختلفة من بينهم: الشيخ محفوظ نحناح، ومحمد الشريف مساعدية، والأستاذ محمد الهادي الحسني، ود. عبد الرزاق قسوم، وأسماء أخرى.

المطلب الثاني: من الفكرة والترخيص إلى روح الجماعة والترصيص

في شهر نوفمبر 1991 انتقل د. محمد ناصر إلى سلطنة عمان للتدريس، فأسنُدت مهمة الأمانة العامة للجمعية للمرحوم بكير أولاد بابهون[1] الذي قام «بمهمته أحسن قيام إلى أن توفاه أجله»[2]، بمساعدة محمد باباعمي القائم على مكتب الجمعية والذي كان في تواصل مباشر مع د. محمد ناصر، مسؤولا على لجنة الطباعة والتأليف[3].

---

(1) بكير بن محمد أولاد بابهون: (و: 1354هـ/1936 - ت: 1412هـ/1992)، علَم بارز، شخصية جامعة بين الأصالة والعصرنة. ينظر ترجمته في: **معجم الأعلام الإباضية**، ج2، الترجمة رقم: 207.

(2) **ذكرياتي ومذكراتي**: ج2، ص:501.

(3) أخبرني بذلك في لقائي معه بمعهد المناهج بتاريخ 20 جانفي 2019، ثم وجدت مراسلة موقعة باسمه بتاريخ: 10 شوال 1412هـ/13 أفريل 1992، إلى مكتب الجمعية في موضوع: «المخطط السنوي للجنة الطباعة والتأليف، سنة 1412هـ/1992». ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة الموجودة في مكتبة معهد المناهج بعنوان: «المتّحد العلمي» في السياق الحضاري المتأزّم، على ضوء نموذج الرشد: «فريق البحث العلمي» لجمعية التراث الجزائرية (1990-2006) نموذجا.

ونقرأ في مذكراته: «مارس 1992: لقاء مع [أحمد] جهلان و[بكير] ببهون: الخبر =

ونذكر هنا أن العلاقة بين د. محمد ناصر ومحمد باباعمي قد ابتدأت حوالي سنة 1989[1]، عندما قدم نفسه طالبا يبحث عن إشراف علمي وفرصة للتتلمذ، ويبحث إمكانية الإسهام في عمل جمعية التراث التي أبدى إعجابه بها، فالتقت حاجة د. ناصر «إلى مساعد للقيام بالكتابة في إطار الجمعية، وحاجة الطالب النجيب باباعمي للاستفادة العلمية والثقافية والأدبية، وتحقيق طموحاته في هذا المجال»[2].

وقد توثقت العلاقة بين الأستاذ وتلميذه فانتقلت من التعرف إلى العمل المشترك وبعدها التكليف بأعمال[3]، ويشير محمد باباعمي في إحدى مذكراته بتاريخ الاثنين 1989/11/27 إلى ذلك بقوله: «كانت لي جلسة مع الدكتور محمد ناصر في بيته، وكان موضوع الجلسة: عملي ضمن جمعية التراث[4]، (...) أسندت إلي مهمة إثراء المكتبة بشراء كل الكتب التي تعرضت للإباضية أو

= عن الآلات، الاطلاع على عقد سمر أسرة مسلمة، الاطلاع على تكلفة (الأعلام في الكمبيوتر)،...»، باباعمي؛ محمد، **مذكرات سنة 1992**، (مخطوط).

(1) وهذا حسب ما كتبه الدكتور محمد باباعمي في كتاب «**عمر راسم المصلح الثائر**» للدكتور محمد ناصر الذي أهداه له بمناسبة زيارته أول مرة في منزله بالأبيار في سبتمبر 1989، وهذا عكس ما أورده الدكتور محمد ناصر في كتابه **ذكرياتي ومذكراتي**.

(2) **ذكرياتي ومذكراتي**، ص:504.

(3) م.س.ن.

(4) وجدت في أرشيف جمعية التراث تقارير موقعة باسم محمد باباعمي الكاتب العام لجمعية التراث، ويظهر ذلك في بعض التقارير بتواريخ: 05 ديسمبر 1991، 10 جانفي 1992، 18 جانفي 1992، 19 جانفي 1992.



الميزابيين من قريب أو بعيد وسوف يخصص مبلغ خاص لذلك. وكذا تنظيم أرشيف الجمعية من جرائد قديمة ورسائل.. الخ. وكذا إرسال الكتب والهدايا حول الإباضية لمكتبات جزائرية وخارجية ولشخصيات...»[1].

منحت المهمة التي كلف بها الطالب محمد باباعمي، تحت إشراف د. محمد ناصر، الفرصة لأن يكتشف المتفاعلون مع جمعية التراث والقائمون عليها القدرات التي يملكها؛ فاختير أمينا عاما لجمعية التراث خلفا للمرحوم بكير أولاد بابهون، وكان ذلك في 04 جويلية 1992[2]، وهو في سن الخامسة والعشرين.

وتواصل العمل في جمعية التراث وتضاعف بفضل جدية أمينها العام، وبفضل الثقة التي وضعت فيه من قبل مسيري الجمعية ومساحة الحرية التي منحت له، فتنوعت المهام من إعداد مقر الجمعية في العاصمة، وتقديم دراسات حول آلات النسخ (***photocopie***)[3]، وجلسات إدارية ولقاءات تحفيزية، يقول في مذكراته بتاريخ 1992/10/05: «وسألتقي ـ إن شاء الله ـ يوم الخميس 1992/10/15 بالإدارة ورجال الأعمال لعرض البرنامج والمخطط الشامل للجمعية، واستقطاب الأموال لخدمة التراث الإسلامي الإباضي. وما دمت قد نُصِّبْتُ أمينا عاما للجمعية،

---

(1) باباعمي؛ محمد، **مذكرات 1989**، (مخطوط).

(2) ينظر قرار التعيين بخط د. محمد ناصر في جلسة الإدارة في 7 محرم 1413هـ، والتقرير الذي أعده د. محمد باباعمي في سنة 1993 في أصل هذه الدراسة.

(3) باباعمي؛ محمد، **مذكرات 1992**، (مخطوط).

فقد أعطيت لي كل الصلاحيات للدراسة والبرمجة والعمل، فأنا أبذل الجهد، وأدعو الله أن يعينني»[1].



(1) م.س.ن.



المطلب الثالث: تأسيس فريق البحث العلمي

كان للدكتور محمد ناصر أكبر أثر في جمعية التراث تأسيسا ورعاية؛ فبعد أن تحقق حلمه في أن أصبح للجمعية وجود قانوني يخوّلها حق الحركة والإنجاز، وانتقلت من الفكرة إلى الواقع؛ ركز اهتمامه على تكوين لجنة علمية تتولى إنتاج المعرفة توازيا مع خلية إدارتها، فرعى طلبة وكلفهم بمهام ووثق فيهم، وهم بعد «في مستوى الليسانس أو أقل، هم اليوم دكاترة بالفعل أو دكاترة بالقوة وليس أقل من ذلك»[1].

فأبناؤه وتلامذته كُثُر كثرة سنوات عمره المبارك الذي جاوز الثمانين[2]، ونذكر من بينهم ممن خصّهم بالتنويه في مذكراته وساهم في تطوير جمعية التراث، كلا من موسى بن يوسف ناصر[3]

(1) كلمة الدكتور إبراهيم بحاز في حفل تكريم الدكتور محمد ناصر الذي أقيم بمسجد المنار بالحميز سنة 2004، ينظر: **ذكرياتي ومذكراتي**، ج2، ص:909.

(2) يقول في قصيدته: **ثمانون مرّت!!**

فيا خجلي مما أقدم صالحا ... فباركه لي بالفضل، والحلم، والأجر
ففي كل حرف في التآليف شافع ... وطالبِ علمٍ شاهدٍ ليَ بالخيرِ

ناصر؛ محمد صالح، ديوان: **بعد الغسق يأتي الفلق**، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2018، ص:100.

(3) ناصر موسى بن يوسف: من مواليد القرارة في: 1961/12/17، درس بمعهد الحياة بالقرارة وبمعهدها الثانوي حيث أنهى دراسته في جوان 1981 تخرج في معهد تكوين الأساتذة ببوزريعة في جوان 1987. كان ذا حيوية ونشاط اجتماعي كبير، شارك في =

الذي كان كاتبه وهو لم يتجاوز عمر الثانية والعشرين، فيشير إليه ويتحدث عنه بقوله: «وكنتُ كثيرا ما تحادثتُ مع ابن عمّي ناصر موسى أثناء عمله معي في جمعية التراث»[1]. ود. إبراهيم بحاز الذي يعتبره د. ناصر من أصدقائه الجامعيين الأوفياء الذين تعاون معهم في نشر الوعي المعرفي، وكان التعارف بينهما منذ سنة 1984 وهو «بداية التتلمذ والصداقة الحقة والأخوة الصادقة... [أشركه د. ناصر] في بلورة أفكار الجمعية وتأسيسها»[2].

ونذكر أيضا من بين الذين رعاهم وكانوا له سندا ودعما في تطوير الجمعية الطالب محمد باباعمي، الذي جاءه وهو ابن اثنين وعشرين سنة يطلب مساعدته في تحسين مستواه في اللغة العربية، ويعرض في نفس الوقت استعداده لتقديم أعمال لجمعية التراث[3]، فتطودت العلاقة ونمت ولم تعد مجرد علاقة ثنائية بل أصبحت علاقة عائلية، وانتقلت أيضا بمرور الزمن من علاقة تتلمذ إلى علاقة مؤازرة في إنتاج المعرفة[4] فأصبح كاتبا عاما

= العديد من الجمعيات الخيرية الثقافية. انقطعت أخباره عن أهله ومحبيه بعد سفره إلى العاصمة في 1996/08/20.

(1) **ذكرياتي ومذكراتي**،ج1، ص:481.

(2) كلمة د. إبراهيم بحاز في حفل تكريم د. ناصر، م.س، ص:908.

(3) **ذكرياتي ومذكراتي**، ج2، ص:503.

(4) وأيضا مؤازرة له ضد من حاول النيل من سمعته، واعتبر الدكتور ناصر أن محمد باباعمي هو الوحيد الذي وقف معه ضد جريدة «تيفاوت»، وقد حكى لي القصة كاملة وبالأسماء في لقائي معه في منزله بالأبيار بتاريخ 09 فيفري 2019، ويمكن العودة لبعض التفاصيل عنها في كتابه: **ذكرياتي ومذكراتي**، ص:509.



للجمعية ثم مسؤولا للجنة التأليف والنشر فأمينا عاما للجمعية.

وتميزت هذه العلاقة بأنها لم تقتصر على التفاعل السلبي بالتلقي والتقليد؛ بل انتقلت إلى مرحلة التداول العلمي بما كان يهدي محمد باباعمي لأستاذه من كتب يصدرها[1]، وكذلك بما كان بينهما من بعض الخلافات في الرأي وهي طبيعة بشرية؛ فيقول د. محمد ناصر: «ولكن ـ يعلم الله ـ أني قد أخالفه الرأي في كثير من تلك المشاريع الثقافية، غير أني لا أرغب في أن أكون ذلك الأب الذي يضيّق على أبنائه في حياتهم ويريد أن يلبسهم لبوسه، ويسير بهم في آثاره وخطواته»[2]، «وعسى أن يجعله ربي من أولئك الأبناء البررة الذين يَدعون لآبائهم[3] أكانوا حقيقيين أم روحيين ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: 41]»[4].

هذه الروح التي يحملها د. محمد ناصر بين جنبيه، وهذا القصد الذي سخّر له جهده واقتطع له من وقته أثمر بعد ذلك

(1) يقول في إحدى كتبه التي أهداها له: «هدية حب وصفاء لأستاذي الدكتور محمد ناصر، وإني لأعترف له بالجميل والفضل في كل حرف أخطه، وله من الله الأجر والجزاء. أستاذي: لن أزال أحبك في الله، ولله، إلى أن ألقى الله، ولا أبالي. تلميذك محمد بابا عمي (مايو 2011)». م.س، ص:510.

(2) م.س، ص:511.

(3) باباعمي، **الدكتور محمد ناصر: سيرة ذاتية**، هو مؤلف جديد يتناول فيه صورة الزمن عند الدكتور محمد ناصر، وهو عبارة عن سيرة ذاتية من خلال جلسات حوار عقدها معه في فيفري 2018، ومن خلال مؤلفاته.

(4) م.س، ص:512.

تشكل نواة فريق البحث العلمي لجمعية التراث، هذا الفريق الذي أعطى القوة الدافعة للمشاريع العلمية الجماعية التي ولدت بعد ذلك، والتي سنتعرّض لها بوصف مختصر في ثنايا البحث.

نقرأ في تقرير كتبه محمد باباعمي حوالي جوان 1991، عن الجهود الأولى لبعث عمل علمي جماعي، عندما ابتدأت «المرحلة التجريبية لمشروع معجم أعلام الإباضية» حيث كانت النواة تتكون من الطلبة الجامعيين في العاصمة، يقول صاحب التقرير: «في أوائل شهر مارس من سنة 1991، استدعاني الدكتور محمد ناصر إلى منزله، وناولني كأس شاي مرفق بمسؤولية أحسبني أصغر منها بكثير، غير أن التلميذ لا يملك لطلب الأستاذ ردا، فكلفني بإعداد قائمة الطلبة الراغبين في الانضمام إلى الطاقم، وبالإشراف عليهم، وضمان حلقة الوصل بينهم وبينه، كل ذلك بعدما عرض عليّ المشروع بدقة تامة»[1].

وكان اللقاء بعد فترة قصيرة لعرض الأعمال التي قام بها الطلبة في منزل الدكتور ناصر بتاريخ 24 ماي[2] في العاصمة[3]، عرض خلالها الطلبة تقاريرهم عن الأعمال والانشغالات التي

---

(1) ينظر تقرير: «عرض حال للمرحلة التجريبية لمشروع «**معجم أعلام الإباضية**»، من يوم 04 مارس إلى 27 جوان 1991» في أصل هذه الدراسة.

(2) يوما واحدا قبل الإضراب الذي دعت إليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ في 25 ماي 1991.

(3) شارع مليكة قايد (الأبيار)، الموصل إلى مقر وزارة الدفاع، وهو الطريق الذي سلكته الاعتصامات والمسيرات.



وجدوها، فأجاب الدكتور عنها وقدم ملاحظ منهجية وتوجيهات علمية، «وتمنى الكل لو تواصلت مثل هذه اللقاءات فالأستاذ معطاء والطلبة متعطشون»[1].

نما الفريق بعد ذلك وخَبَر الميدان، وتبدّت حقيقة الواقع أمامه، فاستمر في العمل من استطاع التحمل واستبطن الهدف وتجاوز عن النقص، وانسحب آخرون كل حسب ظروفه، فانطلقت الأعمال وأنجزت المشاريع تترى، سعى الفريق من خلالها «إلى بعث منظومة عملٍ رشيدةٍ في البحث العلميّ، تطمح أبدًا إلى النّضج المعرفيِّ، بالاستفادة من الخبرات الجماعيّة، وتنقيحها، وصقلها، لتؤتي ثمارها بعد ذلك طيّبة مباركة ببركة الجماعة التي تؤطّر العمل»[2].

مشاريع صنعت الفارق في بيئتها، من حيث إنها جندت مختلف أطياف المجتمع «المحلي» للتفاعل والاهتمام، فلم تقتصر على الباحث المنكب على التحقيق والتخريج والتحرير، بل تجاوزت إلى المحسنين الذين جادوا بالوقت وبالمال، والمشايخ الذين جادوا بالنصح والإرشاد، فعاش الفريق في جو الدعم والتشجيع، مع وجود بعض الاحتكاكات وسوء الفهم الذي هو جزء من طبيعة الإنسان، وفيما يلي نستعرض المشاريع الجماعية التي أنجزت[3].

(1) م.س.ن.

(2) **فريق البحث العلمي لجمعية التراث مكابدة.. نحو جماعة علمية**، ص:06.

(3) دون ذكر المشاريع الفردية التي أنجزت في إطار الجمعية أو التآليف الفردية والثنائية لأعضاء الفريق خارج أعمال الجمعية، يشير الدكتور ناصر إلى بعض هذه الأعمال =

المبحث الثاني مشاريع فريق البحث العلمي

المطلب الأول: «فهرسة شرح النيل»

يعتبر إنشاء فريق البحث العلمي خطوة أخرى في تطوير جمعية التراث، فبعد أن كان الهم محصورا في الدكتور ناصر ومن يستدعيه لمساعدته، وبين الحضور والغياب لهؤلاء، توسعت الدائرة وانتظم العمل بتأسيس الفريق، وتنظيم المشاريع. فكان الانتقال من مرحلة صغيرة محدودة الأعضاء إلى مرحلة التوسع والاستعانة بالطلبة الجامعيين.

ومن بين المشاريع التي كانت بين مرحلتين (مرحلة ما قبل تأسيس فريق البحث العلمي ومرحلة ما بعده): «فهرسة شرح النيل»، و«معجم أعلام الإباضية»؛ الأول تبنته الجمعية والثاني أبدعته، بمبدأ الفعالية والنافعية، فاتخذت من الحركية بين السؤال والحل العملي منهجا يؤطر المشاريع التي يقترحها فريق البحث العلمي[1] أو يتبناها، وكان السؤال دوما عن الهدف وعن الأثر في الواقع، فأُنتِجَتْ مشاريع لا يتجاوزها الزمن ولا يستغنى

= بقوله: «قام الأخوان محمد بن موسى بابا عمي، ومصطفى شريفي بتحقيق كتاب التوحيد للغيثي، وتفسير الكندي الذي أخرجا نصّه مرقونا بعد أن ظل مخطوطا سنوات عديدة، وكذلك كتاب التاج على المنهاج الذي هو من تأليف العلامة «الشيخ عبد العزيز الثميني»»، ينظر: **ذكرياتي ومذكراتي**، ص:644.

(1) التداول بين فريق البحث العلمي ولجنة البحث العلمي والمؤدى واحد.



عنها، وهذا راجع إلى الدقة في التوصيف والصرامة في المعايير والجدية في التنفيذ.

لقد اعترضت باحثين في التراث الإباضي إشكاليةُ التعامل مع بعض المصادر التراثية لأنها أُنتجت ضمن سياق تأليفي مختلف، أو أن الأصل تعرض لنوع من التشويه بسبب الأخطاء البشرية أو العوامل الطبيعية فصعّب المهمة عليهم، وألجأهم إما إلى الزهد فيها، أو إلى استعمال مراجع أخرى قد لا تلبي الحاجة ولا تخدم الفكرة.

كتاب «النيل وشفاء العليل» قاموس في الشريعة في جزأين كبيرين[1]، ألّفه الشيخ عبد العزيز الثميني[2] «ليكون مرجعا للعلماء في الفتوى، وللقضاة في الأحكام،... غزير المادة، موجز إيجازا لا يفهمه إلا العلماء الذين عرفوا المسائل وفهموها من الكتب الأخرى»[3]، فانبرى القطب اطفيش[4] لمهمة تبسيطه وشرْحِه؛

---

(1) يقول المؤرخ الأستاذ محمد علي دبوز إن الشيخ الثميني: «أوجزه مرتين، ألّفه فوجده واسعا فأوجزه في أسلوب متوسط، ثم زاد فأوجزه فكان على النحو الموجود وهو المطبوع، أما المتوسط فلم يطبع، وتوجد نسخة منه في مكتبة الشيخ الحاج صالح بن عمر [العلي] في بني يزقن». ينظر: دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ص:269.

(2) عبد العزيز بن إبراهيم الثميني الملقب بـ«ضياء الدين»، (1130هـ/1718م - 1223هـ/1808م)، علم من أعظم أعلام الإباضية من بني يسجن بميزاب. ينظر ترجمته في **معجم أعلام الإباضية**، الترجمة رقم: 555، ص:255.

(3) ينظر: اطفيش؛ امحمد بن يوسف، **شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، ج1، مكتبة الإرشاد - جدة، ط.3، 1985، ص:05. ودبوز، ص:269 و274.

(4) امحمد بن يوسف اطفيش الشهير بـ«قطب الأيمة»، (1237هـ/1821م - 1332هـ/1914م)، =

مستوحيا روح العصر الذي يؤْثر الإيضاح، وليكون في متناول الباحثين وطلاب العلم بعدما رأى قلة الاستفادة منه[1].

كما أن القطب اطفيش في «شرح النيل» اتخذ منهجا في التأليف يصعب على الباحث أن يجد فيه ضالته بسهولة؛ فقد كان «كثيرا ما يتعرض لمسائل هامشية، أو يستطرد إلى قضايا لا تندرج تحت عنوان الفصل أو الباب المفهرس، وتلك سمة التأليف في ذلكم العصر، لا يتفطن إلى ذلك إلا من درس الفصل أو الباب كاملا»[2]، مما يجعل الفهارس التي أنجزت من قبل ـ على قلتها ـ عامة لا تفي بالمقصود.

طُبِع «شرح النيل» في حياة القطب من قِبل سلطان زنجبار ـ وإن لم يتم كاملا ـ، ثم طبع في مصر بالمطبعة البارونية[3]

= أشهر عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في العصور الحديثة، ينظر ترجمته في: **معجم أعلام الإباضية**، الترجمة رقم: 864، ص:399.

(1) دبوز، ص:269 و307. وينظر أيضا: أعوشت؛ بكير بن سعيد، **قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش: حياته - آثاره الفكرية - جهاده**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1989، ص:147.

(2) لجنة الفهرسة بجمعية التراث، **فهارس شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، نشر معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، سلطنة عمان، رمضان 1417هـ/جانفي 1997، ص: ط، أيضا: محضر جلسة مكتب جمعية التراث، السبت 01 أفريل 1989، ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.

(3) قد يستشكل الأمر على البعض فيخلطون بين «مطبعة الأزهار البارونية» التي يكتبها البعض اختصارا «المطبعة البارونية» التي أنشأها سليمان الباروني باشا في سنة 1324هـ/1906م، وبين «المطبعة البارونية» التي أنشأها محمد بن يوسف الباروني، وهذه الأخيرة أقدم من الأولى باعتبار وجود كتب منسوبة لهذه المطبعة بتاريخ =



بالقاهرة[(1)] في سبعة مجلدات ومالكها هو محمد بن يوسف الباروني[(2)]، ثم ألحقت بها المجلدات الثلاثة الأخرى[(3)] عام 1343هـ (حوالي 1924م)، واشتمل على 6646 صفحة من النوع الكبير[(4)]، وبعد ما يقرب من خمسين سنة، أعادت طبعه دار الفتح في لبنان ونشرته مع مكتبة الإرشاد بالسعودية في ستة عشر مجلدا سنة 1392هـ/1972م[(5)].

ويعتبر شرح الشيخ اطفيش لكتاب النيل تأليفا جديدا ـ وهو الذي كان يرنو إلى التجديد[(6)] ـ، فهو «من أجلّ كتب الفقه

= 0413هـ (حوالي 1886م).

ذكر الشيخ أبو اليقظان إبراهيم «مطبعة الأزهار البارونية» في كتابه: **أبو اليقظان؛ إبراهيم، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته**، ج1، 1377هـ/1958، ص:83، وينظر: **معجم أعلام الإباضية**، ص:208.

(1) هذه المعلومة غير موجودة في مقدمة فهارس شرح النيل الذي أعدته لجنة الفهرسة لجمعية التراث.

(2) لم أقف على ترجمة دقيقة لحياته رغم البحث، فالتعريف الوحيد الذي وجدته هو المختصر الموجود في **معجم أعلام الإباضية**، ص:397، ترجمة رقم: 860. ما ورد في ترجمته أنه حي في النصف الثاني من القرن 13هـ/19م، من علماء جبل نفوسة، انتقل إلى مصر وفيها أسس مطبعة مشهورة باسمه، أثْرت المكتبة الإسلامية بأمهات الكتب الإباضية - بل وجدت له كتبا غير إباضية أيضا -.

(3) تحقيق وطباعة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، ينظر ترجمته في: **معجم أعلام الإباضية**، الترجمة رقم: 037، ص:24.

(4) دبوز، ص:308.

(5) المجلد السابع عشر وهو مجلد الفهارس، نشره معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، سلطنة عمان في رمضان 1417هـ/1997م.

(6) أظهر الشيخ اطفيش الرغبة في أن يكون المجدد للدين في عصره، ودافِعه في ذلك =

الإسلامي، ومن أمهات كتب المذهب الإباضي المنتشر في شمال إفريقيا وغيرها من البلاد الإسلامية»[1]، اعتمدته لجان موسوعات الفقه الإسلامي في بعض الدول الإسلامية لمعرفة رأي الإباضية في مختلف القضايا الفقهية[2].

بذل الشيخ اطفيش فيه الجهد الكبير، محققا، ومدققا، ومقارنا، وباحثا، فاعتُبر تأليفه بحق دائرة معارف إسلامية، و«موسوعة شاملة في الفقه المقارن بين آراء فقهاء الإسلام، منذ عصر الصحابة إلى أيمّة المذاهب، ثم تلاميذهم وأعلام المدارس الفقهية عبر تاريخ الاجتهاد، وهو رصد لنتاج العقل المسلم في فقه نصوص الوحي وتنزيلها على أرض الواقع، على اختلاف البيئات وتطور الأعصار[3]».

كل هذه المزايا التي تمتع بها «شرح النيل» لم تشفع له لأن يكون متداولا بين أوساط الباحثين مقارنة بمحتواه النفيس، فقد

= أمران: أوضاع الأمة الإسلامية في جوانبها المتعددة، ورؤيا أبيه أن يكون عالما، فبلغ درجة الاجتهاد في مذهبه ثم في عموم الشريعة. وهكذا نرى كيف أن معرفة الواقع واستشراف المستقبل، مع ثقة في النفس وجدية في العمل من أجل رضا الله تعالى، قد أوصلته إلى بغيته، وحققت له ذكرا في الآخرين. ينظر: وينتن؛ مصطفى بن ناصر، **آراء الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش العقدية** (1238-1332هـ/1821-1914م)، نشر جمعية التراث - القرارة غرداية - الجزائر، 1417هـ/1996، ص:50.

(1) علي علي منصور **مقدمة شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، تأليف الإمام العلامة امحمد بن يوسف اطفيش، ج1، مكتبة الإرشاد - جدة، دار الفتح - بيروت، ط.2، 1972، ص:05.

(2) لجنة الفهرسة، **فهارس شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، ص: ح.

(3) م.س، ص: ز. وينظر أيضا: أعوشت، **قطب الأئمة**، ص:144.



كان نفيسا من حيث سعره حتى جاوز حد الخيال بسبب ندرته ـ إلى أن طبع مرتين بعد ذلك ـ، ثم وجد الباحثون صعوبات جمة للوصول إلى المسائل التي يريدون، فحركت الهمّة ثلة من الطلبة الجامعيين رغبة في خدمة هذا الكتاب «فشرعت في وضع مداخل تسهل التعامل معه وتذلل صعاب البحث عن المسائل المتشعبة في ثناياه»[1].

ابتدأت الفكرة ذات يوم من سنة 1987، بين طالبين في العلوم الإسلامية هما مصطفى وينتن[2] ومحمد باباعمي[3] وهما في السنوات الأولى من مرحلة الليسانس، فابتدآ العمل ونظماه، ثم التقت حاجتهما مع حاجة الأستاذ يحيى بكوش الذي طلب من جمعية التراث المساعدة في مبادرته التي يسعى من خلالها إلى فهرسة شرح النيل ليسهل استغلاله[4].

---

(1) لجنة الفهرسة، **فهارس شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، ص: ي.

(2) في لقاء جمعني بالدكتور مصطفى وينتن في معهد المناهج على هامش افتتاح «الجامعة البحثية» بعد حصولها على الرخصة، عبر لي الدكتور وينتن أن العمل في هذه المشاريع كان من أمتع لحظات عمره. اللقاء بتاريخ 2019/08/25 بمعهد المناهج على مأدبة غداء.

(3) كتب د. محمد باباعمي في مذكراته بتاريخ: الأحد 18 ديسمبر 1988: «عملت في شرح النيل - مشروع وضع فهرست مع مصطفى وينتن - من صفحة 84 إلى صفحة 94، وهو باب السترة سترنا الله». باباعمي؛ محمد، **مذكرات 1988**، (مخطوطة).

(4) ورد في «محضر جلسة لمكتب جمعية التراث» الذي عقد في 01 أفريل 1989 في جلسته العادية بالقرارة برئاسة الشيخ عدون وحضور أعضاء المكتب، أن «الأستاذ يحيى بكوش يقوم بمحاولة هامة تتمثل في فهرسة شرح النيل ليسهل استغلاله والاستفادة منه، علما بأن قطب الأئمة يدرج الكثير من القضايا في غير بابها. غير =

وهنا نجد أن تنظيم المعرفة لا يقل أهمية عن إنتاجها، بل هو في بعض الأحيان أهم، فكم من تراث ضاع، وكم من جهد قَصَر بصاحبه لأنه لم يعرف كيف ينظم العمل المعرفي، فتصوُّرُ الناس للمعرفة وللتعامل معها جعلنا نعيش قصصا درامية من أمثال إخفاء تراث العلماء لأن فيه أسرارا لا ينبغي الاطلاع عليها قبل تنقيحها، فمرت السنوات ولم يخرج هذا التراث، ولم تستفد منه الأجيال، فالمعرفة ـ في هذه الحال ـ منتَجة لكنها لم تستغل لضعف في تنظيمها وإدارتها. وفي بعض الأحيان وبخاصة في وقتنا الذي كثرت فيه الالتزامات، نجد الحاجة ماسة لتنظيم العمل المعرفي، لنضمن الفعالية؛ فالعمل الجماعي تنظيم، وتفويض الأعمال الجانبية الصغيرة تنظيم، وتوفير المادة العلمية تنظيم،... إلى غير ذلك من المهام الجزئية التي قد تطيل مسار إنتاج المعرفة.

تفطّن الأستاذ يحيى بكوش إلى ضعفه في العمل وحيدا، فاستنجد بجمعية التراث، وراسلته باستعدادها للمساعدة في أفريل 1989، ومن الناحية الأخرى كان الطالبان يعملان لوحدهما، فجُمعت الطاقة ووُجهت، وأصبح «مشروع فهرسة شرح النيل»(1)

= أن ضخامة هذا العمل جعلت الأستاذ يحيى بكوش، يطلب مساعدة الجمعية له مما جعل هذه الأخيرة تسند أمر مكاتبته وإبلاغه تشجيع الجمعية له ورغبتها في تبني مشروعه هذا الهام للدكتور محمد ناصر». ص:5 من التقرير، ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.

(1) حسب التقرير الذي أعده الأمين العام لجمعية التراث محمد باباعمي (حوالي 1993) بأهم مشاريع الجمعية، ذكر أن مشروع «فهرسة شرح النيل» هو ضمن مشاريع =



من مشاريع جمعية التراث في شهر سبتمبر 1989 تاريخ ضمه لجمعية التراث.

لا تسعفنا التقارير التي بين أيدينا بمعلومات تفصيلية عن بداية المشروع في إطار جمعية التراث، فأول وثيقة في إطار الجمعية تتحدث عن مشروع «فهرسة شرح النيل» هي مراسلة موجهة للعاملين فيه، مؤرخة في 13 رجب 1412هـ/ 18 جانفي 1992، تكشف في ثناياها أن المشروع قاوم ذهنيات وواجه تحديات ليستوي في صورته؛ ففي بداية المراسلة نقرأ الوصف «لطول مدة العمل وتعثره الشديد»، ثم المطالبة بتقديم «توضيحات ومعلومات حول العمل، ونسبة الإنجاز، لتسهل المحاسبة بعد ذلك»، فالعمل التطوعي والتضحية من أجله لا تعني التسيب واللامبالاة، وهذا يستدعي توضيح الموقف «والاستعداد للاستمرار في العمل من عدمه»[1].

ابتدأ العمل في إطار جمعية التراث بخمسة عشر عضوا بين طلبة جامعيين وأساتذة، حيث تكفل كل واحد منهم القيام بفهرسة جزء من الكتاب، لكن بعد طلب تقديم العمل وتحديد

= أخرى للفهرسة: «فهرسة أهم مؤلفات الإباضية في مختلف الفنون، حتى يسهل على الباحثين الرجوع إليها، وخاصة الموسوعات الفقهية، مثل بيان الشرع، وقاموس الشريعة، وشرح النيل»، ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.
والسؤال لماذا لم تنجز المشاريع الأخرى؟ أم أنها أنجزت ولكن خارج إطار الجمعية؟

(1) ينظر نموذج المراسلة بتوقيع كاتب المشروع: مصطفى ناصر وينتن، و«عن الجمعية»: محمد موسى باباعمي، في أصل هذه الدراسة.

الوضعية إما المواصلة في العمل أو إعلان المغادرة[1]، تقلص العدد إلى «6 طلبة متخصصين في الشريعة[2]» ثم انتهى إلى اثني عشر عضوا عند إخراج العمل النهائي، تحت إشراف علمي من الطالبين مصطفى وينتن ومصطفى باجو، وإشراف تقني من الطالبين محمد باباعمي ومصطفى شريفي، ترافقهم المشورة العلمية من الدكتور محمد ناصر[3] والأستاذ يحيى بكوش[4].

اتفق الفريق على منهجية العمل، فالهدف هو وضع فهرسة علمية، مسايرة لعلم مناهج البحث المعاصرة[5]، وإنجاز ملحق للمجلدات الست عشرة المطبوعة، فهو «كشاف مفصل لمواد شرح النيل»[6] يضم فهارس: الآيات القرآنية، الأحاديث النبوية، الكتب، الشعر والنظم، الأعلام، الأديان والمذاهب والأقوام والطوائف، الأماكن والبلدان والوقائع، مواضيع الكتاب[7].

(1) ينظر في أصل هذه الدراسة تقرير 23-02-1992، ص:01.

(2) ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.

(3) ذكر الدكتور محمد ناصر في كتابه ذكرياتي ومذكراتي أهم الأعمال التي ساهم في تأليفها أو في طباعتها في سلطنة عمان، لكننا لا نجد ذكرا لفهرسة شرح النيل وهو المستشار العلمي للفريق، وقد طبع في 1997 أي في الفترة التي كان يقيم فيها في السلطنة، إضافة إلى أن العمل نشر من قبل المؤسسة التي كان يدرّس فيها. ينظر: «مؤلفاتي في عمان ونشاطي الثقافي بها»، **ذكرياتي ومذكراتي**، ج2: ص:643.

(4) لجنة الفهرسة، **فهارس شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، ص: ج.

(5) ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.

(6) جمعية التراث، **جمعية التراث ادكار - اعتبار - استنفار**، ص:10.

(7) لجنة الفهرسة، **فهارس شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، ص:661.



في البداية تكفل كل عضو بفهرسة جزء من كتاب، لكن بعد المرحلة التجريبية[1] أعيد توزيع العمل على فرق بحث من طلبة جامعيين وأساتذة بحيث تتم فهرسة كل جزء مرتين، ثم تتم المقابلة بين فهارس كل جزء تفاديا للأخطاء ما أمكن ذلك، ثم أنجزت عدة اختبارات على العمل النهائي بعد تصفيفه عن طريق جهاز الكمبيوتر، فكانت النتائج مرضية[2].

حقق الفريق الجزء الأول من العمل الذي يركز على إنجاز الفهارس الفنية[3]، وَطَبَعها في سلطنة عمان سنة 1997[4]، وكان قد وعد في تقريره (حوالي سنة 1993) أن العمل سيكون جاهزا للطبع بحلول السنة الدراسية المقبلة[5] (1993-1994)، لكن العمل لم يطبع، بل نجد وعدا آخر في تقرير بتاريخ 27 رمضان 1416 (فيفري 1996) أن «اللجنة انتهت من إعداد كل الفهارس التقنية[6]».

وبقي له إنجاز الجزء الثاني المتمثل في «وضع الفهارس

(1) ورد في الكتيب التعريفي بمشاريع جمعية التراث سنة 1992 أن مسودة المرحلة الأولى لمشروع فهرسة شرح النيل قد اكتملت. ينظر: **جمعية التراث ادكار - اعتبار - استنفار**، ص:10.

(2) لجنة الفهرسة، **فهارس شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، ص: ك.

(3) م.س، ص: ي.

(4) كتبت مقدمة العمل في القرارة بتاريخ: الأحد 1 رمضان 1417هـ/10 جانفي 1997، ينظر: م.س، ص: ك.

(5) ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.

(6) تقرير مسيرة جمعية التراث خلال حولين كاملين، إعداد: محمد باباعمي، في 27 رمضان 1416هـ/فيفري 1996، ص:5. ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.

الموضوعية للمسائل الفقهية المفصلة، مع المقابلة بين المطبوع والمخطوط، وضبط الأخطاء المطبعية والجمل الناقصة في فهرس خاص»[1]، وقد واصلت المجموعة العمل تحت إشراف مصطفى باجو ومصطفى وينتن، ووصلت إلى الجزء الرابع[2] من «شرح النيل»، ويبقى السؤال هل تواصل العمل بعد ذلك أم لا[3]؟ فقد واجهت الفريق صعوبات وعراقيل حاول تجاوز بعضها، لكن بعضها الآخر قيّد حركته وأبطأ إنتاجه.

من الصعوبات التي اعترضت فريق العمل ضعف الوسائل المادية لتفريغ باحثين ولو جزئيا، وكذا لإنجاز برامج إلكترونية تساعد على التخريج وعلى تنظيم المادة العلمية بطريقة آلية. ومما عانى منه الفريق أيضا ضعف الوسائل المطبعية لإنجاز مشاريع في حجم المجلدات[4]، والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف أن مشروعا آخر وهو معجم أعلام الإباضية كان يسير جنبا إلى جنب مع مشروع الفهرسة بل وهناك تقاطعات بين أعضاء المشروعين، ومع ذلك استطاع معجم الأعلام أن يتجاوز هذه الصعوبات ولو نسبيا واستطاع أن يحقق أهدافه التي سطرها، بينما نجد مشروع الفهرسة وجد هذه الصعوبات أمامه، فهل

(1) لجنة الفهرسة، **فهارس شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، ص: ي.

(2) تقرير مسيرة جمعية التراث خلال حولين كاملين، ص:5. ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.

(3) يشير د. محمد باباعمي أن العمل لم يتجاوز الجزء الثامن، في لقائي معه في معهد المناهج بتاريخ: 06-04-2019.

(4) ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.

هي مرتبطة بسبب آخر ذكر في التقرير وهو عدم وجود أكاديمية فقهية إباضية تبتّ في المصطلحات، وتحدد مناهج للبحث تلائم طبيعة المؤلفات الإباضية؟ أم أن هذه الصعوبات زالت بعد ذلك لأن التقرير يعود إلى حوالي (1993)؟ وإذا كان كذلك فما هي الأسباب التي حالت دون اكتمال العمل وفق ما سطر له؟

لا أجد في التقارير ما يجيب عن أسئلتي حاليا، وربما قد تكشف لنا الأيام أسبابا أخرى نستفيد منها لتجاوز إشكالات قد تكون لا زالت قائمة، وكذا حتى لا نعطي حكما مبتسرا ونحن لا نملك كل المعلومات.



المطلب الثاني: «معجم أعلام الإباضية»

أطلق ترسيم جمعية التراث الحريةَ من قيدها، وأمّن للجمعية الطريق لتعبر عن آرائها وتدافع عن نفسها، وتُحَقِّق الآية في واقعها وهي تُتلى في كل آن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات: 10]، مستحضرة شعارها الخالد الذي سكّه الشيخ علي يحيى معمر: «المعرفة، والتعارف، والاعتراف»، فتضاعف العمل وتوسع الأفق أمام أصحاب الفكرة والمتعاطفين معها، فكان أن استدعى الدكتور محمد ناصر مساعده الطالب محمد باباعمي وعرض عليه فكرة التعريف بأعلام المذهب الإباضي سيرا على المنهج الذي ارتضته الجمعية منذ تأسيسها؛ أداء لأمانة الإصلاح بين المؤمنين بموجب الآية السابقة؛ «فالإصلاح بين المتنازعين من المؤمنين واجب على كل من بلغه الخبر وقَدَر»[(1)]؛ وهو إصلاح يمس العقل والقلب معا، فلا فصل بينهما.

بهذه الروح؛ روح التقريب بين وجهات النظر، وبروح مساعدة الآخرين على اتخاذ الموقف الصحيح، ابتدأ المشروع وانطلق على يد أستاذ أشرك تلاميذه في الهمّ، فوضع لهم المعالم، وترك لهم حرية الفعل والإنجاز، فكان قريبا منهم بما يمدهم من خبرة

(1) بيوض؛ إبراهيم، **في رحاب القرآن**: تفسير الحجرات - ق - الذاريات، ج20، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر جمعية التراث، القرارة - غرداية - الجزائر، 1423هـ/2011، ص: 94.



وإرشاد، مبتعدا عنهم في الممارسة المباشرة، فتحمّل الفريق الأمانة بإخلاص، ولم يتنكر لمن وقف معه ودلّه على الطريق بعد اكتساب الثقة وتحسّن الأداء.

اهتمت جمعية التراث بالتعريف بالمذهب الإباضي فكرا وأعلاما في ظل سياق الصراعات الفكرية التي كانت تشهدها الجزائر في الثمانينيات وبالتحديد في الجامعة بين قاعاتها وأروقتها؛ فتعددت التيارات واختلفت التوجهات من دعاة الأمازيغية إلى الاشتراكية إلى الإسلاميين.. إلى غير ذلك من التوجهات. وممن اصطلى بنار التخندقات والتحزبات أتباع المذهب الإباضي الذين تعرضوا للتهميش إما جهلا أو تعصبا، وفي كلا الحالتين وجد الأكاديميون أنفسهم أمام مسؤولية التعريف بفكرهم وكأنه كتب عليهم العيش في حالة «الدفاع».

فكر المجلس العلمي للجمعية[1] في إنجاز عمل علمي أكاديمي يوجَّه أساسا للباحثين، يسهّل عليهم عملية البحث الشاقة التي طالما أرهقتهم؛ وكانت سببا في بعض الأحكام المختزلة الجاهزة، وليحفظ التراجم المبثوثة في ثنايا كتب السّيَر من التلف والزوال، فكان أن نقل الدكتور ناصر الفكرة التي أهمته إلى مساعده محمد باباعمي في أوائل شهر مارس من سنة 1991، وطلب منه اختيار مجموعة من الطلبة يشرف عليهم ويكون حلقة الوصل بينهم وبين الدكتور ناصر لإنجاز العمل الذي قدم له كل التوضيحات حوله.

(1) ينظر التقريرفي أصل هذه الدراسة.

بدأت الفكرة بالتحقق، فكان اللقاء الأول لشرح أهمية المشروع وخطواته وشروط الالتحاق به في الرابع من شهر مارس 1991، فجمع اللقاء طلبة الشريعة والأدب الساكنين بالحي الجامعي في القبة القديمة، ثم لقاء ثانيا بعد أسبوع لمناقشة خطوات العمل وتوزيع المهام والانطلاق التاريخي لمشروع معجم أعلام الإباضية[1]، الذي سيحجز مكانه في تاريخ البشرية بحلول سنة 1999 بعد سنوات من الاجتهاد.

وقبل اللقاء بالطلبة حاول محمد باباعمي وضع قواعد منهجية للعمل مهتديا بتوجيهات د. ناصر ومستعينا بصديقه مصطفى شريفي، فكان أن خلُصا إلى قاعدتين أساسيتين لنجاح المشروع، وهما: «السرية التامة، وحق المحاسبة والمتابعة مشروط»، فلا يمكن تحت مسمى التضحية والعمل التطوعي أن يكون هناك نوع من التسيب في الوقت، أو الهزل أوان الجد، ثم أضيفت مبادئ أخرى بعد النقاش مع الفريق، منها:

- «أنّ من ألزم نفسه شيئا أُلزم به، ولا معنى للانتماء الكمي للمجموعة، فعامل واحد خير من ألف منخرط.
- بدل كثرة الاجتماعات واللقاءات يركّز على إنجاز الأعمال، وعند الحاجة لتبادل المعلومات يستعان ببطاقات الاتصال[2].

---

(1) ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.

(2) بطاقة الاتصال: عبارة عن قصاصة ورقية بيضاء صغيرة من دون خطوط أو كلمات، تملأ يدويا وترسل إلى المعني، يكتب فيها احتياجه، ولا أعرف ما هي الطريقة، وتساءلت كيف أمكن ذلك في عصر لم توجد فيه بعد الرسائل القصيرة، والواتساب =

• العمل جماعي، وتراجع الواحد يفسد على الآخرين»[1].

تكونت النواة الأولى للفريق من الطلبة: باحمد ارفيس، خضير باباوعمر، عمر بافولولو، مصطفى شريفي، يحيى امجاهد وقاسم الشيخ بالحاج، تحت إشراف علمي من د. ناصر وإشراف عملي مباشر من الطالب محمد باباعمي.

ثم كان لقاء عرض الأعمال ومناقشة التقارير والإجابة على الانشغالات مع المشرف على المشروع د. ناصر في بيته في الأبيار بتاريخ 24 ماي 1991 (يوما قبل الإضراب العام)، فافتتح اللقاء محمد باباعمي بعرض حول عمل الفريق، أعقبه د. ناصر بكلمة حول أهمية هذا المشروع، وقدم ملاحظ منهجية ثم اختتم توصياته «أن أهمية هذه المرحلة التجريبية تكمن في الوصول إلى الإشكال ومعرفة طبيعته، وسيوضع لها حد في لقاء الصائفة إن شاء الله»[2].

حدد موعد اللقاء الأوسع والتعريف بالمشروع يومي 5 و6 جويلية 1991، إلا أن الأحداث التي شهدتها الجزائر[3] عجلت

= والمسنجر... إلخ، بل حتى الهاتف الثابت لم يكن في متناول الجميع ولا في متناول من لا يملك مقرا للعمل؟.

(1) ينظر تقرير: «عرض حال للمرحلة التجريبية لمشروع «**معجم أعلام الإباضية**»، من يوم 04 مارس إلى 27 جوان 1991»، في أصل هذه الدراسة.

(2) م.س.ن.

(3) شهدت الجزائر في هذه السنة (1991) بداية أعمال عنف اصطلى بنارها كل الجزائريين بدون استثناء، بغض النظر عمن كان السبب وراء اندلاعها، وكان ذلك في عهد حكم الشاذلي بن جديد الذي أعلن استقالته في جانفي سنة 1992؛ فمع =

باللقاء ليومي 27 و28 جوان 1991، وهي الانطلاقة الفعلية التاريخية لمشروع معجم أعلام الإباضية؛ فتشكلت ثلاث لجان:

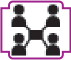
1. لجنة العاصمة وعلى رأسها د. محمد ناصر
2. لجنة قسنطينة وعلى رأسها الأستاذ إبراهيم بحاز
3. لجنة وادي ميزاب وعلى رأسها الأستاذ عمر لقمان

قامت هذه اللجان بتأطير الطلبة الجامعيين الموجودين في تلك الجهات ممن يُستأنس منهم الفعالية والالتزام، مع إمكانية الاستغناء عن بعض الأسماء في الطريق، فيشير مثلا الأستاذ إبراهيم بحاز في تقريره عن لجنة الشرق: «بما أن الطالب (....) قد اتصل بنا مباشرة وكُلّف واختار عددا من المصادر ولم ينجزها، فإننا نرى تعليق عضويته في لجنة قسنطينة والاستبدال به بعض الطلبة الذين يرغبون في العمل ضمن هذا المشروع التاريخي»[(1)].

هذا المشروع التاريخي ـ معجم أعلام الإباضية ـ هو مؤلف

= الانفتاح السياسي والتعددية الحزبية، أجريت الانتخابات البلدية في 12 جوان 1990، وفي 25 ماي 1991 دعت الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الإضراب العام مطالبة بالإصلاحات واستمر الإضراب لمدة 14 يوما، ثم أجريت الانتخابات التشريعية في 26 ديسمبر 1991، وألغيت مباشرة بعد استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد، وأعلنت حالة الطوارئ في الجزائر بتاريخ 09 فيفري 1992.

(1) تقرير بخط أ. إبراهيم بحاز دون تاريخ، والمرجح حسب تسلسل التقرير أن يكون بتاريخ 08 جانفي 1992، أي يوما قبل انعقاد اليومين الدراسيين حول العمل يوم 09 جانفي 1992. ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.



من أربعة مجلدات[1] أو مجلدين[2]، يضم بين دفتيه تراجم أعلام الإباضية المشارقة الذين توفّوا قبل سنة 145هـ[3]، والمغاربة الذين توفوا قبل سنة 1980؛ أي من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي[4]، وقد بلغ عدد الأعلام المترجم لهم 1085 عَلَمًا.

والحديث عن الأعلام هو حديث عن العلماء والفقهاء والمفكرين والمؤرخين... وكل من ارتفع عن العامّة بعمل جليل قدمه فتميز به زمانا أو مكانا، سواء كانوا رجالا أو نساء، شيوخا أم شبابا. وأما الحديث عن المشرق والمغرب فبسبب شساعة الخريطة الإباضية؛ فأُدرج في المعجم من انتسب إلى

---

(1) نسخة الجزائر من إنجاز لجنة البحث العلمي لجمعية التراث، جمعية التراث، القرارة، غرداية، ط.1، 1420هـ/1999.

(2) نسخة لبنان نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط.2، 1421هـ/2000. ونسخة دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

(3) وجاء هذا التحديد لأعلام الإباضية المشارقة، لأن قسم المشرق كان من إنجاز العمانيين تحت إشراف الدكتور محمد ناصر أيام كان أستاذا بمعهد القضاء الشرعي والوعظ الإرشاد (تغير الاسم إلى معهد العلوم الشرعية بعد ذلك)، يقول الدكتور ناصر: «لعل من أعظم الأعمال التأليفية التي حصل لي شرف الكتابة فيها والإشراف على إخراجها من ألِفِها إلى يائها معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق).فقد أوحى به إليّ معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) الذي ألّفه باحثون ميزابيون تحت إشراف جمعية التراث بالقرارة، إذ خُيِّل إليّ أن هذا العمل العلمي الضخم لا يكتمل علميا ولا تاريخيا دون أن يضاف إليه أعلام المشرق الإباضيون». ناصر؛ **ذكرياتي ومذكراتي**، ج2، ص:653.

(4) لجنة البحث العلمي لجمعية التراث، **معجم أعلام الإباضية**، نشر دار الغرب الإسلامي، ص:18.

بلدان: مصر، وليبيا، وتونس والجزائر[1].

سار العمل في مشروع معجم أعلام الإباضية بمراحل:

1. المرحلة التجريبية: ابتدأتها مجموعة من طلبة العاصمة كما أشرنا إلى ذلك سلفا، عقدت خلاله خمس (5) اجتماعات متواصلة لضبط طريقة العمل[2]، وبعد عرض النتائج في صائفة 1991، أعطيت إشارة الانطلاق الرسمية للمشروع، وأنشئت بهذه المناسبة لجنة الشرق التي تضم مدينتي قسنطينة وباتنة تحت إشراف الأستاذ إبراهيم بحاز.

2. مرحلة إنجاز قائمة موحّدة للمصادر والمراجع: وضمت هذه القائمة أكثر من ستمائة (600) مصدر ومرجع إباضي وغير إباضي، وبلغات مختلفة، كما شملت الجرائد والمجلات والمقابلات.

3. مرحلة مسح المادة العلمية: تم فيها مسح المراجع والمصادر، وأدرجت في أكثر من خمسة عشر ألف (15000) بطاقة ترجمتْ لحوالي ثلاثة آلاف علَم (3000)، واستغرقت 3 سنوات.

4. مرحلة التصنيف والترتيب: هي من المراحل التي اختبرت صبر الفريق وذكاءه في التعامل مع أمثال هذه المواقف، فبعد ملء البطاقات وإدراج المعلومات فيها، جاءت مرحلة تنظيمها؛ فالعلَم الواحد قد تُملأ له أكثر من بطاقة، وقد يقيّد العلَم بأسماء مختلفة، أو بترتيب مختلف بين الاسم والكنية والشهرة، فدعت

---

(1) فريق البحث العلمي لجمعية التراث مكابدة.. نحو جماعة علمية، ص:08.

(2) م.س.ن.



«منهجية ضبط العمل أثناء التصنيف والترتيب إلى إعطاء أرقام أولية للأعلام، متسلسلة وفق حروف المعجم، ليكون التعامل معها فيما بعد بالاسم والرقم معا»[1] مع اعتبار غياب وسائل تكنولوجية تسرّع عملية التصنيف والترتيب.

5. **مرحلة التحرير والتبييض**: هي خاتمة العمل البحثي، حيث يتم دمج بطاقات العلَم الواحد في بطاقة واحدة وتحرير الترجمة النهائية، في أيام مغلقة تستمر ما بين اليومين إلى الأسبوعين، وقد بدت التراجم الأولى التجريبية «جافة لا حياة فيها»، فيها «نوع من البخل في الأسلوب»[2]، فأعيدت الصياغة وتمت مراجعة الأسلوب وتصحيح الأخطاء اللغوية من طرف اللجنة الرئيسة للمعجم: «الدكتور إبراهيم بحاز، والأستاذ محمد باباعمي، والأستاذ مصطفى باجو، والأستاذ مصطفى شريفي»[3].

6. **مرحلة إعداد النسخة التجريبية**: بعد الانتهاء من تحرير المادة العلمية، وظف الفريق خبرته في مجال الطباعة من تصفيف وفهرسة وتصوير، مستغلا الوسائل التي كانت متاحة في الجمعية من أجهزة كمبيوتر وبرامج وآلات استنساخ، تحضيرا لإرسال العمل للمراجعة من طرف مشايخ وأكاديميين وباحثين.

واعتماد الفريق على نفسه في العمل هو نتيجة الاستراتيجية

---

(1) **معجم أعلام الإباضية**، ص:20.

(2) م.س، ص:21.

(3) م.س.ن.

التي آمن بها وهي ضرورة التكوين، وضرورة الاستثمار في الإنسان، فكان أن حقق نجاحه حتى قبل صدور العمل، لأنه استطاع أن يكوّن فريقا يمكن أن يلد مشاريع أخرى.

7. مرحلة التصويبات والملاحظات والاقتراحات: هي مرحلة أضافت مؤشرات أخرى إلى ديناميكية العمل الجماعي، فبعد أن استقطب العمل إليه الباحثين والمحسنين، أشرك معه في هذه المرحلة مراجعين من أكاديميين ومشايخ[1] من «ذوي الاختصاص والاطلاع على تاريخ الإباضية،... فطال الانتظار ـ «ثلاث سنوات»[2] ـ، فوصلت الملاحظات من 15 شخصية[3]، أخذت بعين الاعتبار وأدرجت الإضافات ورُمز لها بـ: م.ن.ت.م (ملاحظات على النسخة التجريبية للمعجم).

8. مرحلة المراجعة النهائية: وهي مرحلة اللمسات الأخيرة واللحظات المشدودة، فالعمل أصبح يستغرق اليوم كله إلا سويعات؛ يبدأ العمل فيه بعد الفجر وينتهي في منتصف الليل لمدة أسبوع للمراجعة النهائية على جهاز الكمبيوتر لتدارك الأخطاء اللغوية ومعالجة الأسلوب، بعد أن استغرق الجزء الأول من هذه المرحلة حوالي ثلاثة أشهر قضته اللجنة المشرفة في إدراج التصويبات

(1) من المشايخ الذين تركوا بصمتهم ليس على العمل فقط بل على العاملين أيضا، الشيخ عدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فرغم مشاغله الكثيرة وعمره المبارك الذي جاوز 93 سنة؛ إلا أنه خصص وقتا للمراجعة الشاملة للمعجم صفحة صفحة.

(2) م.س.ن.

(3) م.س، ص:08.

وتصحيح المعجم تصحيحا كاملا.

حمد القوم السرى؛ بعد ليل بهيم عمت فيه الفوضى، وانتشرت فيه رائحة الدم واختلطت بدموع الحزن، وبرزت ملامح الفجر الصادق لإنهاء أزمة خلّفت الآلاف من الضحايا والمفقودين، وبعد سفر طويل بلغت سنواته السبعَ الشداد، جاءت النتيجة مصدّقة لما صبر عليه هؤلاء الباحثون وأمّل فيه المشايخ والمحسنون[1]، فأصبح المعجم نقطة فارقة في البحث العلمي[2] لا يمكن تجاوزها لمن أراد البحث والغوص في أعماق الفكر الإباضي؛ وبهذا تحقق الهدف الأساس الذي سطرته الجمعية من هذا العمل، وهو «إزالة الغبش الذي ران على أنظار الكثيرين نحو الإباضية، وبيان حقيقة هذه الفئة، كما تبرزها مصادرها، وإقامة الحجة على الدارسين والباحثين، بتوفير الوسائل الممكنة من الوصول

---

(1) جاء في مقدمة المعجم: «وقد رعى هؤلاء الشبابَ آباء كرام، حَبَوْهُم بالعناية وخالص الدعاء، واحتضنهم سراة كرماء، لم يبخلوا عليهم بالنفس والمال والجهد والزمن، وتنافسوا في استضافة أيام «غار أمجماج»، وتوفير الجو المناسب لنجاحها». **معجم أعلام الإباضية**، ص:30.

(2) يقول الباحث بلقاسم مالكية: «البحث في كتب التراجم أعثرني على كتاب مهم جدا في هذا المجال، والكتاب هو: «معجم أعلام الإباضية: قسم المغرب الإسلامي»، حيث أن الباحثين الذين أنجزوا هذا المعجم، جعلوا له مقدمة وافية، طرحت فيها قضايا كثيرة...». ينظر: مالكية؛ بلقاسم، **من أجل موسوعة لأعلام الجنوب الشرقي الجزائري**، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة - الجزائر، ع: 2012/01، دون صفحة.

إلى هذه الحقيقة..»[1].



(1) لجنة البحث العلمي لجمعية التراث، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس عشرة، قسم المغرب** ج1، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط.1، 1420هـ/1999، المقدمة ص: ن ن.



المطلب الثالث: «دليل مخطوطات وادي ميزاب»

اجتهد فريق البحث العلمي لجمعية التراث تحت إشراف محمد باباعمي، مباشرة بعد تعيينه أمينا عاما لجمعية التراث سنة 1992[(1)]، على تحقيق مشروع آخر من مشاريع خدمة التراث الإباضي[(2)]، باستشارة «الأستاذ المكتبي ومدير المكتبة الوطنية عيسى وموسى محمد»[(3)]، وبمساعدة الباحث مصطفى شريفي الذي أصبح من الأعضاء الأساسيين في المشروع[(4)]، وهو مشروع

---

(1) ابن دريسو؛ مصطفى، **فهرسة المكتبات والمخطوطات في وادي ميزاب «دراسة وتحليل»**، مجلة الحياة، دورية فكرية يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث، القرارة، غرداية - الجزائر، العدد: 12، رمضان 1429هـ/أكتوبر 2008، ص:198.

(2) أصل الفكرة أنها ولدت «في أواسط سنة 1992، وكانت غامضة تبدو مستحيلة لأسباب بعضها موضوعية وأخرى ذاتية، منها ما يتعلق بالمكتبات ومنها ما يرجع إلى الوسائل ومنها ما يعود إلى الكفاءات». جمعية التراث، فهرس مكتبة آل يدر، ص:ط. وبعد الاطلاع على بعض تقارير جمعية التراث في سنواتها الأولى وجدت تقريرا يعود لسنة 1989 تحت عنوان لجنة المكتبات والتوثيق، البرنامج السنوي لسنة 1989، ومن ضمن أعمال «التوثيق»: فهرس مخطوطات مكتبة الحاج سعيد، ومكتبة الشيخ عبد الرحمن. كما وجدت نموذجا لـ «استمارة دليل المكتبات».

(3) نقلا عن «تقرير بأهم أعمال جمعية التراث»، أعده الأمين العام: محمد باباعمي، في أرشيف جمعية التراث بالقرارة ولاية غرداية، (د.ت). والمرجح أنه في 1993، حيث ورد في التقرير: «وقد شرع العمل فيه في السنة الماضية فقط».

(4) يرى د. مصطفى باجو أن د. مصطفى شريفي تمكن في تحقيق المخطوطات رغم أنه لم يدرسه كتخصص، وهذا من إيجابيات جمعية التراث التي منحت الفرصة للطلبة من التعلم وتعليم الآخرين، وكما يقال: «أكبر تلميذ في القسم وأكبر مستفيد هو =

«نحو دليل مخطوطات وادي مزاب»[1]، باعتبار أن المخطوط ناقل مهم للعلم والحضارة، وباعتبار الحالة التي تعيشها المخطوطات في الجزائر بعامة وفي وادي مزاب بخاصة إما بسبب التهريب والإتلاف التي قام بها الاحتلال الفرنسي، أو بسبب العوامل الطبيعية، أو بسبب غلق مُلَّاك هذه المخطوطات الأبواب في وجوه الباحثين والمحققين[2]، مما عرّض الكثير من المخطوطات إلى التلف والضياع بعد تناقلها بين الورثة[3].

= المعلم». لقاء مع د. مصطفى باجو في منزل أبناء الشيخ صالح حدبون، الحميز، الجزائر، أفريل 2018.

(1) ينظر أيضا مقال: عوفي؛ عبد الكريم، **جمعية التراث بالقرارة ومشروعها الطموح لحماية المخطوطات في منطقة وادي ميزاب** (الجزائر) - القسم الأول -، مجلة الحياة، دورية فكرية يصدرها معهد الحياة، القرارة، غرداية - الجزائر، العدد: 01، رمضان 1418هـ/جانفي 1998، ص:165 وما بعدها.

(2) ينظر: **فريق البحث العلمي لجمعية التراث مكابدة.. نحو جماعة علمية**، ص:13. وإمناسن؛ محمد بن أحمد، **العناية بالمخطوط في وادي ميزاب، ملتقى المخطوط لولايات شمال الصحراء**، أعمال ملتقى غرداية، المجلة المغاربية للمخطوطات، مخبر المخطوطات جامعة الجزائر، المجلد 1، رقم 1، شوال 1425هـ/ديسمبر 2004، ص:96.

(3) ولعل من الأمثلة على هذه القصة ما أورده الشيخ بالحاج شريفي في تقديمه لتفسير الشيخ هود بن محكم الهواري؛ فقد ظل مغمورا غير معروف، لأن مخطوطاته كانت متفرقة في خزائن خاصة احتفظ بها الأبناء والأحفاد تركة من آبائهم العلماء. ينظر: الهواري؛ هود بن محكم، **تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق وتعليق: بالحاج بن سعيد شريفي، ج1، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط.1، 1990، ص:5. ومن الأمثلة أيضا أن «تقسيم مخطوط بالأجزاء بين ورثةٍ كان أكبر دافع لأحد المهتمين بالمخطوط وهو الحاج سعيد محمد لخبورات لإنشاء جمعية تهتم بالتراث»، حسب الدكتور محمد باباعمي في اللقاء الذي جمعني به في معهد المناهج =



بدأت حملة التحسيس بأهمية العناية بالمخطوط وضرورة فتح الخزائن أمام الباحثين والمهتمين، وهذا بمبادرة من القائمين على المشروع وبمساندة الشيخ عدون رئيس جمعية التراث ورئيس أعلى هيئة دينية في وادي مزاب (مجلس عمي سعيد)، ما بين ترغيب بالأجر العظيم وحفظ تراث الأجداد، وترهيب من وزر تضييع العلم وكتمانه، فنتج عن ذلك تغيير في الذهنيات[1] وإقبال على المشروع من طرف المحسنين بأموالهم، والطلبة والباحثين بجهدهم وأوقاتهم[2].

ابتدأ أول عمل ضمن مشروع «دليل المخطوطات» في ديسمبر 1992، باكتشاف منهجية العمل ووضع نموذج (***model***) يحتذى به[3]، فقُسِّمت المكتبات إلى عامّة وخاصة، وتابعة للهيئات العرفية أو الجمعيّات الثقافيّة[4]، وضمت النواة الأولى أربعة باحثين

= بتاريخ 24 جانفي 2019.

(1) نلحظ من التقرير الذي أُعِدّ قبل اقتناع الناس بفكرة فتح مكتباتهم وخزائنهم للتوثيق، نقرأ فيه نوعا من خيبة الأمل في تحقيق النتيجة: «إرسال الوثائق وإقامة الملتقى لم تكن في مستوى الهدف الذي رسمت من أجله (المحاولتان)، فلم يتحقق وضع الدليل، ولم يشرع في إنجاز فهرس لمكتبة، نرجو أن لا يؤثر هذا الجانب على مجمل النشاط، وعسى أن يكون ذلك حافزا على تدارك النقص والعمل في المستقبل على تجاوز التأخر الملحوظ، والله المستعان»، ينظر التقرير في أصل هذه الدراسة.

(2) برزت في هذا المجال مؤسستان: جمعية التراث: tourath.org وجمعية أبي إسحاق: elminhaj.org، التي تأسست سنة 1995.

(3) استُعين بكل من الأستاذين محمد عيسى وموسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومحمد الحاج سعيد لتحديد المنهجية والطريقة، ينظر: **فهرس مكتبة آل يدر**، ص: ط.

(4) ينظر: **فريق البحث العلمي لجمعية التراث مكابدة.. نحو جماعة علمية**، ص:13.

أنجزوا فهرس «عشيرة آل يدر» ببني يزقن، ثم ازداد عدد الباحثين والمشاركين في العمل ليصل إلى عشرين من مختلف التخصصات الإنسانية، أنجزوا استمارات سبعة عشر مكتبة (منها تسع مكتبات لم تطبع استماراتها)[1] ما بين 1992 و1998، متجاوزين 4500 بطاقة منجزة ومسح أكثر من خمسة آلاف مخطوط[2]، وبحجم ساعي قدر بـ: 1817 ساعة عمل خام[3]، تم إنجازها في أيام غار «أمجماج» المغلقة التي كانت تدوم ما بين يومين أو أكثر.

حاول فريق البحث العلمي أن يساير النظم الحديثة في التنظيم والبرمجة، وأن يستفيد منها في إعداد «دليل المخطوطات»؛ فتعاقد عام 1995 مع مركز الإعلام العلمي والتقني (***CERIST***)[4] فرع غرداية وأنجز برنامجا إلكترونيا ***logiciel*** لتسيير الدليل[5]

(1) ينظر: باباواسماعيل؛ زهير، **فهارس مخطوطات مكتبات وادي مزاب وقراءة وصفية لمحتوياتها**، مجلة التراث، مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، جامعة زيان عاشور، الجلفة - الجزائر، العدد 20، ديسمبر 2015، ص: 41-43.

(2) باباعمي، **محاضرة الجماعة العلمية 2**.

(3) خام تستدعي على الأقل ساعات لتحضير العمل، الساعة الواحدة في العمل التنظيمي قبل وبعد الأيام المغلقة ضعفين (تقديري). الخام تحسب فقط ما أنجز في الأيام المغلقة.

(4) تم إنشاء مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني، في عام 1985 بموجب المرسوم رقم 85-56 المؤرخ في 16 مارس 1985 وكان تحت وصاية رئيس مجلس الوزراء وكانت مهمته الرئيسية متابعة أي بحث له صلة بإنشاء ووضع وتطوير النظام الوطني للإعلام العلمي والتقني. http://www.cerist.dz.

(5) لجنة البحث العلمي لجمعية التراث، **معجم أعلام الإباضية**، ج1، جمعية التراث، المقدمة ص: س.



«يتمتع بإمكانية البحث عن العناوين أو المؤلفين أو النساخ أو مؤلفات عالِم خاص بطريقة آلية»[1]، كما أدار مسار معالجة المخطوط باحترافية؛ من الفكرة إلى الإنجاز مرورا بالتفاصيل المتعلقة بتنظيم بيئة العمل والمشاركين، من ترقيم للمخطوط، وملء الاستمارات، ثم المراجعة والتصفيف، مع ملاحظة أن فريق البحث العلمي لم يقيّد «تواريخ الدورات المتوالية التي تنظمها الجمعية ولا أسماء فريق البحث المشاركين في كل مكتبة على حدة»[2].

لقد سعى القائمون على جمعية التراث إلى إشراك الطلبة والباحثين غير المتخصصين في عمل الفهرسة؛ بهدف منح الطالب تكوينا يفيده في مشواره الأكاديمي، بعدما منح الجمعيةَ من وقته لإنجاز مشاريعها[3]، فكانت عين القائمين مُنْصَبّة لا على ما سيُنْتَج ـ على أهميته ـ وإنما على هذا الإنسان ليصل إلى حالة «الرشد» فيصبح هو نفسه قادرا على الإنتاج العلمي، وهو ما سمي بعد ذلك بثنائية «المنتَج/ القدرة على الإنتاج» «*P/CP: Production/ Capacité du Production*»[4]. وفعلا، «فكثير

(1) ابن دريسو؛ **فهرسة المكتبات والمخطوطات في وادي ميزاب**، ص:202.

(2) م.س، ص:208.

(3) ينظر التقرير الذي أعده الأمين العام محمد باباعمي (د.ت)، والمرجح في العام الدراسي 1993-1994 (لقوله دار الحول بعد تعيينه)، التقرير في أصل هذه الدراسة.

(4) من المفاهيم التي وظفها نموذج الرشد، تم تفعيل هذه الثنائية في إطار مكتب الدراسات العلمية تحت إدارة د. محمد باباعمي كتطبيق للمبدأ الذي تحدث عنه ستيفن كوفي حول الدجاجة التي تلد البيض الذهبي، وقد استخلص من هذه القصة =

ممن تمكن في الفهرسة بعد ذلك فإن الفضل يرجع إلى تكوينه الصحيح في جمعية التراث، واكتسابه الخبرة من التعامل مع المخطوط»[1].

ولكن «لابُدّ دونَ الشّهدِ من إبَرِ النّحلِ»[2]، فهذا الهدف الذي سعى إلى تحقيقه القائمون على الجمعية، وضع العمل المنجز في ميزان النقد وحرّك كوامن التداول المعرفي لدى الباحثين فقدموا بعض الملاحظات الدقيقة التقنية والمنهجية؛ من مثل: غياب أسماء بعض أصحاب المخطوطات أو تواريخ ميلادهم

= ضرورة التركيز على المنتِج (آلة أو إنسانا) وليس المنتَج فقط، يقول:
«L'Équilibre P/CP joue un rôle tout aussi important dans les ressources humaines (....). Le principe CP nous apprend qu'il faut toujours traiter ses employés comme l'on traite ses meilleurs clients (...) Travailler sur la capacité de production revient à traiter les employés comme des volontaires (...) On peut acheter les mains d'un employé, mais on ne peut acheter son coeur. Or, c'est dans le coeur que résident l'enthousiasme et le dévouement. On peut acheter son dos, mais pas son esprit. Or, c'est là que vivent la créativité, l'ingéniosité, et les ressources.», Covey; Stephen R.: Les 7 Habitudes De Ceux Qui Réalisent Tout Ce Qu'ils Entreprennent, First ed. 1996, p:52.
وينظر: باباعمي، **العلم والعالم**، ص:131.

(1) م.س.ن.

(2) من قصيدة: «دون الشهد إبر النحل»، ومطلعها: «كدعواك كل يدعي صحة العقل» للمتنبي، وصَدْر البيت: «تُريدينَ لُقيانَ المَعَالي رَخيصَةً»، ينظر: المتنبي؛ أبو الطيب، **ديوان المتنبي**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1403هـ/1983، ص:815.



ووفاتهم، أو غياب الدقة في التواريخ المذكورة[1]، وهذا راجع إلى النقص في التكوين ـ في نسبة صغيرة منه ـ، وكذلك إلى طبيعة المخطوط غير المحترفة، وكذلك النساخ غير المحترفين، إضافة إلى أن «معجم أعلام الإباضية» لم يولد بعد[2].

ورغم الملاحظات يبقى العمل الذي أنجزه فريق البحث العلمي لجمعية التراث رائدا في مجاله لأنه جاء «في فترة متقدمة من الدراسات الأكاديمية حول التراث الإباضي»[3]، ولأنه أقدم «على مشروع من أخطر المشاريع الثقافية في الوطن، التي كان ينبغي القيام بها بعد الاستقلال... لم تقم به الجهات الرسمية، التي لها من الإمكانات المادية ما يمكنها من إنجاز مؤسسة وطنية، خاصة بحماية تراث الأمة بكامله؛ تعريفا وصيانة، وحفظا، وفهرسة، وتحقيقا، ونشرا»[4]، ولأنه يشكل محاولة أخرى في سبيل «الجماعة العلمية» بما لها وما عليها؛ ويمثل تراكما معرفيا، سيولِد عبر السنين مشاريع أخرى، سواء في سياق جمعية التراث، أو في سياقات أخرى.

---

(1) عوفي؛ عبد الكريم، **جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين**، مجلة «عالم المخطوطات والنوادر، ملحق محكم نصف سنوي» يصدر عن عالم الكتب، الرياض - السعودية، مجلد 4، عدد:1، المحرم/جمادى الآخرة 1420هـ، مايو/أكتوبر 1999، ص:29.

(2) لقاء مع الدكتور باباعمي في معهد المناهج، 2019/02/11.

(3) ابن دريسو؛ **فهرسة المكتبات والمخطوطات في وادي ميزاب**، ص:208.

(4) عوفي؛ م.س، ص:29.

المطلب الرابع: «معجم مصطلحات الإباضية»

عاود الباحثين وفريق البحث الحنينُ إلى العمل الجماعي وإلى الإنجاز[1]، فكان السؤال يتردد صداه في المكتبات وفي مدرجات الجامعة: «ماذا بعد معجم أعلام الإباضية؟»، هل من مشروع يجمعنا، وهل من إنجاز يوحدنا؟ بعد أن عاش الباحثون في عمومهم 7 سنوات مع بعض، يتقاسمون المأكل والمشرب، والتنقل والبحث عن المعلومة.

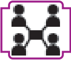
وقد كان المعني بالإجابة عن هذا السؤال هو فريق البحث العلمي لجمعية التراث، وهو الذي دأب على التنظيم والتوجيه والاستدعاء، رغم أن الفريق بدأت المهام تثقل حركته[2]، فكان الانتظار لمدة 3 سنوات منذ نهاية عمل «معجم الأعلام» إلى غاية أول لقاء حول «معجم المصطلحات».

الْتأمَ الشملُ في أول جلسة عامة مع فجر يوم الاثنين 08 جمادى الثانية 1422هـ الموافق لـ 27 أوت 2001، بمكتبة مصلى أبي عبيدة بالجزائر العاصمة ودام اللقاء ثلاثة أيام[3]، لمناقشة فكرة إعداد

(1) ينظر في هذا المعنى مقدمة مقال: حول الأوامر التكوينية والأوامر التشريعية، باباعمي؛ محمد وآخرون، **إشكالية الصلة بين الفقه والفكر بين الأحكام التكليفية والأحكام التكوينية**، نشر كتابك، الجزائر، 1438هـ/2017، ص:14.

(2) بين توظيف جديد في الجامعة وتحويل لمقر العمل أو الإقامة.

(3) **فريق البحث العلمي لجمعية التراث، مكابدة.. نحو جماعة علمية**، ص:12.



معجم لمصطلحات الإباضية، يصب في الخط المنهجي[1] لجمعية التراث، والتي تسعى دائما لتطبيق نظرية «المعرفة، والتعارف، والاعتراف» أكاديميا، ويكون إضافة لمنجزات جمعية التراث منذ انطلاقتها سنة 1983.

كانت انطلاقة الفكرة عندما أنشئت وحدة الدراسات العمانية في جامعة آل البيت بالأردن[2]، وكان من أهدافها ـ تماشيا مع أهداف الجامعة ـ القيام ببحوث في الشأن العماني: الديني، الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي،... إلى غير ذلك من المجالات الأخرى. ولما عُيّن الدكتور إبراهيم بحاز مديرا للوحدة (2000-2003)، راودته رفقة الأستاذ محمد باباعمي؛ ـ وبعد نقاشات وحوارت ـ فكرة تقديم مشروع بحث حول المصطلحات الإباضية[3] ينجز

(1) ينظر مقال «**بؤرة تفكيري وخطي المنهجي**»: باباعمي؛ محمد، ذي قربتي، نشر مؤسسة كتابك، الجزائر، ط.1، 1434هـ/2013، ص:77. ومقال: «**ما بعد بؤرة تفكيري وخطي المنهجي**»: باباعمي؛ محمد، **تيه ورشاد: من القابلية للاستعمار إلى القابلية للرشد - نحو نموذج بديل**، نشر دار الفكر - سوريا، ومؤسسة كتابك - الجزائر، ط.1، 1437هـ/2016، ص:42.

(2) أسست وَحدة الدراسات العُمانية في جامعة آل البيت الأردنية عام 1998م، وجاء تأسيسها بتمويل من سلطان عمان قابوس بن سعيد، والجهة المشرفة على وحدة الدراسات العُمانية في سلطنة عُمان: هي وزارة الأوقاف والشؤون الدينية/ مكتب الإفتاء. ينظر موقع جامعة آل البيت: https://aabu.edu.jo/.

(3) ورد في مقدمة كتاب «معجم مصطلحات الإباضية» أن فكرة التعريف بالمصطلحات الإباضية جاءت استمرارا لجهود العلماء السابقين، فمنهم من أفرد مؤلفا خاصا بها، ومنهم من ضمنها ثنايا كتبه مثل: أبي القاسم البرادي، وابن بركة، والكدمي، وعمرو بن جميع، والوارجلاني، والدرجيني، والقطب اطفيش، ونور الدين السالمي، كما أسهم بعض الباحثين المعاصرين من خلال مؤلفاتهم العلمية، أو بحوثهم الأكاديمية =

في إطار الوحدة؛ يضيف لبنة أخرى في مجال البحث الأكاديمي ويقرّب الشقة أكثر بين المذاهب[1].

عَيّنت الجامعة لتقييم المشروع لجنة مكونة من: الأستاذ الدكتور قحطان الدوري: عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية، والأستاذ الدكتور عزمي طه: عميد متطلبات الجامعة، والأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله: عضو هيئة التدريس بقسم التاريخ، فزكّته وقدّرت منحاه الذي ينبذ التعصب المذهبي، ثم حصل على تزكية ثانية من المجلس العلمي للجامعة[2].

وربحا للوقت، وفي انتظار رؤية الجامعة لِطَرق تمويل المشروع، وبناء على خبرة الدكتور بحاز والأستاذ باباعمي التي اكتسباها في إطار «معجم أعلام الإباضية»، بادرا لطرح الفكرة على الباحثين في جمعية التراث في أول اجتماع لهم، بعد معجم الأعلام، في صائفة 2001 لمناقشة تفاصيلها، ووضع المعالم المنهجية للعمل.

تمخضت عن الصائفة مناقشة جادة لرؤية المشروع الذي

= في ضبط بعض المصطلحات. ينظر: لجنة البحث العلمي لجمعية التراث، معجم مصطلحات الإباضية، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.2، 1433هـ/2012، ص: ك.

(1) بحاز؛ إبراهيم، **معجم المصطلحات الإباضية: الفكرة، الخطوات، والأهداف**، أعمال الملتقى العلمي الثالث لوحدة الدراسات العمانية بجامعة آل البيت حول «التحولات في المجتمع العماني الحديث والمعاصر»، جامعة آل البيت - وحدة الدراسات العمانية، عمّان - الأردن، 14-15 أفريل 2004م.

(2) م.س.ن.



سيأخذ من الوقت سبعة عشر ألف ساعة (17 ألف) عمل خام[(1)]، في سبع وثلاثين دورة مغلقة كانت تستمر بين الثلاثة أيام إلى نصف الشهر، ولمدة أربع سنوات ونصف؛ أي بمعدل دورة في كل شهر ونصف الشهر، تم فيها ملء خمسة آلاف وواحد وثمانين (5081) بطاقة لأكثر من ثلاثة آلاف (3000) مصطلح، ثم نقحت وضمت بعضها إلى بعض فاستقر العمل النهائي على ألف ومئة وأربع وثمانين (1184) مصطلحا ضمته طبعتا سلطنة عمان[(2)] في مجلدين، وطبعتا الجزائر[(3)] في 3 مجلدات، بمشاركة ثمان وثلاثين باحثا من الحاصلين على الماجستير فما فوق، منهم سبعة في إدارة المشروع.

هذه الأرقام وهذه الإحصائيات قد لا تأخذ من القراءة سوى بضع ثوان، ولكن الإنجاز أخذ من العمر السنين، وقد كان للجلستين الأوليين التي فيها ضُبِط المنهج ووُحِّد الإيقاع أكبر الأثر في النتائج التي حصلت بعد ذلك.

فالجلسة الأولى كانت في بداية صائفة 2001، وضمت النواةَ الأولى لفريق البحث العلمي الذي عليه يكون الارتكاز في تحفيز

(1) الساعة الخام تحسب فقط مدة العمل عند إنجازه، دون احتساب التحضير له من وسائل وآليات.

(2) نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 1429هـ/2008م - و1433هـ/2012م.

(3) نشر دار الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، بمناسبة «تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011»، 1432هـ/2011م، ودار الوعي، الجزائر، كذلك بمناسبة «تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011»، 1432هـ/2011م. (استغربت من الاختلاف في تاريخ النشر بين الجزئين الأول والثالث (1432هـ/2011م) أما الثاني (1433هـ/2012م)؟

العمل وتوجيه الطاقة، وفيها نوقشت المعالم المنهجية للمشروع لتكون المرجع للعاملين لما سيأتي من الأيام، وأُقرّت الخطوات التاليةُ[1]:

- **صياغة بطاقة المصطلح**: تجيب على أسئلة الباحثين في رحلتهم مع المصطلح، حيث تشمل البطاقة حقولا حول ضبط شكل المصطلح وطريقة لفظه عند الضرورة (بخاصة إذا كان لفظا أمازيغيا)، واقتباس نص التعريف أو استنتاج التعريف مع ذكر الدليل في الاستنتاج، وتاريخيته وخصوصيته بالإباضية، ومصادر المؤلف في التعريف. وقد تركت مساحة لتدوين ملاحظات الباحث، على أن يدون اسمه في أعلى البطاقة.

- **صياغة بطاقة المصدر**: وقسّم المصدر إلى نوعين:

  - المصدر المطبوع: يدون الباحث في البطاقة اسم المؤلف كاملا مع تاريخ وفاته إن وجد، وعنوان الكتاب كاملا، وتصنيفه بين التأليف أو الترجمة أو التحقيق أو المراجعة، مع ذكر عدد الأجزاء إن وجد، ومعلومات الطبع من حيث دار النشر، ومكانه، ورقم الطبعة، وتاريخها.

  - المصدر المخطوط: إضافة إلى معلومات المؤلف؛ اسمه، وتاريخ وفاته، وإضافة إلى عنوان الكتاب، يدوّن الباحث عدد أجزاء المخطوط، وعدد أوراق كل جزء، واسم الناسخ ومكان النسخ، مع ذكر مكان وجود المخطوط

---

(1) لجنة البحث العلمي لجمعية التراث، **معجم مصطلحات الإباضية**، ص: ك.

ورقمه في المكتبة. (ويلحق بالمخطوط التعامل مع الوثيقة).

- **منهج اللقاءات**: اعتُمدت طريقة الدورات المغلقة «أيام غار أمجماج» تأسيا بالعمل في معجم أعلام الإباضية، وما أثمرته من نتائج عالية سواء من حيث المحتوى أم من حيث العلاقة بين الباحثين.

- **ضبط قائمة الباحثين المشاركين**: اتفق الفريق على أن من شروط الانضمام لفريق العمل أن يكون الباحث حاصلا على درجة الماجستير فما فوق، فالعمل بحثي يحتاج إلى تدخل الباحث في الكثير من النقاط، مما يستدعي ملكة بحثية قد لا يحوزها الطالب في مرحلة التدرج.

وربما الملاحظ أيضا، مقارنةً بمعجم الأعلام، أن الحاجة التي كانت في معجم الأعلام قد رُفعت نسبيا، فالسياق الذي ولد فيه مشروع معجم الأعلام كان في فترة «ما قبل الفتح» وقبل أن يتجلى «الربيع»، اضطر القائمون عليه بذلَ جهد كبير في لم شمل الباحثين على قلتهم في مراحل الدراسات العليا وكثرتهم في مرحلة الليسانس، إقناعا وصبرا على تغيير الذهنيات.

عقدت جلسة ثانية بعد الأولى لمدة ثلاثة أيام، في أواخر الصائفة 2001 للباحثين الذين تم اختيارهم للمشاركة في العمل، منهم من لبى الدعوة ومنهم من اعتذر إما بالحال أو بالمقال[1]،

(1) بناء على تقرير الاجتماع الذي عقد في مصلى أبي عبيدة الذي أعده المنسق العام =

فقُسِّم الحضور التسعة عشر إلى أربع لجان وهي: لجنة العقيدة، لجنة الفقه، لجنة الحضارة، والأخيرة للمصطلحات الأدبية[1]، ثم تمت مناقشة عنوان المشروع من حيث: مدلول «المعجم»، ومدلول «المصطلح الإباضي»، فانتهى النقاش إلى أن المقصود بالمصطلح الإباضي: «اللفظ الذي اختص الإباضية باستعماله لمعنى متميز عندهم تقييدا أو استقلالا[2]».

أما اختيار «معجم» وليس «موسوعة» فلأن «الأول يختص بالمصطلحات الأصلية الجديرة بالاستقلال واستجماع بياناتها

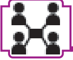
= مصطفى ابن دريسو لمناقشة معجم المصطلحات، وبناء على تقسيم الأسماء على اللجان منها ما عُيّن - أي كان حاضرا - ومنها ماكان مجرد اقتراح، يمكن قراءة التقرير وفق ما يأتي:

- ضمت القائمة الأولية 19 اسما حضرت اللقاء و10 أسماء لم تحضر واقتُرِحتْ للانضمام.
- الأسماء التي حضرت اللقاء وأنجزت العمل عددها: 18، بانسحاب باحث واحد.
- الأسماء التي اقترحت وانضمت: 6، بغياب 4 أسماء.
- الأسماء الجديدة: 14.
- مجموع الباحثين: 38 باحثا.

ينظر: ابن دريسو؛ مصطفى، **تقرير معجم مصطلحات الإباضية**، مجلة الحياة، ع: 05، دورية فكرية يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث، القرارة - غرداية - الجزائر، رمضان 1422هـ/ديسمبر 2001، ص:279.

(1) ألغيت هذه اللجنة بعد ذلك وكان من المفروض أن تجمع 4 أسماء، فحُوّل الباحث الذي اقتُرح لهذه اللجنة ووافق على المشاركة إلى لجنة الحضارة، أما الثلاثة الآخرون فلا نجد لهم ذكرا في العمل.

(2) مجموعة من الباحثين، **معجم مصطلحات الإباضية: العقيدة - الفقه - الحضارة**، ج1، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط.1، 1429هـ/2008، ص:م.



في موطن واحد، ويتحاشى الإطالة في الأدلة والأحكام إلا ما به الحاجة والضرورة للتعريف، بخلاف الموسوعة التي تشمل أي اسم علمي أو اجتماعي، وتتوسع في الأحكام والأدلة، وتفصّل في التعاريف»[1].

ثم كان الحديث عن بعض الضوابط المنهجية للعمل[2]، والتنبيهات العملية[3] منها:

- أن ترتيب المصطلحات يكون من خلال جذر الكلمة.

- يدرج المصطلح كما ورد في المصادر، دون تكلف في تنميطه ليظهر في شكل موحد مع المصطلحات الأخرى.

- يصنف المصطلح ضمن حقل معرفي يعكس التصنيف المعرفي الذي يوظف فيه، في كلمات معدودة ومجالات مضبوطة.

- يوضع تعريف للمصطلح، يبدأ باللغوي إذا كانت له علاقة بالتعريف الاصطلاحي، ثم يوضع التعريف الاصطلاحي دون إطناب، مع الإشارة إلى أن التعريف يتم بقرار لا يوصف بالصدق أو بالكذب، بل يراعى فيه أن يكون مناسبا.

وضحت هذه الجلسة للباحث الرؤية بعدما كانت مبهمة، وهو

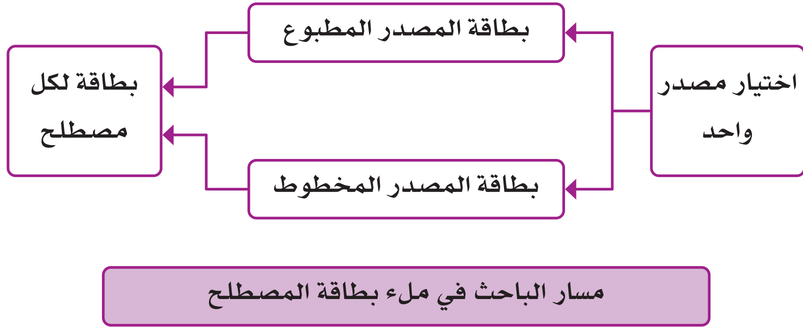
---

(1) ابن دريسو، ص:275.

(2) **معجم مصطلحات الإباضية**، ص: م.

(3) ابن دريسو، ص:277.

الذي حضر بدافع العاطفة نحو المشروع[1]، وضبطت الجلسةُ العملَ بما وضعت بين يديه طريقة ملء بطاقة المصدر والمصطلح وفق المسار التالي:



مسار الباحث في ملء بطاقة المصطلح

بعد التقسيم النهائي للجان الثلاثة أعلنت الهيكلة المعتمدة للمشروع:

- د. إبراهيم بحاز مشرفا عاما على المشروع وممثلا لجامعة آل البيت،
- أ.محمد باباعمي الأمين العام لجمعية التراث مشرفا عاما في الجزائر وممثلا للجمعية،
- أ. مصطفى ابن دريسو منسقا للمشروع،
- الإدارة العلمية[2]: د. مصطفى باجو، أ. مصطفى وينتن، أ. باحمد ارفيس، أ. مصطفى شريفي.

---

(1) بحاز، **معجم المصطلحات الاباضية: الفكرة، الخطوات، والأهداف.**

(2) **معجم مصطلحات الإباضية**، ص: ز.



- وعين على رأس كل لجنة مسؤول: لجنة المصطلحات العقدية: أ. مصطفى وينتن، لجنة المصطلحات الفقهية: د. مصطفى باجو، لجنة المصطلحات الحضارية: د. إبراهيم بحاز.

الدقة في الضبط، والوضوح في المسار حقق للمشروع نتائج لم تكن مرتبطة بمحليته فحسب، بل استطاع أن يتكيف مع بيئات أخرى، فسافر الفريق إلى سلطنة عمان[1]، وعقد هنالك في غضون سبعة عشر يوما ثمانية وثلاثين (38) لقاء، ووصل عدد اللقاءات في اليوم الواحد في بعض الأحيان إلى أربع لقاءات.

قبل السفر حُددت أهداف الرحلة[2]، وضبطت بطاقة اللقاءات

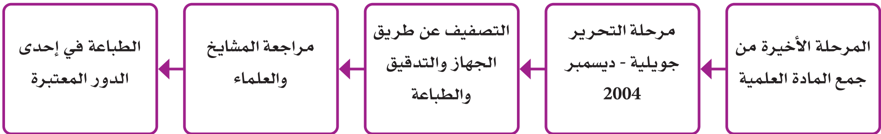
---

(1) كانت الرحلة في الفترة ما بين: 24 ماي و15 جوان 2003، وشارك فيها كل من د. محمد باباعمي، أ. مصطفى ابن دريسو، أ. باحمد ارفيس، أ. مصطفى شريفي، إضافة للدكتور مصطفى باجو الذي كان مقيما في سلطنة عمان. ومما يلاحظ في التقرير أن اختيار الأسماء كان بمعيار واضح وهو نسبة المشاركة في الدورات السابقة، فتم الترتيب على ذلك، ونجد أن أ. محمد جهلان كان من المعنيين بالرحلة إلى أن الظروف لم تسعفه، فتم اللجوء إلى الأول في القائمة الاحتياطية. ينظر: التقارير التنظيمية والتقويمية لرحلة وفد معجم مصطلحات الإباضية إلى عمان، من 24 ماي إلى 15 جوان 2003، إعداد: مصطفى ابن دريسو، نسخة في أرشيف د. محمد باباعمي.

(2) يلاحظ على أهداف الرحلة أنها تنوعت ما بين التركيز على «المنتج» (P)؛ وهو تحديد صيغة المصطلح العماني وعقد جلسات ولقاءات مع المشايخ حول المصطلح، وبين القدرة على الإنتاج (CP)؛ المتمثل في السعي لتكوين فريق بحث لمشروع المعجم ولمشاريع مستقبلية، في سبيل فتح آفاق تعاون جديد بين جمعية التراث في الجزائر وسلطنة عمان. كما روعي في الأهداف تخصيص وقت للمشاركين في هذه الرحلة لبحوثهم التي يقومون بها.
ينظر: م.س.ن.

الشفوية، تضاف إلى مجموع البطاقات التنظيمية التي أبدعها الفريق، وتصلح للاستفادة منها في مشاريع مماثلة، وقد احتوت البطاقة على الحقول التالية: المقرر، المستجوَب، الوظيفة، المكان، المدة، التاريخ، المعلومات الكاملة، الهدف من اللقاء، الحاضرون، المصطلحات الجديدة، المصادر الشفوية، المعلومات المتعلقة بالمصطلح، للمتابعة، للاتصال، المعلومات العلمية المختلفة، التقويم، نسبة تحقيق الهدف[1].

هذه الحركة كانت وفق مخطط تقريبي يعطي الرؤية البعيدة للمشروع ليسير بخطوات ثابتة، فقد أعلن د. إبراهيم بحاز في ملتقى جامعة آل البيت أن التحرير النهائي سيكون مع نهاية سنة 2004، وفق الخطوات[2]:



ما تبقى لإنجاز مشروع معجم المصطلحات

إلا أن مسار العمل لم يتحقق دون تباين مع المخطط، فقد اكتملت مرحلة التحرير النهائي في «آخر دورة بدار القرآن

---

(1) ينظر: «أربعون تقريرا للقاءات وفد معجم مصطلحات الإباضية مع الشخصيات العمانية، من 24 ماي إلى 15 جوان=22 يوما»، نسخة في أرشيف د. محمد باباعمي.

(2) بحاز، **معجم المصطلحات الاباضية: الفكرة، الخطوات، والأهداف**.



مالك بن نبي[1]، بالجزائر العاصمة، في الفترة الممتدة ما بين 25 محرم إلى 04 صفر 1427هـ/ 23 فيفري إلى 04 مارس 2006»[2]، أي بفارق سنة وشهرين عن التاريخ المخطط له، ولكن عندما نستحضر الظروف التي عمل فيها هؤلاء الباحثون، والوسائل التي استعملوها فإننا سنقدر الجهد الذي بذلوه، وسنستصغر الفارق الزمني الذي جاوزوه.

على أن المحيط كان داعما لهؤلاء الباحثين: بداية من المجتمع المزابي بهياكله ومؤسَّساته التعليميَّة، ومتابعة من المشايخ والعلماء وعلى رأسهم الشيخ عدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذا التزام الباحثين بحضور الدورات المغلقة، وانسجامهم الفكري[3]، ورعاية «وزارة الأوقاف والشؤون الدينيَّة» بسلطنة عُمان.



(1) أنشئت في 08 ديسمبر 2005، امتدادا لمدرسة «الثقافة الجديدة» ذات التعليم المسائي الموازي للتعليم الرسمي الصباحي، تعنى بتحفيظ القرآن الكريم وبناء الشخصية إيمانيا وفكريا، وقد روعي فيها معايير الجمال والجودة، ينظر: كوزي، **أزمتنا الحضارية**، ص:85. وهنا تجدر الإشارة إلى استفادة فريق البحث العلمي من أمثال هذه المشاريع التي أنجزها عضو في الفريق وهو د. محمد باباعمي ومن سانده ضمن ما يسمى «الشخصية المعنوية» أو «رحلة الفتى» التي سنتحدث عنها في الفصل الثالث.

(2) **فريق البحث العلمي لجمعية التراث مكابدة.. نحو جماعة علمية**، ص:12.

(3) كنت قد اقتبست هذا المعنى من «**معجم مصطلحات الإباضية**» نسخة word، لكنني لما عدت إلى الطبعتين: سلطنة عمان والجزائر، وجدتها حذفت، ولا أعرف ما السبب، فثبَّتُّ المعنى هنا، لأنه يشير إلى المجموع الذي أبدع لنا هذا العمل على تفاوت في الجهد طبعا.

المبحث الثالث فريق البحث العلمي وإنتاج المعرفة

بعد استعراضنا للجهود التي بُذلت في سبيل بعث عمل جمعية التراث والانتقال بها من حالة الفكرة إلى التحقيق في الواقع، ومن الجهود الفردية إلى الأعمال الجماعية باستعراض المشاريع التي أنجزت في هذا الإطار، نحاول في هذا المبحث الحديث عن علاقة إنتاج المعرفة بالجهود التي بذلها فريق البحث العلمي من خلال مؤشرات ثلاثة: تنظيم المعرفة وإدارتها، التكوين، والنشر المعرفي.

المطلب الأول: التنظيم

1 الأيام المغلقة (أيام غار أمجماج)

طرح الطالب محمد باباعمي في اللقاء العام لجمعية التراث سنة 1990 سؤالا على أستاذه د. ناصر نابعا عن حاجة وجدها في الواقع، أراد أن تتضح له الصورة من خلالها، وهو أمام أساتذة أكاديميين حفروا في المصادر وحللوا وناقشوا، سؤال تحول من فكرة إلى منهج عمل أنتج لنا أعمالا علمية لا زالت تسخو بثمارها المباركة، وهو المنهج الذي لازلنا نتبعه في الأعمال الجماعية في إطار نموذج الرشد.

سؤال العمل جماعة أو العمل الجماعي (*teamwork*) في مكان واحد، هو سؤال راود الطالب فانتقل معه وكبر، فبادر



إلى تحقيقه بمعونة أصدقائه قبل أن يتولى الإشراف على أمانة جمعية التراث، فكانت فكرة إبداعية حققت الفعالية وجمعت القلوب والعقول لسنوات.

سمي منهج الأيام المغلقة بأيام «غار أمجماج» اقتداء بالغار الذي جمع سبعة من علماء الإباضية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي لتأليف «ديوان العزابة» أو «ديوان الأشياخ»[1] جماعيا، وهو موسوعة فقهية، حيث اجتمعوا في غار طوله حوالي أربعة أمتار وعرضه متران وارتفاعه قرابة مترين، وقد سمي «أمجماج» وهو لفظ أمازيغي «مفاده الاجتماع والالتفاف حول شيء، ويقال في اللهجة «إيتْمَجْمَج» للفرد الواحد ويقال عن الجماعة «اتْمَجْمْجَنْ»[2].

فكرة الأيام المغلقة تقوم على مبدأ أن «الوقت المستقطع» الممتد لفترة زمنية خير من «الوقت المتقطع»[3]؛ فالتركيز يشتد

---

(1) وجدت تضاربا حول تأليف ديوان الأشياخ وديوان العزابة في معجم مصطلحات الإباضية: فبينما نجد أن مؤلفي المعجم يفصلون في أن ديوان العزابة شارك في تأليفه سبعة علماء، وقد ذكروا أسماء هؤلاء العلماء، نجد في موضع آخر نفس الأسماء تنسب لتأليف آخر هو ديوان الأشياخ، رغم أن مؤلفي المعجم يقرّون أن النساخ والدارسين خلطوا بين الديوانين لأنهما أُلفا في نفس الفترة وفي نفس الفن وهو الفقه، إلا أن المكان مختلف بين جزيرة جربة ووادي أريغ في الجنوب الشرقي للجزائر. «ينظر **غار أمجماج**» ص:41، **ديوان الأشياخ**، ص: 393. في **معجم مصطلحات الإباضية**، طبعة سلطنة عمان.

(2) م.س، ص:42.

(3) وهو متوافق مع قانون «كارلسون»، و«يعني أن عملا متواصلا يأخذ أقل من الوقت من نفس العمل في فترات متقطعة»، ينظر باباعمي محمد نقلا عن (Cruella et Benayoun)، =

كلما طالت المدة، لأن العقل يستطيع أن يبقى مركزا لمدة تتراوح ما بين الساعتين إلى أربع ساعات، ويحتاج إلى وقت ليصل إلى حالة التركيز فينتج ويبدع.

كما أن الفكرة قائمة على أن المشاركين من الباحثين هم متطوعون بالدرجة الأولى وأغلبهم مرتبط بالتزامات أخرى، وظيفية أو دراسية، لذا كانت أحسن طريقة هو عدم إشغالهم خارج الأيام المغلقة بأعمال جمعية التراث [(1)]، وأن الحضور في الأيام المغلقة يستبعد ما سوى البرنامج المسطر من أعمال.

ووجود الباحثين مع بعض لمدة زمنية فيه مقصد آخر؛ هو إضفاء اللحمة إلى الفريق وإيجاد تناغم في التفكير وتقارب في الرؤى وفهم للذهنيات المختلفة، فالنقاش والحوار يفتح القلوب ويساعد على تفهم الآخرين، ويزيد من القدرة التوليدية لمشاريع وأعمال بمبدإ «الانبثاق أوالتولد» فالكل أكبر من مجموع أجزائه وهو ما يمكن أن يطلق عليه بمفهوم «البركة» [(2)]، وبالتالي توجيه أقصى ما يمكن صوب هدف واحد متفق عليه منذ البداية.

وهنا يكتشف كل إنسان عيوبه فيصححها ويكتشف قدراته فينميها؛ فلم توجد الملكات في الإنسان كاملة منذ نشأته بل

= **أصول البرمجة الزمنية**، ص:229.

(1) في بداية العمل كان الباحث يختار المصدر ويعمل فيه لوحده خارج الأيام المغلقة، لكن بعد اعتماد الأيام المغلقة أصبحت كل الأعمال تنجز داخلها.

(2) ينظر مقال: نظرية الانبثاق وحتمية التواصل، باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:119 وما بعدها.



تحتاج إلى صقل وتشذيب[1]، وكم من باحث غادر السرب لأنه لم يستطع أن يتأقلم مع المجموع مفتقدا روح «القابلية للعمل الجماعي»[2]، وهو ما انتقده أبو القاسم سعد الله في سياقنا بشكل عام، «فالروح الجماعية ضعيفة عندنا في كل المجالات، ولا سيما في الأعمال والمشاريع العلمية. ويرجع ذلك في نظري إلى انعدام أو قلة الشعور بالحياة الحضرية، فالفردية، كما هو معروف، سمة من سيمات البداوة»[3]، ويتحدث مالك بن نبي عن تجربته بقوله: «ولم أكن أعلم إذ ذاك أن العمل الجماعي بما يفرض من تبعات، إنما هو من المقومات التي فقدها المجتمع الإسلامي ثم لم يسترجعها بعد، خصوصا بين مثقفيه»[4].

إن العمل الجماعي حالة نفسية قبل أن تكون حالة معرفية، فليس الشأن في الرصيد المعرفي الذي يحمله الإنسان ـ على ضرورته ـ ولكن الشأن في القدرة على العمل ضمن مجموع،

---

(1) ينظر هذا المعنى في تفسير الآية 200 من سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: الطباطبائي، محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، الجزء 4، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط.1، 1417هـ/1997، ص:94 وما بعدها.

(2) ينظر هذا المعنى في الفصل الأول من هذا البحث عندما تناولنا خصائص الحركية بين العلماء في المتحد.

(3) سعد الله؛ أبوالقاسم، **الأعمال الكاملة للدكتور أبوالقاسم سعد الله** (19): **تأملات وأفكار** (2) جزء الحوارات، نشر دارالغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط.2، 2005، ص:98.

(4) بن نبي؛ مالك، **مذكرات شاهد للقرن**، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط.10، 1437هـ/2016، ص:235.

والصبر على الأخطاء، وتجاوز سوء الفهم؛ من أجل مقصد أسمى وهدف تم الاتفاق عليه منذ البداية، فللنفس إقبال وإدبار، تحتمي بالمجموع إن أدبرت لتعوّض النقص، وتزيد في المجموع إن هي أقبلت[1]، لذا حضّت الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة: 119]، المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين؛ «أي: التحموا بهم فتكونوا في معيتهم، وبعد أن تلتحموا بهم يأتي الذين من بعدكم ويجدونكم مع الصادقين»[2].

2 آليات إدارة فريق العمل

التعامل مع النفس البشرية من أصعب المهام التي تواجه من ابتلي بالمسؤولية[3]، فسيدنا محمد ﷺ صبر على أمثال الأعرابي

(1) يقول الشيخ الشعراوي في تفسير آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:119]. «والحق سبحانه يبين للذين آمنوا به قبل أن يخاطبهم، أنه من الممكن أن يؤمن الإنسان ثم يتذبذب في إيمانه، فيطلب منه الحق «دوام الإيمان». الشعراوي محمد متولي»، **تفسير الشعراوي**، المجلد 9، نشر أخبار اليوم، مصر، 1991، ص:5558.

(2) م.س، ص:5559.

(3) ورد في تفسير الآية 112 من سورة هود: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية، ولهذا قال: شيبتني هود وأخواتها»، وسئل ما شيّبك من سورة هود؟ فقال: «فاستقم كما أمرت»، ينظر: الزمخشري؛ أبو القاسم، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في **التأويل**، ج12، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط.3، 1430هـ/2009م، ص:499-500.

ويفترض د.محمد باباعمي أن ما شيّب الرسول ﷺ هي ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾، لأنها تحميل مسؤولية أخرى في أن يجاهد من أجل أن يستقيم من معه، وهي مهمة ليست بالهينة، وتحتاج إلى مجاهدة ومصابرة. من لقائي معه بمعهد المناهج: 06-04-2019، وينظر: =



الذي قال: «يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي، فَإِنَّكَ لَا تُعْطِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ،..»، وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو الذي اطّلع على الجنة ونعيمها، ومع هذا يعود إلى قومه صابرا على أذيتهم، محتسبا الأجر عند الله، مرشدا إيانا أن حسن التعامل مع نفسية الإنسان هي المفتاح في تحقيق النجاح، فبمواصلة قراءة الحديث السابق، يعطي سيدنا محمد ﷺ أصحابه ـ ونحن منهم بمشيئته سبحانه وتعالى ـ صورة إدراكية؛ بعد أن غضب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من موقف الأعرابي، حيث شبه الموقف برجل نفرت راحلته في صحراء، وكلما اقترب الناس منها ليمسكوها زادت نفورا، «فَقَالَ: دَعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَاقَتِي مِنْكُمْ، فَعَمَدَ إِلَى قُمَامِ الْأَرْضِ ـ يَعْنِي الْحَشِيشَ ـ فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: هُوِّي هُوِّي، حَتَّى رَجَعَتْ، فَأَنَاخَهَا فَحَمَلَ عَلَيْهَا زَادَهُ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى مَتْنِهَا»[1].

يحتاج من وُلّي مسؤولية إدارة فريق العمل أن يتنازل عن بعض من حقوقه، وأن يتحمل بعض الأخطاء التي يرتكبها الآخرون ليدفع الفريق للعمل ولِيَلمّ الشمل ويؤسس لجماعة متماسكة[2]،

= باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:18.

(1) الأصبهاني؛ أبو الشيخ محمد بن عبد الله، **كتاب الأمثال في الحديث النبوي ﷺ**، ج1، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد، نشر الدار السلفية، بومباي - الهند، ط.1، 1402هـ/1982م، ص:185، رقم الحديث: 257.

(2) «الجماعة المتماسكة هي التي تمتاز بارتفاع روحها المعنوية وشعور أعضائها بالانتماء إليها وامتثالهم لمعاييرها وضغوطها ومقاومتهم الانفصال عنها فهي تجذبهم إليها جذبا. والفرد الذي ينتمي إلى جماعة متماسكة يزداد شعوره بالأمن =

فطبائع الناس تختلف وخلفياتهم التكوينية تتباين، بين سريع للغضب، وبطئ في الحركة، وحاضر للبديهة، ومرهف للحس... إلى غير ذلك من السمات التي تجعل مهمة المسؤول صعبة لحد قد لا يتحملها لوحده ما لم يسنده فريق إدارة يتشاور معه، ويرشده لاتخاذ القرار المناسب، فهو المحرك للعمل، والموجه للطاقة، والحافظ للعلاقات من التقطع.

يحتاج محرك الفريق والمسؤول عليه أن يحافظ على شبكة العلاقات الاجتماعية بين الباحثين فهي رأس مال هذا الاجتماع والتجمع، وكما يقول مالك بن نبي: «شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده»[1]، وهي أول ما يزول عند موته، وحتى لو ارتكب باحث ما خطأ مهما بدا كبيرا، فلا بد من الأخذ بيده وتبيان خطإه، فالهدف الأساس هو التجميع لا التشتيت. يشير د. محمد باباعمي أنه لما كان أمينا عاما على الجمعية، واجهت فريق الإدارة إشكالية انتماء بعض الباحثين إلى حركات دينية كانت تنشط في تلك الفترة، فاتُخذ القرار بعدم المواجهة المباشرة لأنها قد تحدث شرخا في الأمة، فلا بد من التروي في معالجة الموضوع، وبعدها صدر قرار ومبدأ أساس أنه لا يجوز للمنتمي للفريق أن ينقل قناعاته أو أن يبشّر بها داخل المجموعة سياسية كانت أم دينية

= وكذلك نشاطه وتعاونه مع زملائه». ينظر: بدوي؛ أحمد زكي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية** (إنجليزي - فرنسي - عربي)، نشر مكتبة لبنان، لبنان، 1982، ص:185.

(1) بن نبي؛ مالك، **ميلاد مجتمع**، ص:28.



أم إيديولوجية[1].

والعمل الجماعي ينطوي على خاصية حساسة تكمن في الحد الفاصل بين مشاركة الجميع في القرار وبين لحظة اتخاذ القرار، فعند العمل ذي الصبغة التطوعية يصبح الجميع مشاركا في اتخاذ القرار وتقديم الاقتراحات، لذا كان لزاما وضع ضوابط صارمة للفصل بين المساحتين حتى لا تحدث الفوضى ويصبح كل قرار مجرد مقترح، أو كل اقتراح لابد له من تنفيذ.

ضبطت إدارة فريق البحث العلمي هذا الموضوع بأن سمحت أثناء عرض الفكرة تقديم الاقتراحات ومناقشة مشروع القرار، لكن بعد اتخاذ القرار النهائي الذي يكون عادة بعد النقاش والاقتناع من الأغلبية[2]، يصبح القرار نافذا غير قابل للنقاش وسط فترة العمل؛ على أنه يسمح بتقديم الملاحظات عند فترات الاستراحة أو في مرحلة التقييم.

سمحت المرونة مع القرارات المتخذة تقبل النقد وتطوير آليات العمل وتحسين الأداء، وكانت من أسباب مواصلة الكثير من الباحثين العمل إلى نهايته، بل بعض الباحثين لا زال مواظبا على المشاركة منذ بداية الأعمال الجماعية في التسعينيات إلى غاية كتابة هذه الأسطر في 2019.

---

(1) من لقائي مع د. محمد باباعمي في معهد المناهج، نوفمبر 2017.

(2) يشير طوني بينيت عن تجربته مع فريق العمل (المكون من ثلاثة) في تأليف «**مفاتيح اصطلاحية جديدة**» أن الاختلاف في القرار كان يحل بطريقة «القوة العمياء» لاثنين مقابل واحد، ينظر: بينيت؛ طوني وآخرون، ص:34.

3 تنظيم العمل

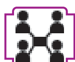
وجود الفكرة الجامعة سبب رئيس في اجتماع الباحثين، لكن الالتقاء لمناقشة فكرة ما من جانبها النظري فقط لا يطيل عمر الاجتماع؛ إلا إذا صحبه الوجه العملي منها وهو تحويل الفكرة إلى واقع معيش. وبوجود هذه الفكرة تتحرك آليات التنظيم والتخطيط والبرمجة.

كلما أُنزلت الفكرة على خط الزمن، كلما كتب الله لها الدوام وترْك الأثر، وكلما كانت الجدية في التخطيط والتنظيم، كلما ازدادت قوة ومتانة، وإقناعا وقبولا. فرغم عدم وجود مقر ثابت لفريق العمل يمارس فيه نشاطه، إلا أنه استطاع أن يتجاوز هذا الإشكال بإقامة الدورات المغلقة عند المتعاطفين مع المشروع من أبناء المنطقة على مستوى ولايات الجزائر، فيتكفلون بالإقامة وتقديم الوجبات في كل دورة لحوالي 40 باحثا لمدة ثلاثة أيام، بعد إقناعهم بجدوى المشاريع التي يقومون بها.

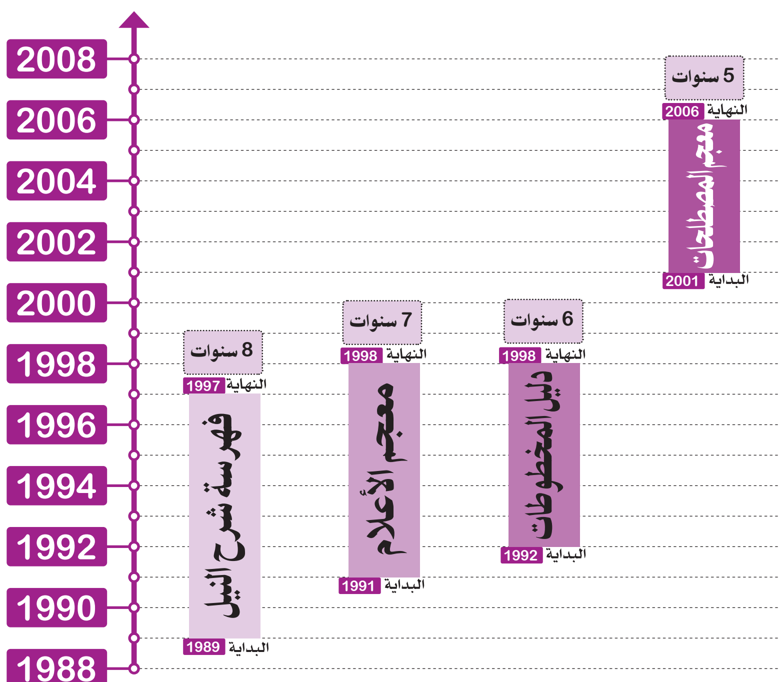
استفاد فريق البحث العلمي من التنظيم الذي وجدوه وهو الإطار القانوني لجمعية التراث الوطنية، فأسهموا في بنائها هم أيضا بما حققوه من مشاريع في إطارها، وبما أبدعوا من مسارات عمل واضحة، وبطاقات معلومات بسيطة نافعة، فحققوا بجديتهم في العمل من خلال مشروعين[1] أكثر من تسعة عشر ألف ساعة عمل (19 ألف)، وأنجزوا من خلال ثلاثة مشاريع[2]

(1) دليل المخطوطات ومعجم المصطلحات.

(2) معجم الأعلام ودليل المخطوطات ومعجم المصطلحات.



حوالي خمسة وعشرين ألف بطاقة معلومة (25 ألف) في غضون خمس عشرة سنة (1991-2006).



المشاريع الأربعة لفريق البحث العلمي 1989-2006

استغل الفريق في عمله التكنولوجيا التي كانت متوفرة في وقته حسب القدرة ووظفها في العمل من إعلام آلي وماسحات ضوئية، كما وظف تقنيات إدارة جلسات العمل، من تقارير يومية وإحصائيات، والحق أنني من خلال البحث استفدت كثيرا من تلك التقارير التي جعلتني أعيش بعضا من تلك اللحظات التي عاشوها.

وما ساعد في تحقيق الانضباط والجدية في الفريق، وجود ضوابط ومعايير واضحة منذ البداية يعرفها كل مشارك، وهي الحَكَم في أي خلاف، فمنذ تشكّل الفريق الأول للنسخة التجريبية من «معجم أعلام الإباضية» كانت هناك معايير جلية تؤطر العمل وتضبط الإيقاع.

هذه الجدية وهذا النظام صحبه إبداع في البرمجة وأدب في المعاملة، مما جعل الباحثين يجدون «الابتسامة مع الصرامة» وليس «العبوس مع الدّبُّوس»[1]، فأكملوا العمل إلى نهايته، وأحسوا الفراغ عندما انتهى معجم الأعلام ولم يكن هناك ما بعده من برامج أخرى.

وازن الفريق في برمجته بين العمل الجاد والترفيه والمحاورات العلمية الهادئة والفائرة أحيانا، استغل فيها «الزمن المبارك» وهو وقت الفجر، فوظفه في العمل تأسيا بالحديث الشريف «بورك لأمتي في بكورها»، وخصص أوقاتا للنزهات وقضاء أوقات في الطبيعة، فعاش الفريق التنوع البيئي في الجزائر من خلال الدورات التي كانت تعقد في مختلف الولايات، كما خصص أوقاتا للتكوين في لقاءات مع المشايخ والعلماء.

---

(1) الدبوس: عمود على شكل هِراوة مدَمْلكة الرأس. ينظر قاموس المعاني: www.almaany.com.



المطلب الثاني: التكوين

استفاد الباحثون المشاركون في الدورات المغلقة المختلفة، والذين كان أغلبيتهم في مرحلة الدراسات العليا، من تكوينات متعددة ما بين تكوينات مهاراتية ولقاءات فكرية علمية، وحوارات ونقاشات، كما تبادلوا المساعدات في إطار بحوثهم التي ينجزونها.

فالتكوين يعني القدرة على نقل الخواص من المكوِّن إلى المتكون[1]، فلا يمكن «لفاقد الشيء أن يعطيه»، فيحرص أن يتصف بتلك الخواص لينقلها إلى الآخرين، كما يحرص المكون أن يعلّم الآخرين مما علمه الله، فيستفيد الجميع من الجميع، ولقد استفاد المشاركون من دورات في إدارة الوقت، والقدرة على ضبط النفس، والانضباط بالبرنامج، فتغيرت الكثير من التصرفات وتعدّلت بعض الذهنيات.

واستفاد الباحثون من تكوينات في طريقة التعامل مع المخطوط وتحقيق التراث، وفي منهجية البحث العلمي، وتعلموا أبجدياته من مثل: التفريق بين المصدر والمرجع، وبعضا من بديهياته من مثل: عدم المعلومة هي معلومة، وتمرسوا على كتابة المقالات

(1) وهو مفهوم التربية في إطار نموذج الرشد الذي يوافق منحى بيجوفيتش في تفريقه بين «التنشئة» التي تعنى بالجانب الجواني و«التدريب» الذي يعنى بالجانب البراني، والجمع بين الجانبين هو مقصد التربية في أصولها، ينظر: بيجوفيتش، **الإسلام بين الشرق والغرب**، ص:181.

العلمية، وعلى تطوير الملكات اللغوية، كتابة وإلقاء.

كما استفادوا من دورات في طريقة التعامل مع التكنولوجيا، وهم يعايشون مرحلة الانتقال من التعامل الورقي إلى التعامل التكنولوجي، بما توفر في إطار الجمعية من أجهزة لم تكن في حوزة الكثير من الباحثين.

وكانت فرصة التنقل بين الولايات فرصة لبعض الباحثين لإلقاء محاضرات أمام عامة الناس ليفيدوا ويستفيدوا، وكانت من بين المواضيع أن يقوم الباحث بعرض بحثه الذي أنهاه، أو يعرض الإشكالات التي يبحث فيها؛ تنويرا للعامة، واختبارا لمعارفه وطريقته في إيصال المعلومة، وكل هذا من أجل النشر المعرفي الذي يعتبر ركنا من أركان إنتاج المعرفة.

وعقدوا جلسات استماع مع العلماء والمشايخ حول حياتهم ورؤاهم الفكرية، كما عقدوا لقاءات مع وجهاء البلاد التي يحلّون بها من تجار وشخصيات اجتماعية، زادتهم رصيدا إلى خبرتهم.

وكانت الدورات المغلقة فرصة للباحثين وخاصة في اللقاءات الجانبية أن يتعرفوا على الاهتمامات البحثية لكل مشارك ويتناقشوا حول قضايا تهمهم من أجل صقل فكرة لم تنضج بعد أو من أجل التوجيه إلى مصدر يُبْحَث عنه، إلى غير ذلك من المساعدات التي يحتاجها الباحث في مسيرته، وما ساعد في ذلك أن تخصصات الباحثين متنوعة، مما منح الفرصة لهم من الخروج من «غيتوهات» التخصص الضيقة إلى رحابة المعرفة الإنسانية.



المطلب الثالث: النشر المعرفي

1 سلسلة بحوث منهجية مختارة

هي فكرة إبداعية أخرى من أفكار فريق البحث العلمي جسدها في الواقع، بعد السؤال عن مصير رسائل وأطروحات الباحثين التي قدموا من أجل إنجازها سواد ليلهم وبياض نهارهم، فقد استوعبتها أرفف التخزين والأرشفة ولم تستوعبها المكتبات ودور المطالعة إلا نادرا، مما جعل أعمالهم تعيش الغربة وتبقى موجهة لفئة من الناس هم الباحثون أشباهَهُم دون سواهم.

إن سؤال «كيف» هو همّ يؤرق الباحثين عن الفعالية في الواقع، فمعظم الناس يستطيع أن يصف ويحلل، لكن عندما يصل إلى عتبة الانتقال من الوصف إلى الفعل، من التحليل إلى التطبيق، فإن آلة عقله تتوقف، وشرايين أعضائه تتكلس، فلا يستطيع أن يقدم حلا عمليا لأنه لم يتعود على «المنطق العملي»، بل هناك من يعتقد أنه كباحث ليس دوره أن يطبق ولا أن يبيّن كيفية التطبيق، وإنما قصاراه أن يفكر في المشكل ويقدم تحليله النظري.

في إحدى اللقاءات العلمية في الحميز، بالجزائر العاصمة، طُرح على الباحثين سؤال طالما سمعوه بعد مناقشتهم؛ أين يمكن أن نطلع على البحث ونستفيد منه، وفي الغالب يكون الجواب إما: نسخته موجودة عندي في البيت، أو أن النسخة موجودة

في الجامعة، وإذا سئل: أي مكان آخر؟ يرد: للأسف لا يوجد. ينقطع الخط بعد هذا وندخل في الحلقة المفرغة في كل مرة، سؤال مكان وجود البحث وسؤال إمكان الاستفادة منه[1].

في هذا السياق ولدت فكرة إبداعية، فالباحثون الموجودون الذين ناقشوا رسائلهم يتجاوزون العشرين، لو ساهم كل واحد منهم بمبلغ عشرة آلاف دينار (10 آلاف) وكأنها سلف لخزينة الطباعة؛ فطُبع العدد الأول من السلسلة، وساهم كل باحث بإنفاذ نسخ بحثه بالتعاون مع جمعية التراث التي تنشر الكتاب، فإن مداخيله ستوجه لطباعة العدد الذي يليه وهكذا. فتم الاتفاق، وزاد أحد الباحثين فجمع من المحسنين ثلاثة أضعاف المبلغ الذي جُمع، فانطلقت آلة الطباعة، وبدأت البحوث تنشر تباعا، فطبع في الفترة ما بين 2002 و2006 اثنا عشر (12) بحثا أكاديميا: خمسة (5) في مرحلة الدكتوراه وسبعة (7) في مرحلة الماجستير، في تخصصات متعددة: اقتصاد، عقيدة، علوم سياسية، علم النفس، الأدب العربي، التاريخ، علم الاجتماع، شريعة وقانون.

كانت أولى البحوث طباعة: بحث د. ناصر سليمان حول تطوير صيغ التمويل قصير الأجل للبنوك الإسلامية، أما الثاني عشرة فكان حول القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح إلى قيام الدولة الفاطمية للدكتور إبراهيم بحاز، والآن في سنة

---

(1) يرى ساري حنفي الباحث في علم اجتماع العلوم أن المشكلة لا تكمن في «نقص الموارد، ولكن بسبب عدم وجود الجرأة، وعدم التنظيم، وضعف الجماعة العلمية، وغياب استقلاليتها». ساري وأرفانيتس، ص:35.



2019 وصل عدد البحوث المطبوعة إلى تسعة عشر (19) بحث، مع ملاحظة أن الأسماء التي طبعت بحوثها في هذه السلسلة قامت بذلك مرة واحدة وبخاصة الذين طبعوا بحوث الماجستير، ويبقى السؤال لم؟

على أن طباعة البحوث في هذه السلسلة كان وفق ضوابط واضحة، وإلا خرج الموضوع من نقد الفعل إلى التشكيك في النيات، وقد حدث مرة، رغم الضوابط الواضحة أن اعتُبر أن أحد الباحثين أخذ مكان آخر في السلسلة، وطبعا تبقى هذه حالة إنسانية لا يمكن الادعاء بعدم وجودها، لكن الحكمة في التعامل مع الحادثة باعتبار مبدأ «التجميع لا التشتيت»، وكذا الاستفادة منها لما قد يحدث بعد ذلك، رغم أن معايير الطباعة كانت واضحة وهي: أن يقدم الباحث العمل في فيلم وليس بي دي أف (***PDF***)، أي أن يكون الملف نهائيا ـ بمراجعته وتدقيقه ـ ليوجه مباشرة إلى المطبعة، وكذا تقديم الاشتراك المقدر بـ10000دج.

الأهم بعد ذلك أن الفريق بمبدأ «إتمام الأعمال» (***achèvement-achievement***) حقق الفعالية وأخرج للناس بحوثا قد تحتاج إلى سنوات لترى النور، بل ولو خرجت بعد ذلك فسيتعامل معها على أنها كتب تراثية لا تفيد كثيرا في واقعها، فنتائج الأبحاث في عصرنا أصبحت سريعة «انعدام الصلاحية»؛ لذا أولت الدول أهمية كبرى للنشر المعرفي لأنها توجه الرأي وتمنح السلطة[1]،

(1) ويشير إدغار موران إلى هذا المعنى بقوله: «المعرفة هي سلطة وتمنح السلطة»، ينظر: موران؛ إدغار، **المنهج - الأفكار**: **مقامها - حياتها - عاداتها - وتنظيمها** (الجزء4)، =

وبالمقابل فإن عالمنا ليس أقل شأنا في علمائه وباحثيه، ولكن يحتاجون إلى معرفة آليات النشر لتتم الاستفادة من جهودهم.

2 دورية الحياة

إصدار مجلة فكرية باسم جمعية التراث، كان حلما ابتدأ منذ إنشاء الجمعية سنة 1983، واستمر الحلم يعاود الظهور أربع مرات إلى أن تحقق، وها هي المجلة في سنة 2019 تحتفل بعيد ميلادها الرابع والعشرين منذ ظهورها، وعيد ميلادها السادس والثلاثين فكرة تشكلت معالمها في حوارات الدكتور محمد ناصر ومن كان معه.

بداية الفكرة كانت سنة 1983 على شكل نشرية دورية تحوي أبوابا قارة وأخرى متغيرة، تهدف إلى التعريف بالتراث الإباضي من حيث الكتب والمؤلفات أو ترجمات لمقالات حوله، وكذا النقاشات العلمية للرد على بعض الآراء المغلوطة، لكن لم يكتب لهذه التجربة التحقق لنقص في المواد الأدبية والمادية وكذا الصعوبات القانونية؛ فالجمعية لم تحصل على الاعتماد بعد.

ثم عادت الفكرة إلى الواجهة مرة أخرى سنة 1990، لكن هذه المرة بإخراجها للتشارك الجمعي بعد أن زالت قيود الحركة وحصلت الجمعية على الترخيص القانوني، فتمت مراسلة مجموعة من المثقفين لسبر آرائهم حول إصدار مجلة علمية تعرّف بالفكر

= ترجمة: جمال شحيّد؛ مراجعة: موريس أبو ناضر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان، ط.1، 2012، ص:34.



الإسلامي عامة والإباضي بخاصة، وحسب اطلاعي على إجابات المشاركين فإنها تجاوزت المئة إجابة، لكن ليس لدي جواب ماذا حصل بعد ذلك[1].

ومع ازدياد المشاريع العلمية بعد تشكل فريق البحث العلمي، وفي خضم إنجاز مشروع فهرست شرح النيل الذي اعترضته إشكالية غياب أكاديمية فقهية[2]، برزت الحاجة إلى تمكين المشايخ وطلبة الشريعة من «متابعة حركة الفتوى عند الإباضية بخاصة، وفي العالم الإسلامي بعامة»؛ فاقترح فريق البحث العلمي سنة 1993 إعداد مجلة «فتوى واجتهاد» تكون شهرية، في ثلاث صفحات، وتحوي فتاوى علماء الأمة الإسلامية في مختلف المستجدات والإشكالات، من مصادر موثوقة مثل: مجلة «النهضة» العمانية، «الأزهر لمجمع البحوث الإسلامية»، «البعث الإسلامي» الهندية، وغيرها من المجلات، ولا أعرف مصير المقترح أين توقفت مسيرته.

بعدها جاءت المرحلة الرابعة من فكرة إنشاء المجلة، وفيها تحققت الآمال التي بقيت متقدة إلى أن كتب الله لها أن ترى النور في عددها الأول في رمضان 1418هـ/جانفي 1998، وحوت واحدا وعشرين موضوعا متنوعا ما بين الفكر وأصول الفقه، والتربية والاقتصاد إلى غير ذلك من المواضيع.

---

(1) ذكر في الكتيب التعريفي بالجمعية أن التاريخ كان في 1989، لكن في المراسلة هو 10 جانفي 1990، ينظر: **جمعية التراث ادكار - اعتبار - استنفار**، ص:10.

(2) ينظر مطلب: فهرسة شرح النيل في هذا الفصل.

تقدم محمد باباعمي ـ الذي كان مدرسا بمعهد الحياة حينها وأمينا عاما لجمعية التراث ـ بمقترح للشيخ عدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوائل جانفي 1997[1]، وهو أن تضم المجلة أقلام أساتذة المعهد، فأيد الشيخ عدون الفكرة وباركها، كما هو عهده مع مبادرات الشباب الذين يجد فيهم الجدية والالتزام[2]، ثم عُقد لقاء ثان في جويلية 1997 في منزله لمناقشة تفاصيلها بعد أن قدم محمد باباعمي شكل المجلة ومحتواها التجريبي، وبعد الموافقة النهائية أخذت طريقها للمطبعة مع حلول شهر سبتمبر 1997[3].

ولدت دورية الحياة لتنمي نشاط البحث العلمي وتعزز حركة إنتاج المعرفة الذي يقوم به فريق البحث العلمي، فكانت الدورية منبرا للتفكير والاجتهاد والإبداع، شجعت نقد الأفكار والحوار العلمي على قاعدة «قل هاتوا برهانكم»، فلا حجر على الأفكار ولا وصاية على أحد، ساعية إلى تصحيح المفاهيم وتصويب الأفكار، محاولة الربط بين ماضي الأمة وحاضرها من أجل مستقبل

(1) باباعمي؛ محمد، **مذكرات الزمن العتيد** (مخطوط). كذلك: باباعمي؛ محمد، **المذكرة الأساسية لمشروع مجلة الحياة**، 05 رمضان 1417هـ/14 جانفي 1997 (أرشيف).

(2) يقول الدكتور ناصر في مقاله: «الشيخ عدون الأستاذ المربي»: «ومن مظاهر أبوته الحانية حضوره الدائم في ندوات أبنائه الطلبة التي يقيمونها هنا وهناك، فيكون ذلك الحضور دليلا على تواضعه، وعلامة على تشجيعه، ورافدا لأولئك الأبناء ليستمروا في عطائهم العلمي، ويواصلوا مسيرتهم الثقافية قدما إلى الأمام». ناصر؛ محمد، «**الشيخ عدون الأستاذ المربي**»، دورية الحياة، العدد: 10، رمضان 1427ه/أكتوبر 2006، ص:195.

(3) باباعمي، م.س.



يكون فيه الباحثون والعلماء في واجهة القيادة، ومن أجل رسالة واضحة هي: الدفاع عن وحدة الأمة الإسلامية وثوابتها، ونبذ الغلو في الدين، والتعصب العرقي والطائفي والمذهبي[1]...

تواصلت الفكرة بعد ذلك ولم تمت؛ لأنها وجدت الرعاية والقبول من المشايخ ابتداء ثم من الباحثين الذين أثروا أعدادها بمواضيعهم، وأيضا من القراء الذين كانوا يتسابقون في اقتنائها؛ حتى أنهم طلبوا تحويلها من سنوية إلى شهرية[2]، وهكذا بقيت «دورية الحياة» تدب فيها الحياة، وهي تحضّر لإصدار عددها الخامس والعشرين في سنة 2020.

3 أفكار ومشاريع لم تنجز

لم يكتب الله تعالى لكل أفكار ومشاريع فريق البحث العلمي التجسيد في الميدان، فكم منها لولا الوثائق لطواها النسيان، عسى أن تجد من يبني عليها ويزيد، فتضاف إلى المشاريع الحضارية للأمة، تنهض بها وتحقق لها الشهود والتمكين لدين الله.

من بين الأفكار والمشاريع التي نجد لها ذكرا في التقارير وتفاوتا في التطبيق:

(أ) • ملف مشروع فرقة «الترجمة»

رغبة في الاحتكاك بما ينشر في العالم حول الإباضية من

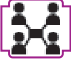
(1) ينظر مقال: «**لماذا دورية الحياة؟**» باباعمي؛ محمد، دورية الحياة: العدد 6، رمضان 1423هـ/نوفمبر 2002، ص: ك، وما بعدها.

(2) ينظر: م.س.ن.

دراسات جادة، وبغية توصيل الفكر الإباضي ليكون في متناول الباحثين باللغات الأجنبية، فكّر فريق البحث العلمي بتاريخ أكتوبر 1992 في تكوين فرقة من المترجمين، ينقلون ما يكتب إلى العربية ويضعونها بين يدي المشايخ والدارسين؛ فأغلب «المهتمين بالتراث لا يتقنون اللغات الأجنبية، لذا لم يستطيعوا الاطلاع على الدراسات الجادة، كما أن المتقنين للغات الأجنبية ليس لديهم اهتمام بالتراث بحكم تخصصاتهم التقنية»[1]، فتوحيد الجهود الفردية (مثل ما قدمه المرحوم بابهون بكير) أصبح حاجة ماسة بعدما وصلت الفريقَ بعضُ الطلبات للترجمة الجادة، وأصبح من ضروريات الفريق أن يوجه هذه الطاقة خدمة للأمة الإسلامية؛ ولكن يبدو أن المحاولات الفردية بقيت هي السائدة، فلم نسمع عن تشكل هذا الفريق[2]، فما هي الأسباب؟

(1) م.س.ن.

(2) والشيء بالشيء يذكر؛ حاولتُ بدء نواة للترجمة الفكرية التي تعنى بنقل فكر نموذج الرشد إلى اللغة الإنجليزية ابتداء، فاستعنت ببعض الطلبة في مرحلتي الليسانس والماجستير؛ فاستعنت بداية بطالب كان موضوع تخرجه ترجمة كتاب، لكن للأسف بعد الاطلاع على الترجمة وجدتها لا تصلح للنشر، ثم استعنت بطالبين في الماجستير وتحدثنا عن الشروط المادية والمعنوية للترجمة وضبطنا موعدا لذلك، لكن جاء الموعد ولم يأت الطالبان ولم يأت حتى العذر، وتزامنا مع ذلك قمت بترجمة بعض المقالات، ورغم أن المحيطين بي استأنسوا منها، لكن وجدت أنه من الأفضل الاستعانة ببعض الأساتذة للتقييم، ولكن أيضا لم أجد الجواب، فواصلت الطريق مع أخويّ محمد باحريز ولقمان بوراس، وجمعنا المقالات المترجمة في كتاب، إضافة إلى بعض مقالاتنا باللغة الإنجليزية، ينظر الكتاب في موقع نور للنشر (noor-publishing.com):
Bahriz; Mohamed and others, The Quest for an Alternative Para- =



(ب) • جائزة جمعية التراث لسنة 1413هـ/1993:

تعتبر المسابقات العلمية والجوائز الأكاديمية، وسيلة من وسائل تحفيز النشر المعرفي، فهي تدفع إلى الجدية بما تضعه من معايير، وتزيد في التنافس العلمي الشريف من أجل تحقيق نقلة حضارية منشودة. وُضع مقترح الجائزة مع نهاية 1992 ليشمل المجالات: بحث أكاديمي تراثي حول الجزائر وأنجز على أراضيها، بحث أكاديمي تراثي إباضي، تحقيق مخطوط إباضي، اكتشاف مخطوط حول الجزائر، تأليف جديد حول الإباضية، رسالة أكاديمية حول الإباضية، وقد خصصت جائزة مادية لأفضل الأعمال، بالاستعانة بالمساهمين الاقتصاديين لرعاية الجوائز. والسؤال: هل تحقق شيء من هذه الجوائز؟

(ت) • موسوعتا تراث سلف الإباضية وموسوعة الشيخ علي يحيى معمر

وتسمى موسوعة تراث سلف الإباضية أيضا: «الموسوعة الفقهية لأسلاف الإباضية»، يهدف المشروع إلى جمع تراث سلف الإباضية «جابر بن زيد»، أبو عبيدة، ضمام بن السائب،... في أسفار مستقلة، وقد سار المشروع خطوات، حيث أنه أسس

= digm... Thoughts and Questions On: Worldview- Knowledge and Civilization, Noor Publishing, 2017.

ونشر في 19 أكتوبر 2017. على أني لا أدعي أننا كوّنا فريق ترجمة لأن الأعمال كانت تقام بطريقة فردية ثم تجمّع، والآن العمل متوقف نظرا لانشغالاتنا فلم نتفرغ للموضوع.

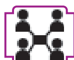
«نظريا» فريقا تابعا للموسوعة في عمان، وهذا بناء على تقرير الزيارة التي أنجزها فريق البحث العلمي ما بين 24 ماي و15 جوان 2003، ولكن هل تحقق العمل؟ ويأتي هذا الفريق امتدادا للأصل الذي أنشيء في إطار الجمعية، وكان سيعقد دورته الثالثة في صائفة 2003.

أما موسوعة الشيخ علي يحيى معمر، فلم أطّلع على تقارير تتحدث عن الموضوع سوى مراسلة من جمعية التراث إلى من يقوم على المشروع بتحضير عرض حولها، وقد سألت عن المشروع من كان مسؤولا عليها فأجابني: «لم أسمع بهذه الموسوعة»!!.

فهل تواصل العمل بعد ذلك، وما مصيره؟

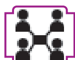
هذه مشاريع إلى غاية سنة 2006، وهناك مشاريع أخرى بعد هذا التاريخ لم أدرجها، من بينها «معلمة الفقه الإباضي»، وغيرها تحتاج إلى دراسة وبحث.





مستخلص الفصل

- كانت الجامعة الجزائرية حقلا خصبا لنقاشات بين التيارات الفكرية والأدبية المختلفة، وفي هذا السياق في شهر جانفي 1983 ولدت جمعية التراث التي اتخذت شعارا لها: «المعرفة، والتعارف، والاعتراف»؛ للدفاع عن الهوية الجزائرية المتعددة الأبعاد بمبادرة من د. محمد ناصر وسانده المشايخ وبعض من المثقفين الجامعيين، وحصلت على الترسيم القانوني في ماي 1989.
- كان للدكتور محمد ناصر أكبر أثر في جمعية التراث تأسيسا ورعاية؛ ركز اهتمامه على تكوين لجنة علمية تتولى إنتاج المعرفة توازيا مع خلية إدارتها، فرعى طلبة وكلفهم بمهام ووثق فيهم، وهم بعد «في مستوى الليسانس أو أقل.. هم اليوم دكاترة بالفعل أو دكاترة بالقوة».
- مشاريع فريق البحث العلمي صنعت الفارق في بيئتها، من حيث أنها جندت مختلف أطياف المجتمع للتفاعل والاهتمام، فلم تقتصر على الباحث المنكب على التحقيق والتخريج والتحرير، بل تجاوزت إلى المحسنين الذين جادوا بالوقت وبالمال، والمشايخ الذين جادوا بالنصح والإرشاد.
- الحركية بين السؤال والحل العملي هو المنهج الذي أطر المشاريع التي يقترحها فريق البحث العلمي.



- أُنتِجَتْ مشاريع لا يتجاوزها الزمن ولا يستغنى عنها، وهذا راجع إلى الدقة في التوصيف والصرامة في المعايير والجدية في التنفيذ.
- تنظيم المعرفة لا يقل أهمية عن إنتاجها، بل نجده في بعض الأحيان أهم، فكم من تراث ضاع، وكم من جهد قَصَر بصاحبه لأنه لم يعرف كيف ينظم العمل المعرفي.
- ضُم «مشروع فهرسة شرح النيل» إلى جمعية التراث في شهر سبتمبر 1989.
- من قواعد نجاح المشاريع البحثية الجماعية:
  - السرية التامة، وحق المحاسبة والمتابعة مشروط.
  - من ألزم نفسه شيئا أُلزم به، وعامل واحد خير من ألف منخرط.
  - التركيز على إنجاز الأعمال بدل كثرة الاجتماعات واللقاءات، وعند الحاجة لتبادل المعلومات يستعان ببطاقات الاتصال.
  - العمل جماعي، وتراجع الواحد يفسد على الآخرين.
- «معجم أعلام الإباضية» و«معجم مصطلحات الإباضية» نقطة فارقة في البحث العلمي لا يمكن تجاوزها لمن أراد البحث والغوص في أعماق الفكر الإباضي.
- «دليل مخطوطات وادي ميزاب» مشروع من أخطر المشاريع

الثقافية في الوطن، وهو عمل رائد في مجاله لأنه جاء في فترة متقدمة من الدراسات الأكاديمية حول التراث الإباضي.

- اعتمد فريق البحث العلمي في إنجاز مشاريعه على منهج الأيام المغلقة التي سماها «أيام غار امجماج»؛ وتقوم على مبدأ أن «الوقت المستقطع» الممتد لفترة زمنية خير من «الوقت المتقطع».

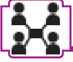
- الحفاظ على شبكة العلاقات الاجتماعية بين الباحثين هي رأس مال الاجتماع لإنجاز المشاريع البحثية الجماعية.

- وجود الفكرة الجامعة واستصحاب الوجه العملي لها سبب رئيس في اجتماع الباحثين، ومحرك لآليات التنظيم والتخطيط والبرمجة.

- المشاركة في الدورات المغلقة كانت فرصة للباحثين للاستفادة من تكوينات مختلفة بين ما يمس الجانب «البراني» وما يمس «الجواني».

- أخرج فريق البحث العلمي للناس ضمن سلسلة «بحوث منهجية مختارة» بحوثا قد تحتاج إلى سنوات لترى النور؛ للفعالية التي كان يتسم بها واضعا نصب عينيه مبدأ «إتمام الأعمال».

- ولدت دورية الحياة لتنمي نشاط البحث العلمي وتعزز حركة إنتاج المعرفة الذي يقوم به فريق البحث العلمي، فكانت منبرا للتفكير والاجتهاد والإبداع، شجعت نقد الأفكار والحوار



العلمي.

- لم يكتب الله تعالى لكل أفكار ومشاريع فريق البحث العلمي التجسيد في الميدان، فكم منها لولا الوثائق لطواها النسيان.





الفصل الثالث

المتحد العلمي
ضمن
نموذج الرشد



الفصل الأول: «المتحد العلمي» ضمن «نموذج الرشد»

تمهيد

بعد الاطلاع على تجربة «فريق البحث العلمي» لجمعية التراث، ومكابدته من أجل إنجاز مشاريع بحثية جماعية، بما تنطوي عليه التجربة من تحديات نفسية ومعرفية؛ وكيف استطاع هذا الفريق أن يؤسس لمجموع متناغم تَشَارك العمل فأنتج لنا معرفة لم تفقد بعدُ فعاليتها بعد مضي أكثر من عشرين سنة على إنتاجها، نحاول في هذا الفصل تتبع «رحلة الفتى» متنقلا من مشروع إلى آخر حاملا هما حضاريا و«سؤال أزمة» يؤرقه، منقبا عن الجواب الذي يجمع الفكرة بالتطبيق والتأصيل بالواقع.

نحاول من خلال هذا الفصل أن نضع تجربة «الفتى» في الميزان باستحضار المعطيات أولا واستذكار السياق الذي عاش فيه ثانيا، ثم نسعى إلى تحليل المشاريع الجماعية التي أسسها، من خلال أسئلة من مثل:

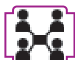
- هل حققت هذه المشاريع حالة إنتاج المعرفة التي اعتبرها الفتى شرطا حديا في النموذج المعرفي؟
- وكيف يمكن تقييم حالة تنظيم المعرفة في هذه المشاريع، هل للتنظيم علاقة في جودة المعرفة المنتجَة؟
- وإذا كان إنتاج المعرفة هو بهدف التشارك، ما هي الوسائل

والآليات التي تم اعتمادها؟

- وأهم الأسئلة والإشكالات كيف هي شبكة العلاقات داخل هذه المشاريع؟

وأسئلة أخرى قد تتولد لدى القارئ بعد الاطلاع على هذا المبحث الذي لن يعدم الإضافة لأنه حرر في خضم حركية النموذج والمشاريع، ويبقى الرهان في الفهم ثم القدرة على الوصف وتقديم الملاحظة بدقة بعد ذلك.





المبحث الأول «رحلة الفتى» قبل حقبة «نموذج الرشد»

المطلب الأول: «الفتى» باعتباره شخصية معنوية

1 «رحلة الفتى»

وظف «نموذج الرشد» «صورة الفتى» للتعبير عن حركية الإنسان في رحلته الحضارية باحثا الإجابة عن «سؤال الأزمة» الذي يؤرّقه، وللحديث عن محاولاته وإنجازاته، عن مواقفه واختياراته، وعن إنتاجه وإخفاقه. ولقد ولّد المفهوم أول مرة الدكتور محمد باباعمي للحديث عن لحظة تعرف «نموذج الرشد» على «مشروع الخدمة»[1].

«صورة الفتى» أو «إنسان "نموذج الرشد"» أو «الشخصية المعنوية» هي أداة تحليل ذات قدرات تفسيرية[2]، تساعدنا في فهم حيثيات «رحلة الفتى»، وتمكنّنا من تجاوز الاختزال في الحكم على الظاهرة الإنسانية واختصار نجاحها في «العالم النحرير» أو «القائد الزعيم» أو «البطل الفريد»، فهي تحفظ للعامل حقه مهما صغرت قيمته أو كبرت، دون تهميش وإقصاء

(1) ينظر: باباعمي، **أرباب المستوى**.

(2) ينظر: كوزي، **أزمتنا الحضارية**، ص:74.



أو تضخيم وتقديس[1].

والفتى كلمة مشتقة من الفتوة، ومن معاني الكلمة: الشاب، والسخي الكريم[2]، كما تعني «الكامل الجَزْل من الرجال، كما قال الشاعر: إنَّ الفَتى حَمّالُ كلِّ مُلِمَّةٍ»[3][4]، فالفتوة مفهوم قرآني أصيل فيها خدمة الآخرين[5]، وفيها الاندفاع والجرأة[6] وفيها الشجاعة والصبر[7]، كل هذه المعاني ترتسم ظلالا لكلمة الفتى ضمن «نموذج الرشد».

---

(1) «غير أنَّ تجربة القراءات الحضارية أثبتت أنَّ النجاة من «الأنا الفردي» مرحلةٌ هامة وبارزة، ولكنَّ الأصعب منها أن تتجاوز مرحلة «الأنا الجماعي»، أي أن تتخطى محورية «النحن»؛ ذلك أنَّها أنانية تتلبَّس بلبوس الإيثار والتفاني والذوبان في المجموع؛ لكنَّ «نحن» لا بدَّ أن يكون جزءا مِن «نحن» أوسع منه؛ إلى أن نصل إلى «نحن المسلمين»، و«نحن بني البشر»، وما دون ذلك من أفكار ومشاريع وانتماءات هي «آنات» جزئية داخل جسم شامل»، باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:45.
ومن بين من شكّلوا «صورة الفتى» ووردت أسماؤهم في البحث، نذكر: د. إبراهيم بحاز، ود. مصطفى باجو، ود. مصطفى وينتن، وغيرهم..

(2) القاموس المحيط.

(3) ابن منظور؛ أبو الفضل جمال الدين محمد، **لسان العرب**، مادة: ف.ت.ا.

(4) وعَجُز البيت: ليس الفتى بمنعّم الشبان. بحثت عن صاحب البيت فلم أعثر عليه، ووجدت بيتا لعنترة بن شداد في قصيدته «أَشاقَكَ مِن عَبلَ الخَيالُ المُبَهَّجُ» يقول:

وَإِنّـي لَحَـمّـالٌ لِـكُـلِّ مُـلِـمَّـةٍ ... تَـخِـرُّ لَـهـا شُـمُّ الـجِـبـالِ وَتُـزعَـجُ

(5) مثلا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾[الكهف:62].

(6) مثلا في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾[الأنبياء:60].

(7) كما في قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾[الكهف:10].

والفتوة صفة عارضة في الإنسان لا تدوم له مهما حاول الحفاظ عليها، فسنة الله في خلقه أنه ﴿جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ﴾[الروم: 54]، إلا عالَم الأفكار فإنه لا يبلى ولا يشيخ بذهاب أصحابه[1]؛ ما كان هناك من يرعاه ويقوم على شؤونه، لذا اختير الفتى «صورة إدراكية» للتعبير عن مرحلة من عمر فكرٍ يسعى للحفاظ على فتُوَّته بعد أن كان ضعيفا؛ يتحسس خطواته الأولى، مستندا إلى توجيهات علماء، ومساندة إخوان؛ فتعلّم واستفاد، وقدّم مبادرات وارتكب زلات، في مرحلة من عمر لا يقاس بالسنوات، ولكن يقاس بدورة حضارية قد تمتد قرونا.

«صورة الفتى» هي مؤشر ومعيار يقيس به المشتغلون ضمن النموذج مدى «صدقيتهم» في تطبيق المعايير التي ينادون بها، من مثل «عدم الملكية»[2] والدعوة لـ«استقلالية المشاريع»[3]، و«عدم التشخيص»[4] و«نكران الذات»، فكل ما يقدمه «نموذج

(1) ينظر في هذا المعنى: باباعمي، **سؤال الحضارة**، ص:142.

(2) «عدم الملكية»: مفهوم ينادي به «الفتى» ويذكّر به في كل مرة، فهو يرى أن ما يقدمه من تكوينات فكرية من مثل «بعثة الخلائف»، وحلقات «الدرس بنية العمل» إنما يقوم بها لا ليكسب الأتباع ويزيد في عدد المعجبين، ولكن لينشئ أجيالا تحمل هم الأمة على عاتقها، من غير ارتباط إلا للفكرة نقدا وتطويرا.

(3) كان المنطق المعمول به أن الفكرة كلما أصبحت منتجة والمشروع يزداد شهرة أن يتمسك به مؤسسوه ويدافعوا عن بقائه، لكن «الفتى» قرر في لحظة أن يحمّل كل مشروع لواحد ممن أبان عن قدرته في التواصل والوفاء وفي الإدارة والقيادة، وأعطاه المسؤولية كاملة على أن تبقى العلاقة الفكرية هي الوحيدة الرابطة؛ بل وتم التنازل عن هذه بكل أريحية مع بعض المشاريع بعد ذلك.

(4) يقول الشيخ الشعراوي: «التشخيص مانع للتكرار»، فالقصص القرآني الذي شخص =



الرشد» من آراء وتوجيهات في الأحداث التي يعيشها إنما هو معني بتنفيذها بداية، وهو من أصعب المبادئ التي يحيا ضمنها إنسان «نموذج الرشد» لأنه في نهاية المطاف «إنسان» قد يرتكب الأخطاء، وقد يدوس على بعض المبادئ التي وضعها، لكن حسبه أن أخطاءه لا يرتكبها تعنتا وإنما زللا، بل يُعتَبَر الإفصاح عن المعايير مُنقذا له من التمادي في الخطأ وهو لا يشعر، لذا كانت ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود: 112]، و«فن أن تكون ضمن»[1] من أقوى الروابط التي تجمع المقتنعين بـ«نموذج الرشد».

فمتى بدأت «رحلة الفتى»، وكيف بدأت؟

التأريخ لـ«رحلة الفتى» هو محاولة لربط الخواتيم بالمقدمات، وإحالة للنتائج إلى الأسباب، مع استحضار البعدين الزماني والمكاني لفهم الحوادث وتقييم الجهد، وتفهّم المبادرات للاستفادة منها نقدا وتثمينا.

«رحلة الفتى» هي حركية مجموع الفاعلين الذين أنتجوا لنا

= أسماء أصحابها لا يمكن تكرار أحداثها من مثل قصة السيدة مريم عليها السلام، وقصة سيدنا سليمان عليه السلام، بينما «قصة أصحاب الكهف» و«مؤمن آل فرعون» يمكن أن تتكرر في كل عصر ومصر. وتشخيص المشروع في شخص أو بعض أشخاص هو قتل للمشروع نفسه إما بالاقتناع في عدم وجود أمثالهم وبالتالي قتل أي مبادرة يمكن أن تولد، أو في إثارة الحسد والضغينة.

(1) (فن أن تكون ضمن: L’Art D’être Parmi): «هي خاصية الإحساس بالوجود ضمن مجموع متآلف، وخصيصة التحليق ضمن السِّرب، وضرورة التآلف والتناغم ضمن «شخصية معنوية» متماسكة» يجمعها «سؤالُ الأزمة» ويؤطرها نموذج فكري مشترك، ينظر: **أزمتنا الحضارية**، ص:108.

مشروعا يدب في الواقع، تركوا بصمتهم في النموذج وحاولوا أن يكونوا فاعلين في مجتمعهم، بل حتى أولئك الذين غادروا المجموع وتولّد على إثرهم مفهوم «رجل المرحلة»[1]؛ إنها مجموع كل من وجّه للنموذج سؤالا مستفزا إما عن قلق يريد الجواب عنه، أو عن تعنّت بغية التعجيز والاستهزاء؛ في «وعاء حضاري» وحاصل «منسوب عام»؛ يضم الطالب والعامل، التلميذ والمعلم، الباحث والعالم.

انطلقت الرحلة يوم قرر «الفتى» أن يكون فعّالا في محيطه، و«نقطة انعطاف»[2] في سياقه الحضاري، متأملا في أسباب الظاهرة ومحاولا وضع قدم في سبيل علاجها، قد تكون انطلقت فردا أو اثنين لكنها استطاعت إقناع آخرين فتشاركوا «سؤال الأزمة» ولو جزئيا.

(1) مصطلح منحوت عبر سنوات من العمل الميداني، في مختلف المجالات الفكرية والدعوية والتربوية والإدارية.. وغيرها. له قدرة تفسيرية عالية لكثير مما يقع فيه أي مشروع، من أكبر مستوى، إلى أصغر حجم: الدولة، والجمعية، والشركة، والمؤسسة؛ يعبر عن حالة الانصراف التي قد تعتري بعض العاملين في المشروع قائدا أو مقودا، فبعد التحمس للفكرة والعمل من أجلها تتعرض النفس لهزات تلتفت عن الفكرة وتجفوها؛ لا «خيانة» ولكن «حالة طبيعية» تعتري الإنسان. ينظر مقال «رجل المرحلة» (كتب بتاريخ 03-03-2012): باباعمي، **ذي قربتي**، ص: 87-89.

(2) «نقطة الانعطاف»: «هي نقطة التحول في الوجهة، ضمن شكل هندسي معين، أما في السياق الحضاري، فهي اللحظة التي يجد فيها الإنسان نفسه مضطرا لإعادة النظر في مخططاته الفعلية من أجل التغيير نحو الأحسن، مستحضرا وعاءه الحضاري الذي يعيشه ونسيجه الحضاري الذي يشده؛ راضيا بقضاء الله ومتوكلا عليه بإتباع الأسباب». ينظر: باباعمي، **سؤال الحضارة**، ص:130، وأيضا: باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:99.



ابتدأت الرحلة حين قرر «الفتى» أن يكون ضمن فريق عملٍ، قائدا للمجموع تارة، أو مكلفا بمهمة ضمن مجموع تارة أخرى مشكّلا معهم فريق عمل، فتكثفت الخبرة وتوضحت رؤيته للواقع، وازداد رشدا وكنها في تعامله مع إشكالات عصره المعرفية والاجتماعية على السواء.

يمكن أن نؤرخ لبداية «رحلة الفتى» ضمن «نموذج الرشد» ـ قبل تشكله ـ بحركيته في بعث العمل الجماعي؛ بأول عمل قام به الطالب محمد باباعمي مساعدا صديقه مصطفى وينتن في تأطير فريق «فهرسة شرح النيل» سنة 1989؛ تاريخ ضم المشروع إلى جمعية التراث؛ بعد أن ابتدآه بمفردهما خارج إطار تنظيمي، ثم اتضحت معالم منهج العمل الجماعي بابتكار أيام «غار امجماج» عند بداية مشروع «معجم أعلام الإباضية» سنة 1991، هناك بدأت مهارات تأطير العمل الجماعي تُكتسب، ومنهج تحويل الإشكال الحضاري إلى مشروع «عمل جمعي» يُستوعب في معالجة قضايا الأمة المتعددة.

كما أن رحلته ضمت في ثناياها تجربة التدريس بمعهد الحياة وإدخال موضوع التكوين في منهجية البحث العلمي لطلبة الشريعة في مرحلة ما بعد البكالوريا[1]، إرشادا وتوجيها، وكسرا لحاجز

(1) درّس الدكتور محمد باباعمي في معهد الحياة بالقرارة لمدة سنة دراسية: 1995-1996 أدخل خلالها مادة منهجية البحث العلمي لطلبة التخرج تكوينا وإشرافا فأنجزت أربعة بحوث، من بينهم طالب كفيف كان استيأس أن يقوم ببحث، فتمت مرافقته وأنجز بحثه، وتجربة التكوين في المنهجية تكررت أيضا في معهد الإصلاح للبنات بغرداية والمعهد الجابري ببني يزقن، وكان الهدف تجاوز مرحلة تخريج =

التهيب الذي يصيب الإنسان الفاقد لوسائل العمل، وتشكلت نواة للبحث العلمي وهي ما سيزيد في خبرة «الفتى» في التكوين والتأطير مستقبلا؛ لكن الظروف شوّشت «صورة الفتى» فلم تتواصل الرحلة، كما ضمت الرحلة تجربة إنشاء شركة للأعمال المطبعية[1] هدفها خدمة رسالة جمعية التراث ماديا وعلميا يوم كان أمينا عاما عليها.

ثم ارتقى «الفتى» في السلم الحضاري من المحلي إلى الوطني لما عيّن عضوا متفرغا في «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» ومسؤولا لتحرير جريدة البصائر، فقَدْ أرادته إدارة الجمعية أن يكون «المحرك الأساس (***dynamo***) للجريدة»[2]، وأراد هو أن يسهم في بناء الوطن وأن يكون «شاهدا ودليلا على مرحلة حرجة مرَّت بها الجزائر»[3].

أصبح العمل «ضمن مجموع» والمكابدة لتحقيقه ـ رغم ما

= طلاب كبار في العمر إلى باحثين مقتدرين.

(1) أنشئت بالشراكة بين الدكتور ناصر ومحمد باباعمي وبمساعدة صديقه مصطفى شريفي، عام 1995 وكان مقرها بيت الدكتور ناصر في القرارة في الجهة الغربية من المدينة، تقوم بخدمات الرقن والطباعة وتحقيق كتب التراث الإباضي، وكان هدفها إيجاد حلول ذكية للوضعية المالية لجمعية التراث، يقول محمد باباعمي في رسالة وجهها لأستاذه الدكتور ناصر: «.. واضطررتَ بتدبير حكيم منك أن تقترح لي إنشاء شركة للأعمال المطبعية تكون السند للجمعية، والحل لإشكال التمويل المستعصية..» مراسلة بتاريخ 09 جويلية 1997.

(2) باباعمي؛ محمد، **مذكرات (2000)**، مخطوط.

(3) باباعمي، **بورصة الصراحة**، ص:7.



يكتنف هذا المقصد من صعوبات نفسية ـ من أولويات «الفتى» في رحلته، فتولدت في الطريق مفاهيم وآليات طورها «الفتى» ليجيب عن أسئلة الواقع الذي يعيشه وتحدياته التي تدفعه للحركية والحركة.

2 ميلاد المفهوم: قصة معاناة ومخاض

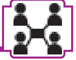
خصص مالك بن نبي حيزا مهما لكيفية تشكل المفهوم في كتابه «مشكلة الثقافة»؛ فاعتبر أن التسمية هي أول ما يُدخِل المسمى في نطاق شعورنا ومجال إدراكنا، وهي القوة التي تستخرجه من الفوضى المبهمة فتسجله في عقلنا في صورة حقيقة محددة[(1)]، وبهذا نستطيع تحديد معالمه وتوضيحها، ويمكّننا من تداوله وترسيخه في واقع الناس بما يحمله من صورة ذهنية ونزوع إلى الفعل والحركية.

دخل عليّ الدكتور محمد باباعمي في مكتبي[(2)] فبادرته بإشكال صادفني في مسيرة البحث وهو عن لحظة تشكل «سؤال الأزمة» ووضوح معالمه، وإسهام معالم النموذج في صياغته، فعرج بنا الحديث إلى ما يحيط تشكل المعرفة؛ مستحضرا السياق الذي تعيشه الجزائر هذه الأيام[(3)]، وما نقتبسه من معان في إطار معهد

(1) ينظر: بن نبي؛ مالك، **مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط.15، 1432هـ/2011، ص:20-22.

(2) اللقاء بتاريخ 23 ماي 2019.

(3) تعيش الجزائر هذه الأيام (منذ فيفري 2019) حراكا شعبيا رافضا للوضع السياسي؛ داعيا إلى ثورة سلمية واعية للتغيير ومحاسبة المتورطين في الفساد الذين أنهكوا =



المناهج مع حلقة المطالعة اليومية[1] التي اختير لها «مذكرات مالك بن نبي» مصدرا لها، فكانت المطالعة هذه المرة بالنسبة للدكتور بأنفاس مغايرة رغم أنه قد طالع الكتاب أكثر من مرتين.

حاول الدكتور أن يعطي لهذه «الأنفاس» اسما وأن يعبر عنها بوصف يوصل المعنى الذي يجيش في صدره، لكنه لم يجد الكلمة الدقيقة التي بها يعبر، فاقترحتُ عليه كلمة «***la sphère***» هكذا بالفرنسية لأنها أول ما حضر إلى الذهن فهي تتميز في كون الكلمة تتشكل من مكونات إذا تغيرت تغير معها مدلولها، فأشار إلى كتاب إدغار موران «المنهج»[2] الذي استعمل فيه مفهوم «***Bouillon de culture***»[3] أو «حساء الثقافة»، وأشار

= الوطن واستنزفوا ثرواته، وحولوا البلد إلى ملكية خاصة، وقد كانت كلمات مالك بن نبي الخالدة حاضرة في شعارات التغيير، وهو الذي كان يقول «سأعود بعد ثلاثين سنة علني أجد من يفهمني».

(1) حلقة المطالعة اليومية الرمضانية، الجماعية الصبغة «بنية العمل»، تجمع موظفي المعهد والأكاديمية البحثية كل يوم بعد صلاة العصر لمدة ساعة تحاول الربط بين المطالعة والتنزيل في الواقع، وهي تطبيق لمبدأ «التحسين المستمر» وتطبيق لمفهوم «المرجعية الفكرية».

(2) ينظر:

Morin; Edgar, Les idées: leur habitat, leur vie, leurs mœurs, leur organisation, La méthode: Volume 4,Éditions du Seuil,Paris, France, 1991, p: 42.

(3) يعرفها إدغار موران بقوله: «... حيث أن الأشياء تختلط وتصبح مواد (...) الثقافة الحقة التي تسمح بالانبثاق، أين يمكن دمج المعارف التي تأتي من العلوم (...) تجمع الحركية، والتفكير،... إلخ» ينظر مقال:

«Morin; Edgar: «Mon bouillon de cultures, l'Espace Mendès France =



كذلك إلى «الإعصار الفكري»[1]، وإلى «الأمشاج[2] الفكرية».

أراد الدكتور باباعمي أن يشير إلى أن تشكل المعرفة مرتبط بمجموع من العناصر تتمثل في المطالعات التي تكون في تلك الفترة، وفي نوع الأسئلة والإشكالات التي تتزاحم والإجابة عليها، وفي الانتكاسات والنجاحات التي قد تصيب المشروع، وفي الأحداث التي تحوط المجموع،... هذا الخليط هو ما يؤثر في تشكل المعرفة وفي نوعيتها.

بعد تداول وأخذ ورد استقر الرأي على مفهوم «الأمشاج

= على موقع: https://emf.fr، تاريخ الاطلاع: 2019/05/27 - 18:32.

ويشير المترجم أن المفهوم هو اقتباس من الحصة الشهيرة التي كان يقدمها الإعلامي الفرنسي «برنار بيفو» (Bernard Pivot) في قناتي (Antenne2/France2) ما بين 1991/01/12 و2001/06/29، ينظر: موران؛ إدغار، **المنهج - الأفكار: مقامها - حياتها - عاداتها - وتنظيمها** (الجزء4)، ترجمة: جمال شحيّد؛ مراجعة: موريس أبو ناضر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان، ط.1، 2012، ص:37.

و«Bouillon de culture» هي «حصة للإعلام والنقاش والفضول والترفيه، والتي تستمد مضمونها من الأحداث الثقافية..» حسب تعريف برنار بيفو للحصة، ينظر موقع: http://www.toutelatele.com/bouillon-de-culture-26913، المشاهدة: 2019/05/27، 18:54.

(1) الذي يوحي بالهيجان وبالطاقة وبالحركة غير المنظمة في بعض الأحيان، والذي يترك بعض الآثار السلبية، وكمثال نذكر صورة ذهنية لأحد الباحثين الذي أشار إلى أن أفكار «نموذج الرشد» قد تكون نفّرت بعض الباحثين لأنها حمّلتهم هموما إضافية، وعبر عنها بقوله (بالدارجة): «كنت عارف ما يْوَلِّيوْش».

(2) ومفردها مشيج: هو كل شيئين مختلطين. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مشج، والمفردة تأصيل من قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:2].

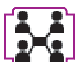
الفكرية»، لأنه يقتبس من الكلمة الأصل الأخلاط التي منها يتشكل الجنين، ويصبح إنسانا مستعدا لحمل الأمانة التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال، وأي تغير في عناصر الأمشاج هو تغير بالضرورة في شكل الإنسان[1]، وبهذا وُلد المفهوم في جلسة حوارية ابتدأت بسؤال وانتهت بتشكل مفهوم لا يُدرى هل ستكتب له الحياة أم ستنتهي مسيرته في الأحشاء قبل أن يولد؛ وهذا راجع إلى القدرة على التشغيل الفكري والتفعيل العملي.

هذه الجلسة تمثل نموذجا عن طريقة تشكل المفاهيم في إطار «نموذج الرشد»[2]، فقد يتغير الزمان والمكان؛ لكن المنهج في عمومه واحد: إشكال يعترض «الفتى» في واقعه فيلوذ إلى «الحفر المعرفي» وتقليب الرأي والتداول والحوار، ثم صياغة مفهوم يقرب الفكرة ويوحد الوجهة، وبعدها تصريفه في الواقع مرة أخرى من خلال التأليف فيه أو إقامة تكوين حوله[3]، والاستفادة من الملاحظات التي تزيده قوة وتماسكا أو تبين الخلل والقصور فيه لمعالجته وتقويمه، وهكذا في حركية حلزونية بين الفكر والواقع.

(1) ينظر: ارفيس؛ باحمد، **مراحل الحمل والتصرفات الطبية الحديثة في الجنين بين الشريعة الإسلامية والطب المعاصر**، AD Editions، الجزائر، 2005، ص:30.

(2) ينظر في هذا السياق قصة ميلاد مفهوم «بايكان أو الثالث الموضوع»: باباعمي، **أرباب المستوى: الأكاديميا باعتبارها جماعة علمية**، ص:110.

(3) ينظر: مقال «بؤرة تفكيري وخطي المنهجي»، باباعمي، **ذي قربتي**، ص:78.



إشكال في الواقع

الحفر المعرفي

التداول المعرفي

صياغة المفهوم

التصريف في الواقع

التأليف

التكوين

ملاحظات

تعديل وتصويب

تشغيل وتفعيل

تشكل المفهوم في إطار «نموذج الرشد»

3 «الحفر المعرفي» و«إنتاج المعرفة»:

تعتبر حالتا «الحفر المعرفي» و«إنتاج المعرفة» جماعيا في إطار «نموذج الرشد» من الشروط الحدية لاستمراره وقدرته على الصمود في الإجابة على أسئلة الواقع، فالنموذج قائم على «حركية الفكر والفعل»، فحالة «الحفر المعرفي» إجابة على الشق الأول (الفكر)، وحالة «إنتاج المعرفة» ثم تفعيلها إجابة على الشق الثاني (الفعل)[1].

الحفر في معناه القاموسي يعني «تنقية الشيء كما تحفر الأرض بالحديدة، ويعني أيضا التراب المخرج من الشيء»[2]، وهما المعنيان اللذان نتمثلهما في «الحفر المعرفي» الذي يستدعي الحفر في التراث لاستخراج الأصول ثم إعادة تركيب ما استخرج وضمه، لتشييد بناء على أرض الواقع؛ يجيب على أسئلة العصر بانشغال تام وتفرغ كامل[3].

استعمل المفهوم للحديث عن محاولات الإجابة على إشكال العلاقة بين التراث الفكري للأمة وواقعها الحضاري المتأزّم ضمن «نموذج الرشد»؛ من خلال «مطالعات حثيثة وقراءات

(1) وفي هذا المعنى يقول د. محمد باباعمي: «إذن، في المرحلة القادمة لزم التركيز على «صناعة المعرفة، مقدِّمةً لصناعة الفعل الحضاري، باعتماد الجماعة العلمية رحماً، ومعتكف البحث العلميِّ مستقرًّا مكانيًّا، ودوام ثني الركبة ومداومة التفكير صبغة زمانية». كلُّ ذلك بغاية «رضوان الله تعالى»، وبرسالة «ترشيد الأمة، بمنهج علمي، من منطلق قرآني». ينظر: باباعمي: **تيه ورشاد**، ص:46.

(2) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: ح.ف.ر.

(3) باباعمي، **الوعاء الحضاري**، ص:68.



متأنية لما أنتجه بعض العلماء ضمن هذا الإشكال دون إقصاء فكرٍ لحساب آخر، ولا حركة لحساب أخرى»[(1)]؛ فنقرأ مثلا: «منذ أمد وأنا أحفر بحثا عن «منظومة معرفية رشيدة»، فكنتُ كمن تاهَ في بيداء قفر قاحلة، لا يملك من أدوات الحفر إلاَّ يديه.. واليوم، وبعد أزيد من عام كامل طوى في الحفر والتنقيب عن «منظومة معرفية رشيدة»، اهتديتُ إلى ثلة من خيار الأمَّة هنا وهنالك...»[(2)]، وأيضا: «أرسلت قاربي إلى بحار الابستيمولوجيا ونظرية المعرفة، معتمدا مصادر أساسية أولية، رابطا بين ما أكتب وبين «المنظومة المعرفية الرشيدة» التي أنا بصدد الحفر فيها»[(3)].

و«الحفر المعرفي» و«إنتاج المعرفة» متلازمان في إطار «نموذج الرشد» من خلال المطالعات الفردية و«حلقات المطالعة الجماعية» أو «حلقة الدرس»[(4)] التي تضبط النغمة وتوحد الإيقاع، ومن خلال ورشات «التداول المعرفي» أو «ورشات بوصلة المعنى»[(5)]، أو

(1) باباعمي وكوزي، **من الكمون إلى الفعل الحضاري**، ص:10.

(2) مقال: «الحفر بحثا عن المنظومة» كتب بتاريخ 09 ماي 2010، ينظر: باباعمي، **البرادايم**، ص: 21-22.

(3) مقال: «تجليات كَنَدية: 12، وجاء يوم الوداع» نشر بموقع فييكوس في 2009/10/26، ينظر: باباعمي، **من بنات الأسفار**، ص:99.

(4) باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:154.

(5) «ورشة بحثية فكرية مغلقة تعقد لمدة يوم أو يزيد للتداول حول إشكالية محددة تنبع من «سؤال الأزمة» (حركية الفكر والفعل)، يدعى إليها الباحث المهتم بالإشكالية والفاعل في إطارها، من خلال ورقة بحث تصف الإشكالية وتدقّقها، وتنتهي الورشة بـ«وثيقة مرجعية» يتم تحريرها في ختام اليوم (قد تضم موقفا فكريا، فتوى... إلخ)، وبـ«تقرير إعلامي» ينشر في موقع «فييكوس» أو في غيره من وسائل الإعلام». =

الأيام المغلقة من مثل «مسرد مفاهيم نموذج الرشد» التي تفتح المجال للنقاش الهادئ الرصين ولتَدَافُع الأفكار واختبارها.

وأنشئت في سبيل ذلك دار النشر «كتابك» لتسهم في مسار «الحفر المعرفي» و«إنتاج المعرفة» ثم «نشر المعرفة»، إنها أمل «للخروج من عنق الزجاجة في توصيل المنتج المعرفي بالقارئ، وفي النشر المسؤول لما يُنتج من أعمال يخاطب بها الجمهور القريب والبعيد، ولقد ارتقت من خلية في مشروع إلى مؤسسة مستقلة»[1]

مسرد مفاهيم «نموذج الرشد

«نموذج الرشد» بحركيته وديناميكيته، سيترك أثرا معرفيا وعمليا ينقده الناس ويستفيدون منه، يقبلونه أو يرفضونه، ومن أهم الآثار التي يتركها المصطلحات والمفاهيم، لأنها المدخل والعنوان إلى هويته، والجهل بها أو تشويهها سيؤدي إلى تقويض

= اختيرت بعض الأوراق البحثية ونشرت ضمن كتاب: **إشكالية الصلة بين الفقه والفكر؛ بين الأحكام التكليفية والأحكام التكوينية**، نشر كتابك، الجزائر، ط.1، 1438هـ/2017. ثم عقدت الورشة الثانية حول: قراءة في كتاب أصول الإيمان، ثم توقفت هذه الورشات لأسباب من بينها بعض المشاركات غير الجادة (بعض الباحثين حضر إلى الورشة ولم يحضر العمل واكتفى بعرض آرائه مشافهة، وبعض الباحثين لم يتأكد من الوقت فحضر في آخر الورشة.. إلخ)، هذه الأسباب الخارجية أثرت في التنظيم الداخلي فكانت مبررا لتوقف أعمال الورشات بعض عقد طبعتين منها، فهل الضعف الداخلي أم المنسوب العام هو المؤثر، أم أن ذاتية اتباع الأسباب تقتضي محاسبة النفس وتوجيه الإصبع إلى الداخل؟.

(1) باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:147.



بنيانه وتهديد أركانه، لذا كان لزاما على «نموذج الرشد» أن يوضح مفاهيمه ومصطلحاته ليكون النقاش مبنيا على أسس متفق عليها، وإلا أصبح حوار طرشان، فالترشيد عند المسيري ـ مثلا ـ هو غير الترشيد في إطار «نموذج الرشد» وهو مخالف له تماما في المدلول؛ رغم أن المسيري هو من معالم «نموذج الرشد» الذين شيد الفتى على أكتاف فكرهم جانبا من جوانب بنائه.

تبنى «نموذج الرشد» الكثير من المفاهيم من التوجهات الفكرية التي توافق ثوابته، كما طور في أخرى وكيّفها حسب سياقه، وأيضا نحت مفاهيم ليعبّر بها عن حالة النموذج في تفاعله مع الواقع، ويحيل في هذه الحركية إلى كتاب الله تعالى وما ارتبط به.

وفي هذا الإطار وخوفا من أن يعيش النموذج في «غيتو معرفي ***Ghetto***» وأن يتكلم الفتى لغة لا يفهمها إلا هو، بات لزاما بعد هذه الأشواط التي قضاها أن يضع مرجعا لمفاهيمه التي يوظفها؛ ليسهم في إيجاد حراك ثقافي إيجابي في سياق لازال هذا المطلب عزيزا إلا ما رحم ربي، فاستدعى مجموعة من الباحثين والمشتغلين في أحد مشاريع «نموذج الرشد» للمشاركة في هذا العمل العينة (النموذج) ضمن دورات مغلقة كل 15 يوم بمطالعة المؤلفات التي أصدرها الفتى واستخراج ما ذكر فيها من مفاهيم.

ولدت الفكرة لتخدم هدفين، أولاهما إنجاز مسرد لمفاهيم

«نموذج الرشد»[1]، وثانيهما: محاكاة أيام «غار مجماج» التي كان ينظمها فريق البحث العلمي، وهذا من أجل الاستفادة من الملاحظات ضمن هذا البحث[2].

كان البرنامج فرصة لنقاشات وحوارات علمية عالية، إنه نموذج مصغر «للتداول المعرفي» الذي طالما أرق التجمعات العلمية في السياقات المتأزّمة، أنجزت ست دورات ثم توقفت الحركة، وقد عبّر المشاركون عن رغبتهم في تجديد هذه اللقاءات لأنها تخرجهم من الغرق الوظيفي الذي يعيشون فيه إلى محيطات المعرفة الجماعية، فمنهم من كان يأتي من وهران، ومن قسنطينة، ومن غرداية، ومن العاصمة.

مسرد المفاهيم إنتاج معرفي لم يصل بعد عتبة النشر، ولا حتى الإنجاز النهائي، وهو غير ممكن طبعا لأن الفتى لازال في حركيته، وهذا يعني أن المفاهيم لا زالت تتشكل في كل آن.

---

(1) تقارير دورات مسرد المفاهيم (أرشيف معهد المناهج).

(2) اجتمع في 6 دورات ما بين 2018/01/29 - 2018/04/18، 17 مشاركا: 5 طلبة (ليسانس)، 4 باحثين، 4 مديري مدارس، 4 موظفين (كانت هذه العينة عشوائية، فقد تمت دعوة عدد أكبر من المشاركين، لكن هذا العدد هو الذي استجاب والتزم).
وأنجز المشاركون 336 ساعة عمل بمعدل 56 ساعة عمل في الدورة التي كانت تدوم 24 ساعة، أنجزت فيها 351 بطاقة، واستخرجت منها مفاهيم وصل عددها إلى 252 مفهوما من 23 مصدرا دون احتساب المصادر التي تمت مطالعتها مرتين، وكان الإدراج في قاعدة بيانات لإدارة المادة المستخرجة في برنامج أكسس (access) تم إنجازها أيضا في إطار البحث لقياس مدى إسهام التكنولوجيا المبسطة في تحقيق نتائج عالية، وقد ساعدتني كثيرا قاعدة البيانات هذه، في أن وضعت أمامي خارطة المفاهيم ومصادرها التي ذكرت فيها، فاختصرت لي الكثير من الوقت والجهد.



المطلب الثاني: المشاريع الجماعية خارج فريق البحث العلمي

1 المطياف القرآني

لم تقتصر «رحلة الفتى» في بدايتها على تجربة «فريق البحث العلمي» في إطار جمعية التراث؛ رغم أنها شغلت الفتى شريحة من الزمن بلغت حوالي عشرين سنة، بل كان لقاعدة «فإذا فرغت فانصب»[1] تطبيقا مباشرا في رحلته، فبعد إصدار النسخة التجريبية من «معجم أعلام الإباضية» وتوزيعها على مشايخ وباحثين لتقديم الملاحظات مع نهاية سنة 1995، تحركت همة الفتى مرة أخرى من أجل مشروع جماعي جديد، من أجل تجسيد فكرة «كانت قابعة في ظهر الغيب، ثم سطعت بأمر من مدبر الأمور إلى عالم الشهادة»[2] عنوانها: «المطياف القرآني».

كانت الفكرة اهتماما وجّه مواضيعَ البحث في المرحلة الأكاديمية من دبلوم الدراسات المعمقة[3] إلى

(1) من قواعد البرمجة الزمنية وتوزيع الأعمال على اليوم؛ المستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي تؤكد على «نفي الوقت المستقطع؛ أي الوقت الذي لا غرض من ورائه: مثل التسويف والتأجيل، فالمسلم - دوما - في عبادة، والعبادة تفهم بأشمل معانيها». ينظر: باباعمي، **أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي دراسة مقارنة بالفكر الغربي**، الأوائل، ص:371.

(2) باباعمي، **مذكرات 1996**، (مخطوط).

(3) **«مراعاة الأحوال النفسية والظروف الزمانية والمكانية في تفسير الآية القرآنية من خلال أسباب النزول»** سنة 1994.

الماجستير[1] والدكتوراه[2]، فشغلت «الفتى» في محاولة منه «لفهم القرآن الكريم من مدخل منهجيٍّ معرفيٍّ حسَّاس هو «الزمن والوقت»؛ لارتباط مدلوله بسؤال الحضارة»[3]، فتشكلت النواة الأولى للمشروع من كل من سعيد خواجه، ومحمد اشريف[4]، ومحمد باباعمي، وتم تقسيم الأعمال حسب الاهتمام: المادي، والقانوني، والعلمي[5].

الفكرة وليدة مطالعة في إطار بحث الماجستير لكتاب: «الكون والأرض والإنسان في القرآن العظيم»، وكان النص الملهم هو: «والمطياف هو الأداة التي تحلل وتدرس الطيف، مع العلم أن لكل مادة أو حجم أو زمان أو مكان طبيعة للضوء وطيف خاص به»[6]، فتولد السؤال المباشر: «أما آن الأوان أن نخترع مطيافا عقليا لتحليل النور المنبعث من كتاب الله، آيات ونور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[النور:35]، فهاهم العلماء

(1) «**مفهوم الزمن في القرآن الكريم**» عام 1997.

(2) «**أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلاميِّ، مقارنة بالفكر الغربيِّ**» في 2003.

(3) باباعمي، **في حب كلام الله**، ص:74.

(4) يقول د. محمد باباعمي: أن الفكرة بقيت بذرة تختمر في العقل، حتى انتهت مرحلة الماجستير عند المناقشة في ديسمبر 1997، فطفت على السطح وأرقت الفكر، ثم عُرضت الفكرة على الأخوين سعيد خواجة، ومحمد شريف، بعد كتابة تصور أولي حولها، ينظر: باباعمي، **مذكرات 1997**، (مخطوط).

(5) باباعمي، **مذكرات 1997**، (مخطوط).

(6) عرابي؛ رجا عبد الحميد، **الكون والأرض والإنسان في القرآن العظيم**، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا/بيروت - لبنان، ط.1، 1415هـ/1994، ص:88-89.



الغربيون حللوا أطياف الكتاب الأول: الكون، ويبقى علينا أن نحلل الكتاب الثاني: القرآن»[1].

فكان المشروع محاولة للجمع بين القراءتين؛ قراءة الكتاب المسطور (القرآن الكريم) والكتاب المنظور (الكون)[2]، فاقتُرِح أن يسمى «المطياف القرآني» الذي يحلل الآية القرآنية باعتماد «الفهم الجماعي» ومن مداخل التخصصات المختلفة والمدارك والملكات المتباينة؛ محاكاة لألوان الطيف المتعددة، مع اعتبار نسبية الفهم الذي ينتج عن هذا الجهد المؤسس على ما سبق من محاولات؛ للوصول إلى نتائج جديدة تكون إضافة إلى ما قد حصل[3].

واستقطبت الفكرة اهتمام الباحثين والمحسنين على السواء، على الرغم من النكسة التي تعرضت لها في بدايتها بعدما أخلف بعض المحسنين وعودهم[4]، وجاء الاهتمام بعد سلسلة اللقاءات والاستشارات التي عقدها المؤسسون الثلاثة للمشروع مع مشايخ وباحثين ومحسنين، ثم انضم إلى الفريق الباحث باحمد ارفيس فكان إضافة جادة للفريق وللمشروع[5].

---

(1) باباعمي، **المذكرات**، (مخطوط).

(2) «فالقرآن المنزّل والكون المُنشأ يكمّل كل منهما الآخر»، ينظر: العلواني، طه جابر، **نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة**، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط.1، 1430هـ/2009م، ص:99.

(3) ينظر: باباعمي، **في حب كلام الله**، ص:73.

(4) باباعمي، **مذكرات 1998**، (مخطوط).

(5) م.س.ن.

تُوجت هذه المحاولات بإنشاء مركز للبحوث والدراسات القرآنية، باسم «المطياف القرآني» بتفرغ كلي لمجموعة من الباحثين في مجالات متعددة: في الفهم والمنهج، والتحليل المعرفي، والتوجيه الأكاديمي، والإنتاج الرقمي والشبكي[1]، وتعددت مخرجاته ما بين توجيه البحوث الأكاديمية في مختلف الدرجات العلمية والتخصصات البحثية، وبين أيام دراسية وملتقيات علمية، وهذا بداية من سنة 1998[2].

إلا أن «الفتى» لم يواصل الطريق مع الفريق فبعد سنتين من ذلك ـ 2000 ـ استدعي لمهام حضارية أخرى؛ فقد طلبته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليكون مسؤولا لتحرير جريدة البصائر وعضوا متفرغا في الجمعية، وبعد استشارة الشيخ عدون الذي وازن بين بقائه على رأس «المطياف» وعلى أمانة جمعية

(1) قام المطياف بما يسمى بـ: «السهر الإلكتروني، بتتبع مختلف المواقع التي تهتم بالقرآن الكريم، ولقد سجل قائمة معتبرة من العناوين، زار أغلبها، وشاهد عن كثب البعض منها»، ينظر: باباعمي؛ محمد، **القرآن والعصر**، مجلة الحياة، العدد 3، نشر جمعية التراث، 2000، ص:59. ونذكر هنا تجربة مشروع حفظ القرآن من التحريف في الانترنت. في إطار مكتب الدراسات في 2005، ينظر: ناصر بوحجام جابر، **مدخل إلى منهجية الدعوة عبر الانترنت**، معهد المناهج، الجزائر، 2007.
كما أنشأ سنة 1999 «موقع المطياف القرآني» - على جدة الانترنت في الجزائر -، المهتم بالقرآن الكريم، فنشر فيه أبحاثا ودراسات، إلا أن الاهتمام بأعمال أخرى كان سببا في توقفه عن النماء والزيادة ثم التوقف النهائي، لعدم وجود متفرغين للموضوع، ينظر: باباعمي، **القرآن والعصر**، ص:60.

(2) باباعمي، **في حب كلام الله**، 71-72. على أن الأيام المسورية البكرية بدأت مع تشكل فكرة المطياف في صائفة 1995.



التراث ـ بالتبع ـ أو الانضمام إلى فريق جمعية العلماء، اختار الثاني على أن يبقى أمينا عاما لجمعية التراث[1].

كان «الفتى» يحلم بتفسير «مطيافي» للقرآن الكريم يعتمد التكنولوجيا الحديثة لتجاوز المكان؛ يمكّن من اجتماع العقول ـ عبر العالم ـ بتخصصاتها المختلفة ولغاتها المتمايزة[2]، فيتدارسون كتاب الله بغية فهم أعمق وتطبيق أشمل لما ورد فيه من خطاب للناس كافة، فهل تحقق حلمه أم أنه توقف آنيّا ليأتي اليوم الذي يجدد الانطلاقة والإقلاع؟ وهل مشروع «بذور الرشد لتفسير القرآن الكريم» هو الاستئناف؟

وهكذا توقفت «رحلة الفتى» مع «المطياف القرآني»، وبعد أن اطمأن على وجود قائد جديد للمجموع؛ لم تعد هناك أية علاقة عملية تربطه بالفريق[3] سوى ما احتفظ به من علاقات أخوية مع من كان يجمعه بهم همٌّ مشترك في خدمة القرآن الكريم؛ نظموا خلالها أعمالا وأيام عمل لعل من أهمها «الأيام المسورية البكرية».

2 الأيام المسورية البكرية

«الأيام المسورية البكرية لفهم القرآن الكريم» هي أيام مغلقة مركزة امتدت من أسبوع إلى إثنين، جمعت باحثين وطلبة علم

---

(1) باباعمي، **بورصة الصراحة**، ص:6.

(2) باباعمي، **في حب كلام الله**، ص:117.

(3) باباعمي، **مذكرات 2000**، (مخطوط).

حول مدارسة القرآن الكريم، وعُقِدت في كل صائفة ما بين 1995 إلى 2001 (سبعة دورات متتالية)، وجاءت التسمية تمثلا لـ«حلقة العلم المسورية البكرية» التي تأسست في مسجد المُنْية عام (409هـ/1018م) والمنسوبة إلى أبي زكرياء فصيل بن مسور (صاحب الفكرة)[1] وتلميذه أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (الواضع لمعالمها والمنفذ لها)[2]، وتعد الشكل الأول الذي أخذه نظام العزَّابة في بداية ظهوره[3].

تأسست الأيام مع بدء تشكل فكرة «المطياف القرآني»، وحتى قبل أن يُعْطى لمشروع المطياف اسمه، فقد كانت التجربة الأولى في صائفة 1995، حيث أشار الباحث محمد باباعمي في مذكراته أنه يرى المطياف على الأبواب، بمناسبة انعقاد الأيام المسورية الثالثة في 23 أوت 1997[4].

تجمع هذه الأيام الباحثين من مختلف التخصصات الحاصلين على الماجستير فما فوق، حيث يتم اختيار سورة من القرآن، ويتم تعيين عدد من المصادر للعودة إليها، بعدها تتم المطالعة وتنجز التقارير، ثم تناقش بعد قراءتها وتعدّل، وكان الحرص والتأكيد في كل مرة أن هذه الأيام هي «للفهم» وليست للتفسير؛

(1) **معجم أعلام الإباضية**، الترجمة رقم: 734.

(2) م.س، الترجمة رقم: 803.

(3) **معجم المصطلحات**، وزارة الشؤون الدينية، ص:957.

(4) باباعمي، **مذكرات 1997**، (مخطوط).



فللتفسير شروطه[1]، وبهذا يتحرر الباحثون من إلزامية استيفاء الشروط وفي نفس الوقت تسمح لهم هذه الصيغة من الولوج والتعمق أكثر في كلام الله تعالى.

وقد كان لهذا المنهج فوائد بحثية مهمة، أبرزها إنجاز بحوث في مرحلتي الماجستير والدكتوراه تحوم حول القرآن الكريم منها: «تقنيات تحفيظ القرآن الكريم» في علم النفس دكتوراه موسى حريزي، «فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني» في اللغة العربية وآدابها ماجستير محمد جهلان، «مفهوم الزمن في القرآن الكريم» في العقيدة والفكر الإسلامي ماجستير محمد باباعمي، «البعد الإيماني للآيات الكونية في القرآن الكريم من خلال آيات البعث» في أصول الدين ماجستير محمد حدبون[2]، «تعليمية النص القرآني» في اللغة العربية وآدابها دكتوراه يحي بن يحي، «أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي مقارنة بالفكر الغربي» دكتوراه محمد باباعمي...»[3]

تنوَّعَ محتوى «الأيام المسورية البكرية لفهم القرآن الكريم» في الدورة الواحدة من محاضرات يلقيها علماء[4]، وتكوينات

---

(1) **في حب كلام الله**، ص:71.

(2) كما أن موضوع الدكتوراه الذي ناقشه في 2013 كان حول: «نشأة الكون وفناؤه في القرآن الكريم: دراسة في المنهج المعرفي على ضوء العلم الحديث» في تخصص كتاب وسنة.

(3) مجلة الحياة، العدد 3، رمضان 1420هـ/جانفي 2000، ص:62.

(4) نذكر على سبيل المثال لا الحصر: مشاركة الشيخ الحاج صالح بزملال العالم في علم القراءات في دورة صائفة 1997 (مذكرات سنة 1997)، والدكتور محمد ناصر =

داخلية ومداخلات يلقيها الباحثون فيما بينهم[1]، ومشاهدات لبرامج وثائقية وتحليلات علمية[2] تخدم الفكرة الأساس وهي فهم القرآن الكريم من مداخله المتنوعة.

وبهذا توسع الأفق أمام الباحثين المشاركين في هذه الأيام، ومكّنتهم من تجاوز الاختزال الذي قد يصيبهم في تعاملهم مع الآية القرآنية فرادى، وأنشأ بينهم علاقة فكرية كانت سترقى لتصبح جماعة علمية لو تواصل الإيقاع وانتظم اللقاء؛ لكن تغيرَ المنهج فتغيرت معه الرؤية[3]، واجتهد من بقي في الدار حسب قدراته وملكاته، وكلٌّ سيجازيه الله الجزاء الأوفى على نيته واجتهاده قبل نتائجه وإنجازاته، فندعو الله أن يثيب الجميع ويجزل لهم العطاء.

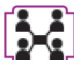


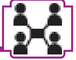
= في موضوع القرآن والطفل في دورة صائفة 1999 (ينظر: مجلة الحياة، العدد: 3، ص:10).

(1) على سبيل المثال: محاضرة للاستاذ يحيى باحيو في موضوع الانترنات.

(2) مثال ذلك: مشاهدات كونية - فلكية، حول رؤية الهلال، القبلة.. إلخ. **(مذكرات سنة 2000)**.

(3) حسب مراسلة من د. محمد باباعمي إلى صديقيه سعيد خواجة ومحمد اشريف من العاصمة بتاريخ: 13 أفريل 2001.





المبحث الثاني «نموذج الرشد» والمشاريع الجماعية

المطلب الأول: «نموذج الرشد»

السياق الحضاري:

ولد «الفتى» في سياق مضطرب في مرحلة شهد العالم فيها سقوط الاتحاد السوفياتي و«المعسكر الشيوعي» وما أعقب ذلك من سقوط الأنظمة الخاضعة له، كفعل الدومينو، وفي سياق شهدت فيه الجزائر حالة من الفوضى بداية من سنة 1988، وحالة العنف والإرهاب في أواسط 1992.

هذه الأحداث جزء من «الوعاء الحضاري» الذي ولد فيه «الفتى»؛ فلم يُستَشَر في اختيار زمن ولادته ولا مكانها، وإنما أيقن ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾[النجم: 39-40]، فتوكل على الله، وحمل همّ إحقاق التنظيم وسط الفوضى المحيطة به.

كان السؤال الذي راوده: كيف يمكن تجاوز حالة التشتت والتشرذم من أجل تجميع الطاقة وتوجيهها؛ إسهاما في إعمار وطن خُرِّب فكريا وثقافيا كما لحقه الخراب ماديا واقتصاديا وسياسيا، فاستغل وجود جمعية التراث تنظيما قائما كيانُه ـ رغم التحديات التي واجهتها ـ فضم الإصبع إلى الإصبع وحمل بغرفة يده ماء سقى به العطشى على قِلَّتِه.

كثرت الأيدي الساقية بعد ذلك وانتظم فعلها، فأنتجت مشاريع



لم يتجاوزها الزمن بعد، بل وَهَبَت الأمة رجالا تحملوا الظروف واحتملوا الموت في كل لحظة، بل ومنهم من قضى نحبه في الطريق، وتواصلت المسيرة و«الفتى» يزداد وعيا بمهمته الحضارية، وبدأت تتضح أمام ناظريه أعراض المرض الذي لم يشخصه بعد، ثم اطمأن إلى مصدر المشكلة(1)، فعرضه على إخوانه، وقدم مقاربات لعلاجه، فمنهم من اقتنع وشارك في التطبيب، ومنهم من رأى سببا آخر وانشغل به، ومنهم من اكتفى بنقد المقاربات فلم يكن لا من هؤلاء ولا من أولئك.

هذا المجموع هو بداية تشكل «نموذج الرشد»، وبداية رحلته التي تعود لأكثر من ثلاثين سنة خلت بإنجازاته وإخفاقاته، بسهوله وهضابه، بآماله وحقيقة أفعاله. فبعد أن كان «الفتى» ضمن فريق البحث العلمي لجمعية التراث وما تعلّم فيه ومعه، وتزامُنِ ذلك مع العمل في فريق «المطياف القرآني» ودورات

---

(1) ابتدأ البحث فرديا من الدكتور محمد باباعمي الذي أشار إلى ذلك في مقاله: تجليات كندية 12 الذي نشر في موقع فيبكوس بتاريخ: 2009/10/26: «... فأرسلت قاربي إلى بحار الابستيمولوجيا ونظرية المعرفة، معتمدا مصادر أساسية أولية، رابطا بين ما أكتب وبين «المنظومة المعرفية الرشيدة» التي أنا بصدد الحفر فيها»، ينظر: موقع فيبكوس، و**من بنات الأسفار**، ص:99.

كما أشار إلى ذلك الدكتور طه كوزي في مقاله: رب أخ لك لم تلده أمك: «... مدهوشا لما ألمسه من تداخل وتآلف كبير وعميق في فكر الرجل مع منظومتنا الفكرية التي أسسها ويؤسسها الدكتور محمد باباعمي، ويسهم في ذلك آخرون»، ينظر: موقع فيبكوس، 2009/09/08، تاريخ المشاهدة: 2019/06/15.

ويرى آلان شالمرز أن النموذج المعرفي قد «يظهر فجأة، أحيانا في جوف الليل، في عقل إنسان مستغرق بتعمق في الأزمة»، ينظر: شالمرز؛ آلان، **ما هو العلم؟**، ترجمة: لطيفة ديب عرنوق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، 1997، ص:135.

«الأيام المسورية البكرية»، وتجربته مع فريق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ كان السؤال الذي يراوده: كيف يجعل من الرصيد الحضاري الذي ينتسب إليه تاريخيا يؤثر في الواقع الذي يعيش فيه، ليتجاوز بذلك حالة عدم الفعالية والخمول التي تطبع أغلب بلاد المسلمين؟

هذا السؤال كان يقض المضجع وينغص النوم؛ بالرغم من عدم القدرة على الإفصاح عنه؛ لضعف في استجماع أطرافه، وصعوبة في إزالة الشوائب والزوائد عنه، فلا نجد في أدبيات «نموذج الرشد» تعبيرا صريحا عن «سؤال الأزمة» أو «سؤال انفصام الفكر عن الفعل»[(1)] كما هو متداول الآن إلا مع نهاية 2009[(2)]؛ إنه «السؤال الصغير الكبير».

«نموذج الرشد» وأزمة المسلمين الحضارية

«نموذج الرشد» «أداة تحليلية منهجية لفهم تركيبية الواقع والظاهرة الإنسانية، ثم التعامل معها»[(3)] في حركية دائبة بين الفكر والواقع وبين العلم والعمل، سعيا لإيجاد «العلاقة بين

(1) يقول مالك بن نبي: «إننا عندما نحلل اطراد أي نشاط له علاقة ما بالحياة العامة للنهضة نجده مبتورا من جانب أو آخر: فإما فكرة لا تحقق، وإما عامل لا يتصل بجهد فكري..» ينظر: بن نبي؛ مالك، **مشكلات الحضارة: وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق - سوريا، 1432هـ/2002، ص:83.

(2) كان لمطالعة كتاب «**بنية الثورات العلمية**» لتوماس كون أكبر أثر في صياغة سؤال الأزمة في شكله الحالي.

(3) ينظر تعريف النموذج المعرفي ضمن مبحث: «النموذج والمتحد العلمي» في الفصل الأول من البحث.



أفكار الإنسان وأفعاله؛ أي كيف تتحول المعلومات إلى معرفة، والمعرفة إلى سلوك»[1]، يستند فكره في تأصيل أي جهد فردي أو جماعي إلى كلام الله تعالى وكل ما له ارتباط وثيق به، أما فعله فيتسم بالنسبية كأي جهد بشري؛ المحتمل الصواب والخطأ معا، على ما في هذا الربط بين التأصيل والفعل من احتمال للقصور يتحمله الواصل لقدراته المحدودة ومداركه القاصرة[2].

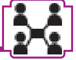
قلب «نموذج الرشد» الذي يحافظ على حركته الدموية هو «سؤال الأزمة»؛ فكلما خَفَتَ جُهده ذكّره بخطر إصابته بضمور عقله وبتكلس شرايينه؛ فيعود لتأملاته الفكرية وحركيته العملية؛ تأملات في سياقه الذي يعيشه بمبدأ «التجاوز-التجاور»[3]؛ تجاوز لكل ما يُخلِد للأرض ويوهن الإنسان، مع تجاور لبني جلدته ومكابدة في واقعه لئلا ينفصم عنه، فـ«سؤال الأزمة» هو الأكسيوم[4] الأول والثابت الذي تبنى عليه الأعمدة الأربعة

(1) باباعمي، **البراديم كولن**، ص:20.

(2) م.س، ص:19.

(3) «التجاوز-التجاور»: من المفاهيم التي طورها «نموذج الرشد»، ويعتبر إضافة معرفية من إضافات الفتى في رحلته، يقول د.طه كوزي: « «التجاوز-التجاور» معيار حدّي دقيق يرسم لنا رحلة «الفتى» في تفاعله مع أقرب الدوائر إليه: الإنسانية، والاجتماعية، والعرفية، والمؤسساتية... فإنْ كانت رحلة التجاوز قدَرا محتوما لتبايُن «سؤال الأزمة» بين الأشقاء، فإنّ جهاد «التجاور» ونفَس الرحمة واجب إيماني حضاري»، ينظر: **أزمتنا الحضارية**، ص:105.

(4) الأكسيوم (Axiome) (Axiom): (قريب في المعنى الفلسفي من «المسَلَّمَة» ومن «الكوجيتو») هو المبدأ الأول الذي تبنى عليه قضية ما ولا يحتاج إلى البرهنة عليه؛ بل هو مما يُتفق عليه، «في الرياضيات الحديثة تسمى «أَوَّلية» (...) ينطلق منها عالم =



لـ«نموذج الرشد» ؛ إنه «يحوي في معادلته ثلاثة أبعاد أساسية: الفكر والفعل والحركية»[1].

يتأسس «نموذج الرشد» على أربعة أعمدة هي ـ في نفس الوقت ـ معايير يُحاكم إليها ويُنْقد من خلالها، فهو يفصح عليها من منطلق «القابلية للصدق» و«الصدقية منهجا»[2]؛ العمود الرابع الذي يقف عليه «نموذج الرشد»؛ إنه «معيار ذاتي جوهري فعال»[3] يحاسِبُ به الإنسانُ نفسَه قبل أن يحاسبه غيره، يدفعه للمكابدة في سبيل العيش في تناغم بين قول الصدق والإتيان به[4]، مع اعتبار إنسانيته في عدم معرفته بالغيب[5] ومسؤوليته ـ في الوقت نفسه ـ عن أفعاله في «الشريحة الزمنية» التي يقف عليها، وبهذا تكون عينه بصيرة على الفعل الذي يُقْدِم عليه وعلى الفكرة التي

= الرياضيات على سبيل الافتراض لبناء نظرية استنتاجية»، ينظر: بلانشي؛ روبار، **الأكسيومية أو منظومة الأوليّات**، تعريب: محمود بن جماعة، نشر دار محمد للنشر، صفاقس-تونس، ط.1، 2004، ص:12. وأيضا: موقع بريتانيكا: https://www.britannica.com/topic/axiom.

(1) باباعمي وكوزي، **من الكمون إلى الفعل الحضاري**، نشر مؤسسة كتابك، الجزائر، ط.1، 1436هـ/2015، ص:51.

(2) يقول الدكتور باباعمي إنه تم نحت هذا المبدأ من مادة الصدق، بعد سنوات من تأسيس «مكتب الدراسات العلمية»، وكان هذا المبدأ بعبارة: «الصدقية قولا وفعلا ومنهجا» وهو مفهوم مواجه لثنائية: إما الذاتية وإما الموضوعية، أضيف هذا المبدأ بعد مدة من وضع المبادئ الثلاثة الأخرى.

(3) باباعمي، **سؤال الحضارة**، ص:126.

(4) ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[الزمر:33].

(5) **أزمتنا الحضارية**، ص:136.



تسنده معا.

وهذا الجمع بين الفعل والفكرة معا هو خرسانة العمود الأول في «نموذج الرشد»؛ إنه «حركية الفكر والفعل» من واقع إلى عقل ومن عقل إلى واقع، دون الاقتصار على جانب واحد[1]، على أن تتم هذه الحركية في مجموع وليس على مستوى فرد؛ فالإنسان الفرد لا يستطيع أن يجمع هذه القدرات معا فيه، والمجموع لن يتحرك إذا لم يكن له «قلب عقول ولسان سؤول»[2]، ويحمل بين جنبيه «سؤالَ أزمة» يهزه كل طرفة عين.

هذا «الهم» الذي يحمله «الفتى» وهذا «التوتر» وهذه «القضية»[3] التي يحيا من أجلها؛ تحفظه من التردي في أحد الذُهانين «ذهان السهولة» و«ذهان الاستحالة»[4] بمبدأ «ذاتية اتباع

---

(1) على قول أحد الباحثين في ختام ملتقى علمي إنه غير مطالب بتتبع تحقق فكرته في الواقع، وإنما مسؤوليته تقف عند عتبة المقترح وعند عتبة التنظير، ثم يأتي من مسؤوليتهم العمل الميداني والتحرك في الواقع ليأخذوا من هذه الأفكار ما يرونه مناسبا. وبهذا ابتلينا بهذا الشرخ الرهيب، ونحن بحاجة ماسة في سياقنا إلى إرشاد الناس إلى كيفية تفعيل الأفكار (كيف-how)، وبحاجة إلى التقاء «صاحب التنظير» مع «صاحب التفعيل» ليسمع الواحد منهما من الآخر حتى لا تكون الفكرة مستعصية على التنفيذ، وحتى لا يكون التنفيذ دون رؤية أوسع تفتح له الأفق.

(2) تنسب هذه المقولة لسيدنا عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث يقول: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وإن ربي وهب إلي قلبا عقولا، ولسانا سؤولا».

(3) ينظر مقال: «من التوتر إلى القضية.. كيف ولماذا؟» باباعمي، **ذي قربتي**، ص:69، وما بعدها، ونشر في موقع فيكوس (نسخة 1.0) بتاريخ: 2011/02/19.

(4) «نوعان من الذهان (psychose): فإما أن يرى إلى الأشياء على أنها (سهلة) وهو قائد ولا شك إلى نشاط أعمى، (كما كانت الحال في قضية فلسطين)، وإما أن يأخذ =

الأسباب»؛ العمود الثاني لـ«نموذج الرشد»، فـ«الفتى» موقن أن الله خلق في الكون سننا وأسبابا إذا استفرغ جهده ـ هو نفسه ـ في الإتيان بها فإن النتائج ستكون على قدر توكله على الله إخلاصا وعملا ودعاء، ولا ينوب واحد من هذه الثلاثية مكان الآخر؛ فلن يتحقق عمل دون إخلاص ومعه ينتفي الدعاء بالتبع، ولا دعاء مستجاب إذا لم يتحرك الإنسان؛ والإخلاص الحق هو الذي يدفعه للإتيان بهما.

«ذاتية اتباع الأسباب» تدفع «الفتى» لأن يعرف حقيقة نظام الكون المبني على السَّنَنية واتباع الأسباب[1]؛ فلا ينتظر تغيرا في الواقع إذا هو أمّل في الأسباب الخارجية أن تحقق له مراده[2]، وفقهه لهذا المبدأ دافع له لأن يرتب الأسباب الأول فالأول، فآخر الفكر أول العمل[3]؛ والخلط في الترتيب يؤدي إلى تلفيق في النتائج وتشوهات في المنتَج.

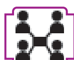
والعمود الثالث الذي يقوم عليه «نموذج الرشد» له علاقة مباشرة مع مبدأ الفعالية والنافعية، وهو «سداد المسلك»؛ فلا يكفي أن تفعل الشيء الصحيح وفقط، بل يفترض فعل الشيء الصحيح بطريقة صحيحة «***How to do right things right***»؛ فما أحوجنا إلى العقل العملي جنبا إلى جنب مع العقل النظري،

= صورة النظر إليها على أنها (مستحيلة) وهو ما يحدث غالبا في شمال إفريقية»، بن نبي؛ مالك: **وجهة العالم الإسلامي**، ص:88.

(1) **أزمتنا الحضارية**، ص:124-125.

(2) وقديما قالت العرب: «ما حكّ جلدك مثل ظفرك، فتولّ أنت جميع أمرك»

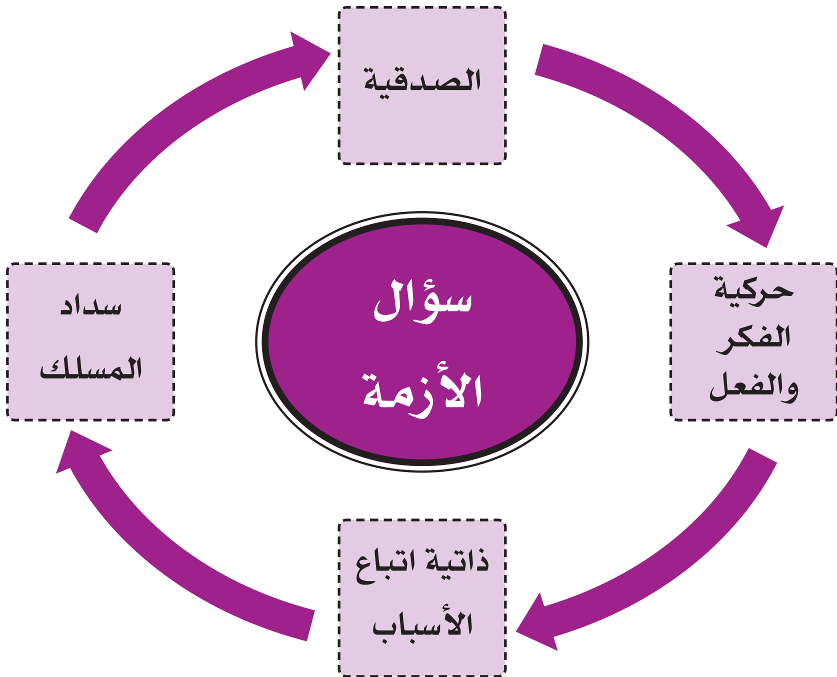
(3) **من الكمون إلى الفعل الحضاري**، ص:91، وما بعدها.



بل في بعض المحطات الزمنية نجد أنفسنا أمام حاجة ملحة للعقل التطبيقي العملي أكثر، كمن يراوح بين الخوف والرجاء إذا غلب جانب مال وضغط على الجانب الآخر ليعيد التوازن، ولقد أبدعت المنظومة الغربية من الآليات والوسائل ما حققت به نفعية عالية ولو على حساب الجوهر الإنساني، وهو ما أدى بالمفكر «بيجوفيتش» لنحت مفهوم «الطريق الثالث» في محاولة لتبيان روح الإسلام الذي يدعو إلى الوسطية والاعتدال.

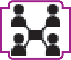
«سداد المسلك» هو البحث عن أحسن الحلول وتطبيقها، إنه تنشئة الإنسان أن يكون فعالا لا «قوّالا»[1]، هو تنبيه الناس إلى عدم الاكتفاء بالشكوى ووصف المشكلة؛ بل لابد من التقدم خطوة بتوصيف الحل ثم تطبيقه بعد ذلك، «سداد المسلك» هو محاولة وصف أسباب الظاهرة ثم محاولة إيجاد موقع لحلها، إنه ببساطة تحويل «السبّابَة» من الإشارة إلى الناس وتحميلهم المسؤولية ورد ذلك إلى النفس ومحاسبتها على التقصير؛ لا بمنطق جلد الذات ولكن بمنطق الحركة والنهوض والمشاركة في الحل.

(1) بتعبير الحكيم حمو لقمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وهو «أديب ومجاهد، ولد بالقرارة، من أوائل خريجي معهد الحياة»، ينظر ترجمة حياته في **معجم أعلام الإباضية**، الترجمة رقم: 276.



مخطط أعمدة «نموذج الرشد»

هي أعمدة أربعة يقوم عليها «نموذج الرشد»، وفقدان أحدها يهدد كيان النموذج على مستوى «العقل الجمعي» بالانهيار، فهو كلٌّ متراكب يخدم جوهر النموذج؛ ألا وهو «سؤال الأزمة»، في رحلة سعي لإرشاد الإنسان وتجنيبه حالة السفه التي تحجر عنه ماله وفكره؛ فإنسان «نموذج الرشد» في «شخصيته المعنوية» هو إنسان كامل بجميع المجالات، فقد يكون الفرد فيه راشدا في مجال دون آخر، لكن في مستوى المجموع لابد أن يكون راشدا مرشدا في مناحي الحياة المختلفة، وإن لم يبلغ هذه الحالة فإن



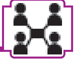
دونه أشواطا عليه قطعها، وقد تقوم القيامة وهو لا يزال في سعيه الحثيث، وهذا من «الكَبَد»[1] الذي جُبِل عليه، فليست العبرة في الوصول إلى النتائج فقط بل بالجهد والنية مع ذلك.

«فقه الرشد» و«القابلية للرشد» هي امتداد لنظرية مالك بن نبي حول «القابلية للاستعمار»، فهذه الأخيرة تتحدث عن التخلية بينما الأولى تعالج جانب التحلية والبناء[2]، ونُسِب النموذج للرشد[3] لأنه مصطلح قرآني، يفترض نوعا من الانتقال من حال إلى حال، وهو يعكس حالة النموذج الحركية الديناميكية، كما أن المصطلح هو نقيض السفه الذي بسببه يُحجَر على الإنسان ماله، وإذا عُمّم المعنى فإنه يحجر على «السفيه المعنوي» كل

(1) قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد:4]. يقول فضل الله: «يبقى الإنسان في كبد عندما يريد أن ينال رضى الله، فيما يبذل من نفسه وماله وفكره وحياته في سبيل تحقيق الأهداف الكبيرة التي يحبها الله ويريد له أن يبلغها أو يتحرك في الطريق التي يتجه إليها، أو في ما يعمل على تأكيد فكره ليبلّغه للناس، وليتحمل كل النتائج السلبية التي تصيب ذاته في سبيل ذلك». فضل الله؛ محمد حسين، **تفسير من وحي القرآن**، دار الملاك، بيروت - لبنان، ط.2، 1419هـ/1998م، ص:264.

(2) ينظر: باباعمي، **الطيور الرشيدة**، موقع فيبكوس (نسخة 1.0)، 26-05-2010، التصفح: 16-06-2019، **وذي قربتي**، ص:93.

(3) ورد في كتاب الاحتراف الإداري والحكومي لمحمد الصيرفي الحديث عن «نموذج الرشد» لكن لم يحدد الكاتب تعريفه للرشد ولا لـ«نموذج الرشد» باعتباره نموذجا من نماذج صنع القرار، بل ترك مفهوم الرشد مفتوح الاحتمالات حسب الزاوية التي يرى منها الباحث، واعتبر أن تحديد مفهوم الرشد يحمل رؤى قد تتعارض فيما بينها. ينظر: الصيرفي؛ محمد، **الاحتراف الإداري الحكومي**، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط.1، 2014، ص:244-245.



شيء إلا بمقدار[1].

«نموذج الرشد» قصة مكابدة في ترشيد الخلق ضمن الرسالة التي خطها «الفتى» وهي «الإسهام في ترشيد الأمة، بمنهج علمي، من منطلق قرآني»؛ فاختار الإسهام لأنه لم يعلن القطيعة على ما مضى، بل بنى على ما جاء به الأولون وأضاف ما رآه متناسبا مع واقعه زمانا ومكانا، اختار الإسهام لأن النموذج يسنده معالمُ وروافدُ[2] يشاركون الفتى «سؤال الأزمة» الذي شّخصه؛ فقائمة «المعالم» تضم كل عَلَم عالج «سؤال الأزمة» في كلياته ومارس الحل في واقعه ويومياته، أما من عالج «سؤال الأزمة» في جزئية منه وقارب الحل بناء على رؤيته فقد اعتُبر من «الروافد» دون إقصاء بسبب ما؛ ما كان العَلَم يضع المشترك الإنساني فوق كل اعتبار متجاوزا للعرقية وأفضلية جنس على آخر[3].

---

(1) ويقصد بالسفه المعنوي حالة عدم الرشد في مجالات الحياة المختلفة: السياسية، الاقتصادية، الثقافية،... إلخ، ينظر: **ذي قربتي**، ص:96.

(2) ينظر: **أزمتنا الحضارية**، ص:167 وما بعدها.

(3) يقول د. محمد باباعمي: «لو اعتصرتَ من كلٍّ منهم «معنى ومفهوما»، «طريقةً ومنهجا»، «صورة وإنجازا»... ثم سكبت ذلك على «قالبك أنت»، «كما أنتَ»، بما آتاك الله من مواهب، وبما فيك من ضعف، وبما رُزقت من ظروف وإمكانات، وبما يعتريك من نقائص ومعيقات... ثم لو صغتَ من معدنك «شخصيتك» على منهج «قرآني-نبويٍّ» راشد، متجاوز، متعال، كوني، مهيمن على غيره من المناهج... إنك لو فعلتَ إذن لاهتديت ولهديت؛ لأنك ولا ريب بالنسبة للكثيرين ممن معك، وللكثيرين ممن بعدك، ستكون بؤرة همٍّ واهتمام، ومحلَّ تأثر وأسوة... غير أنك لن ترجو من أحدهم أن يكون أنتَ، أو أن يكرِّر ما فعلتَ، أو أن يسير على إثرك، ويقبض قبضة من أثرك...»، ينظر: باباعمي، **سؤال الحضارة**، ص:137-138.

المطلب الثاني: المشاريع الجماعية ضمن «نموذج الرشد»

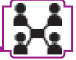
1 مكتب الدراسات العلمية

«مكتب الدراسات العلمية» أول تجسيد للعمل الجماعي البحثي المنظم في مرحلة تشكل «نموذج الرشد»، أنشأه «الفتى» سنة 2002 ابتداء ليرعى تأسيس المدرسة الخاصة في أطوارها التعليمية من الابتدائي إلى الثانوي، بعد أن كانت المدرسة عبارة عن غرفة في بيت تضم ثمانية تلاميذ[1]، فتفرغ لإنشائها مكانا ومحتوى مع بداية السنة الدراسية 2002-2003.

بدأت «المدرسة العلمية»[2] نشاطها بمرحلة الابتدائي في العام

(1) لم يكن للمدرسة الخاصة وجود في ذلك الوقت، وإنما كل المسؤولية كانت تتحملها الدولة مما أثر في جودة تعليم بعض المدارس، فاستغلت بعض التوجهات الفرانكوفيلية، وبعض السفارات لإنشاء مدارس لرعاية أبنائها، ونظرا للبيئة التي وجد فيها الفتى والتي تعاني نوعا ما قلة الجودة التربوية قرر أن يبدأ التجربة في مرحلة ما قبل المدرسة، وعندما انتهى العام بدأ التفكير الجدي في مواصلة التجربة، ومع أحداث زلزال ماي 2003، وكانت أكثر الأضرار في منطقة وجود «الفتى» (شرق العاصمة)، ازداد خيار إنشاء المدرسة الخاصة إلحاحا رغم عدم وجود القانون الذي يؤطرها، فما كان من «الفتى» إلا أن توكل على الله وبدأ الخطوات.
وتم توجيه رسالة إلى وزير التربية الوطنية باسم المدرسة العلمية بعنوان: «طلب تثمين ونقد وترسيم مبادرة المدرسة العلمية» بتاريخ: 2004/01/27، تشكو حالة الاكتظاظ في المدارس وتطلب تسوية وضعية المدرسة العلمية، ينظر: بوراس؛ عيسى، سلسلة حتى يغيروا 4: **قانون المدرسة الخاصة للتربية والتعليم بالجزائر**، نشر معهد المناهج، الجزائر، 2009، ص:79.

(2) سبقتها مدرسة الثقافة الجديدة في 2001 ثم مدرسة طارق بن زياد في 2002، ينظر: =



الدراسي 2003-2004، فقام «مكتب الدراسات» بدور المرافقة، وتفرغ لإنتاج المقاييس التربوية والمعايير، ثم متابعة التنفيذ بالزيارات الميدانية (أو الإشراف التربوي)، أو من خلال التكوينات الدورية و«التكوين المستمر»[1]، ومن خلال الدورات السنوية المغلقة[2].

كانت «حركية الفكر والفعل» دافعا للفتى في إنتاج مفاهيم

= **أزمتنا الحضارية**، ص:85. للاطلاع على التعريف بفلسفة المدرسة العلمية، ينظر: «مانيفستو» المدارس العلمية، (البيان الرسمي)، باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:210.

(1) «التكوين المستمر»: «حيث خصص يوم السبت من كل أسبوع للتكوين المستمر لكامل الإطار التربوي وقسم الرعاية والصيانة، وقد أولت المؤسسة مواصلة المعلم لدراسته الأكاديمية أهمية قصوى بالموازاة مع ساعات تدريسه، فأثمرت بحوثا أكاديمية في مرحلة الماجستير منها: فاطمة الزهراء؛ سعيداني، سلسلة بحوث ودراسات المناهج 2: **مكانة شبكة العلاقات الاجتماعية في البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، مؤسسة كتابك، الجزائر، ط.1، 2014، أيضا: ياسين؛ شريفي، سلسلة بحوث ودراسات المناهج 3: **التخطيط الاستراتيجي المدرسي، في ظل قانون المدارس الخاصة في الجزائر** (2003-2008)، **دراسة حالة المدرسة العلمية الجديدة الخاصة**، مؤسسة كتابك، الجزائر، ط.1، 2014. وتواصل المنحنى بعد ذلك حتى بعد استقلالية المشاريع، مثلا: عيسى؛ عيسى، سلسلة بحوث ودراسات المناهج 5: **نقل القيم في مرحلة الطفولة المبكرة: دراسة وصفية تحليلية لرياض الأطفال بالجزائر العاصمة**، مؤسسة كتابك، ط.1، 2014، وكذلك: تامجرت؛ البشير، **النزعة المادية تصدع أعمدة المدرسة: الدين - العلم - التربية - الإنسان**، مؤسسة كتابك، ط.1، 2018.

(2) عقدت في مسيرة مكتب الدراسات 4 دورات صيفية: بجاية 2004، القرارة (غرداية) 2005، قسنطينة 2006، عنابة 2007، كان هدفها تقييم الأداء التربوي خلال السنة والتحضير للسنة المقبلة، في جو أخوي لتمتين العلاقة بين الطاقم التربوي إدارة وأساتذة، ذكورا وإناثا.



جديدة وآليات عمل تحقق الجودة التربوية، مستفيدا من المقاربات الحديثة ليبني عليها لا ليتبناها كما هي، من مثل «النسق المفتوح»[(1)]، «القائد الناجح»[(2)]، و«العمل الجماعي»[(3)] وغيرها، كما أبدع مفاهيم من مثل: «فييكوس (*veecOs*)»[(4)]، وكل هذه المفاهيم

---

(1) النسق المفتوح: حالة سلوكية ذهنية، قابلة للتأثير والتأثر، مرتكزة على الثبات في المبادئ، والتغير المستمر في الوسائل والمناهج (المتغيرات)؛ تؤثر على جميع مناحي الحياة الفردية، وتنطبع على عمل الفرق والجماعات بالتبع. ومما توصل إليه مكتب الدراسات من قناعات راسخة: أن النسق المفتوح في الإدارة هو ثمرة للنسق المفتوح في الحياة. وأن أفرادا تربوا على النسق المغلق، لا يستطيعون أن ينتجوا عملا جماعيا بنسق مفتوح.
أودع مكتب الدراسات هذا المفهوم في كتاب: «قاموس النسق المفتوح، نحو سعادة أدوم، وإدارة أجود» وهو ثمرة عمل جماعي، يهدف إلى تطوير إدارة الجماعات، وتفعيل المؤسسات والهيئات التربوية والاجتماعية والاقتصادية بأسلوب ميسر ومنهج مبسط قابل للتطبيق بعيدا عن التقعيد والتعقيد، فألقي على الأعضاء الفاعلين بها على شكل دورات تكوينية انتهت بمناقشات صريحة ومفتوحة، وتطبيقات ميدانية. ينظر: باباعمي، سلسلة ما بأنفسهم 3: **قاموس النسق المفتوح، نحو سعادة أدوم، وإدارة أجود**، نشر مكتب الدراسات العلمية، الجزائر، 1426هـ/2005.

(2) بيوض؛ إسماعيل، سلسلة ما بأنفسهم 5: **دليل القائد الناجح**، نشر مكتب الدراسات العلمية، الجزائر، 1426هـ/2005.

(3) كوزي، سلسلة ما بأنفسهم 7: **العمل الجماعي وقيادة فرق العمل**، نشر مكتب الدراسات العلمية، الجزائر، 1427هـ/2006.

(4) معادلة فييكوس: منهج ونظام جديد لحل الإشكالات بأنواعها المختلفة، وقيادة الجماعات بطرق فعالة مثمرة، وهي نتاج عمل ميداني دؤوب، ودراسات علمية متطورة، تجمع بين الأصيل والجديد. وفييكوس ترجمة للفظ جديد من صياغة هيئة التأليف تؤصل للرؤى والجهود والتقييم والاتصال والأهداف والأنظمة. ينظر: مكتب الدراسات العلمية، سلسلة ما بأنفسهم 1: **فييكوس veecOs المعادلة الفعالة لحل الإشكالات وقيادة الجماعات**، نشر مكتب الدراسات العلمية، الجزائر، =

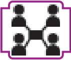
والآليات هي نتاج ملاحظات من الواقع، وتفرغ للبحث، واختبار في الميدان؛ في حركية حلزونية بمنهج «بحوث الفعل»[1].

وأنشأ «مكتب الدراسات العلمية» مجموعة من المشاريع وشارك في تأسيس أخرى نذكرها حسب تسلسلها الزمني: ففي العام الدراسي 2002-2003 شارك في تأسيس متوسطة المنار، وأسس البعثة العلمية النموذجية، وفي 2004-2005 أضاف التحضيرية العلمية لمرحلة الابتدائي، وأسس في 2005-2006: المتوسطة العلمية، وقسم الإجازة في القرآن الكريم، ودار القرآن مالك بن نبي، ومدرسة المعوقين ذهنيا (مركز رياحين)، وأطلق التعليم النسوي، وفي 2006-2007: أسس المدرسة العلمية في قسنطينة، وفي 2007-2008 أسس دار القرآن الكريم ـ البشير الإبراهيمي، والمدرسة العلمية في وهران، والمدرسة العلمية تاونزا في غرداية، ودار القرآن الكريم طنجا (وسط العاصمة)، ومركز البحوث العلمية في قسنطينة، وفي 2008-2009 متوسطة الفرقان القبة التي تحولت إلى مدرسة جيل التمكين ثم إلى مدرسة فتية، ومدرسة الرائد في حاسي مسعود، وقسم الإجازة في تيزي وزو[2].

= 1425هـ/2004. وبعد سنوات من ذلك يقرّ د. باباعمي أنه الآن مقتنع أن حرف «C» الاتصال سيكبر في مكان الأهداف «O»؛ أي (veeCos)، لأن أكبر مشكلة تهدد الجماعات الآن هي القدرة على التواصل.

(1) باباعمي، **من فعل البحوث إلى بحوث الفعل**، موقع فيكوس (1.0)، 2007/03/19.

(2) تقرير: «**الذاكرة الجماعية للمشاريع**»، إعداد: باباعمي جابر وكوزي طه، 2010 (أرشيف).



البعثة العلمية النموذجية

من بين المشاريع التي أسسها «مكتب الدراسات» التي تعنى بالمعرفة وإنتاجها نذكر «البعثة العلمية النموذجية» التي رعت مجموعة من الطلبة الجامعيين المنتسبين للجامعة الجزائرية في الفترة ما بين 2002 و2007، وكان من دوافعها: «تكوين قيادات مستقبلية، وتوفير بيئة متميزة للطالب الجاد، وتوجيه الطاقة»[1]، فعُين لها مسؤول متفرغ[2] لرعاية شؤون هؤلاء الطلاب: تكوينا وتوجيها، جدّا وهزلا، فحققت نتائج لا يمكن قياس ثمراتها الآنية، ولكن على الأقل أصبح من هؤلاء الطلبة مسؤولو مشاريع «مكتب الدراسات» وباحثون في الدراسات العليا وآخرون أصبحوا إطارات وإداريين خارج المشروع، وقد توقفت البعثة في 2007 لانتهاء مدة العقد مع الممول ومع المشرف على المشروع، لذا سميت «نموذجية» لأنها دراسة لإمكان حضاري يمكن استنساخه في أماكن أخرى، وقد واصل معهد المناهج في هذا الدور الحضاري.

سلستا «ما بأنفسهم» و«حتى يغيروا»

كما حرص «مكتب الدراسات العلمية» على إنتاج المعرفة ونشْر ما يتوصل إليه؛ للتداول وللتفعيل في السياقات المختلفة،

---

(1) تقرير: «**الذاكرة الجماعية للمشاريع**»، إعداد: باباعمي جابر وكوزي طه، 2010 (أرشيف). كذلك: باباعمي، **كلمة افتتاح معهد المناهج**، موقع فييكوس (1.0)، 2007/05/02.

(2) وهو أ. ياسين كومني.

فأبدع سلسلتين هما: «ما بأنفسهم» وصدرت فيها 10 عناوين[1]، و«حتى يغيروا» وصدرت فيها 4 عناوين[2]، وكان من بين أهداف هاتين السلسلتين تشجيع الممارسين في توثيق أفعالهم وعرضها للنقد والنقاش لتزكوَ حركتهم وتنموَ أعمالهم، كما نشرت بعد ذلك أعمال خارج السلسلتين مما لها توثيق مباشر لعمل «مكتب الدراسات» منها «مشروع الإبداع» باعتباره منحى في «المدرسة العلمية»[3].

أيام النقد

في خضم الإنجاز وإتباع الفعل بالفعل، انقدحت في ذهن «الفتى» فكرة الاحتفال بآخر السنة الدراسية، وخرج في تجسيدها

(1) صدرت فيها: 1- مكتب الدراسات العلمية، **فيكوس المعادلة الفعالة لحل الإشكالات وقيادة الجماعات**، 2- باباعمي، **الصدق في العمل الاجتماعي**، 3- باباعمي، **قاموس النسق المفتوح نحو سعادة أدوم، وإدارة أجود**، 4- باباعمي، **حدد غايتك**، 5- بيوض؛ إسماعيل، **دليل القائد الناجح**، 6- باباعمي، **صبغة الله**، 7- كوزي، **العمل الجماعي وقيادة فرق العمل**، 8- باباعمي، **مقاربة منهجية لتغيير ما بالأمة الإسلامية**، 9- باباعمي، **ترياق الحائر**، **تأملات في التمكين الحضاري**، 10- الناكوع؛ محمود محمد، **الحب والجمال في الإسلام** (مؤلف الكتاب ليس من أعضاء المشروع، وإنما هدف طباعة هذا الكتاب كان الرفع من مستوى الذوق الجمالي في محيط يفتقد إلى أدنى معايير الجمال).

(2) وصدرت فيها: 1- شريفي؛ ياسين، **التحفيز التربوي**، 2- بهون علي؛ إباض، **الحوار وإدارة العلاقات**، 3- ناصر بوحجام؛ جابر، **مدخل إلى منهجية الدعوة عبر الأنترنت**، 4- بوراس؛ عيسى، **قانون المدرسة الخاصة**.

(3) باباعمي؛ جابر، **الإبداع السهل الممتنع**، دار وحي القلم، دمشق - سوريا، ط.2، 2014.



عن المعتاد فعَدَل عن عرض الإنجاز إلى نقد المنجز، وتعديل حالة الزوار من متلقين ومشاهدين إلى متفاعلين وملاحظين، فقدمت مشاريع «مكتب الدراسات» في جوان 2006 عروضها في أجنحة «المدرسة العلمية»، وتركت الفرصة للزوار لتقديم ملاحظاتهم، فتجمعت في نهاية أيام النقد الثلاثة حوالي 2500 ورقة نقد، خصصت لها أيام بعد ذلك للتحليل والتصنيف وتحويلها إلى أفعال[1].

رغم هذه الإنجازات الكبيرة التي قام بها هذا المكتب الصغير الذي كان «غرفة عمليات للفتى»، والذي لم يكن يتجاوز عدد أعضائه السبعة، إلا أنه لم يستطع تحقيق بقائه في ظل الإشكالات التي تعترض العملية التربوية، وغرقه في التفاصيل الجزئية «لعوزه للآلية البحثية الناجعة»[2]، وبالنظر إلى التحوّل الذي طرأ في رؤية إنسان «نموذج الرشد» عن «المدرسة الآلة» التي كانت نقطة الارتكاز الوحيدة لـ«مكتب الدراسات العلمية» في تلك اللحظة»[3]، فالرهان لحل الأزمة الحضارية تحول من المدرسة بوصفها آلة التغيير المنشود إلى معالجة «أزمة المنهج».

(1) ينظر: باباعمي، سلسلة ما بأنفسهم 9، **ترياق الحائر، تأملات في التمكين الحضاري**، نشر مكتب الدراسات العلمية، الجزائر، ط.1، 1427هـ/2006، ص:107.

(2) يقر الدكتور محمد باباعمي في محاضرته «**بحوث الفعل**» لأساتذة المدرسة العلمية، بقوله: «إن "نموذج الرشد" إلى يومنا هذا قد أخفق في سياق إنجاز البحوث التربوية التي تعيش الظاهرة وتدرسها معا، بمنهج بحوث الفعل - ليس بمنطق صفر في المئة ولكن بمقارنة المؤمل مع المنجز -»، محاضرة ألقيت في معهد المناهج بتاريخ: 2019/06/23.

(3) كوزي، **أزمتنا الحضارية**، ص:89.

2 معهد المناهج.. مكابدة لإحلال السياق الخصب

لما بدأت معالم المدرسة تتضح وتتماسك مكوناتها ومع توسع الإطار التربوي، أصبحت الحاجة ماسة إلى تكوين المشتغلين في تأطير المدرسة وتأهيلهم؛ حتى تسهم العملية التربوية في الارتقاء بهذا التلميذ والأخذ بيده تحضيرا للمهام الحضارية التي تنتظره، لكن التكوين والتأهيل يحتاج إلى استثمار تعجز المؤسسة التربوية ذات النسق الرسالي عن استيعابه، كما يعجز عنه «مكتب الدراسات» الذي لا ينتج خدمات تجارية تغطي نفقاته ومصاريفه، فكان لزاما التفكير في حل لهذا الإشكال.

من هنا انبثقت فكرة «التوسعة الذكية» لـ«مكتب الدراسات العلمية»، ومؤداها أن تكون هناك مؤسسة بحثية تتولى المهمة؛ لكن من غير أن تحتاج بالضرورة إلى استثمارات كبيرة؛ لأن هذا الشرط سيكون معجزا، فانقدحت في ذهن الفتى فكرة إنشاء معهد للبحوث يستفيد الباحثون فيه من خدمات جادة وتكوينات جديرة مساعدةً لهم في إنجاز بحوثهم، لأن الكثير منهم يفتقد لهذا التكوين، ويوجه المعهدُ البحوثَ لإشكالات واقعية تعترضه في الطريق وتستفيد الأمة منها بعد ذلك؛ وبهذا يكون مبدأ رابح-رابح (*win-win*) خادما للطرفين.

ولدت الفكرة لتجسد مسعى لم يتحقق مع بداية الألفينيات؛ وهو سعي «الفتى» (متمثلا في الدكتور بحاز إبراهيم والدكتور باباعمي) لتأسيس معهد للدراسات المعمّقة بالتعاون مع سلطنة عمان تكون العاصمة الفرنسية باريس مقرا له، وجاءت الفكرة



أيضا لتكون ملهمة في اتخاذ خطوات لإنشاء جامعة خاصة تسمى «دار العلوم» بالشراكة مع كلية المنار بالعاصمة[1].

تأسس معهد المناهج[2] في 2005/10/18[3]، وابتدأ بتكوين تجريبي (أو السنة الصفر) مرة كل شهر لمدة سنة في مناهج البحث العلمي في العام الدراسي 2005-2006، في قاعة صغيرة تابعة لشركة تجارية[4]، واستفاد من التكوين حوالي 30 طالبا ضم تكوينات في مجالات مختلفة منها: مناهج البحث في التاريخ، واللغات، وتخصصات العلوم الإنسانية عموما.

---

(1) حسب تقرير اللقاء الذي جمع بين إدارتَيْ معهد المناهج وكلية المنار بتاريخ: 3 ماي 2008م بالجزائر العاصمة، وحضره كل من: د. محمد عيسى وموسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ، د. محمد ناصر بوحجام، د. الحاج موسى بن عمر، د. إبراهيم بحاز، د. محمد باباعمي، د.مصطفى باجو، د. مصطفى وينتن، د. يحيى بن يحيى، أ. عيسى بوراس، أ. طه كوزي. وبرمجت زيارات لبعض الدول للاطلاع على التجارِب وربط العلاقات، لكن الجامعة لم يكتب لها التحقق لعدم القدرة على استيفاء الشروط التعجيزية لدفتر شروط إنشاء الجامعات الخاصة. تقرير لقاء المجمع العلمي: الجلسة التأسيسية لإنشاء جامعة مشتركة بين معهد المناهج وكلية المنار: «**جامعة دار العلوم**» (أرشيف).

(2) يقول د.محمد باباعمي: «لقد أكدت في كلمة افتتاح المعهد أن هذا المشروع ثمرة عمل جماعي متواصل، استغرق قرابة عقدين من الزمان، فلقد أسسه ثلة من الباحثين، كانت بدايتهم في الدُّور والمنازل، وفي الجنان والبساتين، خلال الأيام المغلقة «أيام غار امجماج»، و«الأيام المسورية»... وهم يعملون سويا لبعث عهد جديد، يرتقي فيه البحث العلمي أسمى المراتب»، ينظر: **أسس المجمع العلمي والتفرغ البحثي**، رسالة إلى أعضاء المجمع العلمي بتاريخ: 2007/06/22 (أرشيف).

(3) باباعمي، **فلسفة المشروع، والتكوين في مناهج البحث العلمي** (محاضرة صوتية)، معهد المناهج، 2007.

(4) هي شركة الرائد الجديد، بالدار البيضاء - العاصمة.

وبعد هذه التجربة عقدت أيام مغلقة[1] للتحليل والتقييم وتحضير السنة الجديدة والانتقال إلى المقر الحالي للمعهد الموجود في منطقة برج البحري[2]، وتمت صياغة رؤيا معهد المناهج 2015[3]، ووضعت الخطط السنوية للوصول إليها، واختير الاسم «المناهج» ليخدم الرسالة التي صاغها في تلك الفترة وهي «التغيير في المنهج من منطلق قرآني»؛ لأن التغيير في المنهج يعني القدرة على التعميم بعد ذلك، أما التغيير في الموضوع، فستكون هناك حاجة إلى تغيير آخر في موضوع آخر[4].

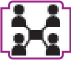
انتظم العمل وانطلقت التكوينات، ركز المعهد خلالها «على

(1) عقدت هذه الأيام في مدينة وهران في الفترة ما بين (28 جويلية و10 أوت 2006)، وشارك في هذه الجلسة التأسيسية لمعهد المناهج كل من: د. محمد باباعمي، طه كوزي، جابر باباعمي، جابر ناصر بوحجام، توفيق فخار، نسيم بسالم.

(2) البناية تتكون من 3 طوابق في موقع استراتيجي يصلح واجهة تجارية لشركة أو محل كبير، وقَفَها صاحبها المرحوم: سليمان بوعصبانه الحاج قاسم بن بهون يوم كانت هيكلا، ثم واصل تجهيزها وبناءها إلى أن سلمها جاهزة للاستعمال وفق مخطط البناء الذي وضعه المشروع، حيث كان افتتاح المعهد بحفل وسام العالم الجزائري في 2007/05/02، وقد رفض الحضور ولا حتى ذكر اسمه، وبعد سنة من ذلك يختاره الله إلى جواره تاركا ذكرا حسنا وورثة صالحين استمروا في وقف البناية اقتفاء لأثر والدهم، فرحمه الله رحمة واسعة وأثاب أبناءه خير الجزاء.

(3) رؤيا معهد المناهج 2006-2015 كانت: أن يكون المعهد المرجع للشركاء له في الرسالة، وأن يتميز عن المعاهد الوطنية والدولية بأصالته في البحث العلمي والدراسات العليا، وقد كانت «الرسالة» في هذه المرحلة: التغيير في المنهج؛ من منطلق قرآني.

(4) لتفصيل أكثر حول الرسالة يمكن العودة إلى كتاب **مقاربة منهجية لتغيير ما بالأمة الإسلامية** ضمن سلسلة ما بأنفسهم للدكتور محمد باباعمي.



بعدين هما: «بناء الآلية» و«توليد المنهج»، وبُعْد آخر هو: «تكوين المربي والمرشد»[1]؛ فتنوعت تكويناته من «شهادة التخصص في مناهج البحث العلمي»[2] إلى «شهادة الكفاءة المنهجية»[3] ثم «التكوين المتخصص»[4] إلى تكوينات خادمة للباحث من مثل «التكوين في اللغة العربية وكتابة المقالة العلمية»[5] و«التكوين في برامج الإحصاء ***SPSS***»وبرامج اللغات، كما كانت هناك برامج تكوين في الأداء التربوي[6] وهي «دبلوم مؤطري رياض الأطفال»

---

(1) كوزي، **أزمتنا الحضارية**، ص:91.

(2) في سنتين: 2007-2009، واستفاد من التكوين 60 باحثا في تخصصات العلوم الإنسانية، وضمت طلبة الماجستير والدكتوراه.

(3) 2009-2010: تقلص التكوين في «شهادة التخصص في مناهج البحث العلمي» إلى سنة وتحول اسمه من العنوان العام الكبير «مناهج البحث» إلى الكفاءة المنهجية في تخصص واحد: العلوم الإسلامية، أو علوم التربية أو العلوم الاقتصادية.

(4) كان في منهجية البحث العلمي في ثلاث تخصصات: العلوم الإسلامية، علوم التربية، والعلوم الاقتصادية، ما بين 2010-2014، وكان هذا التكوين في الأساس موجه للطلبة المسجلين في الماجستير في إحدى الجامعات الدولية عن طريق معهد المناهج مع فتح الباب للطلبة غير المنتسبين للمعهد، وهو مواصلة لـ«شهادة الكفاءة المنهجية». وقد توقف التكوين بعد توقيف التسجيل في الدراسات العليا، حتى يتسنى التفرغ للطلبة المسجلين لمناقشة رسائلهم، فقد لوحظ أن الكثير منهم انقطع عن الدراسة بمجرد إنهاء السنة النظرية.

(5) وجه هذا التكوين للطلبة المسجلين في الماجستير بعدما لوحظ ضعف الكثير منهم في أساليب التحرير وكتابة المقالة العلمية.

(6) تكوين فكري بيداغوجي يعتبر من إبداعات معهد المناهج ثم سارت على نهجه بعض المؤسسات التكوينية الأخرى، وتبنته كما هو، ضم 70 ساعة تكوين بحصة نصف شهرية مدتها 6 ساعات، وروعي أن يكون ما بين الحصص للجانب التطبيقي، حيث يشترط على المشارك التطبيق في إحدى المؤسسات التربوية أو داخل الأسرة وتقديم =

والجامعة الصيفية في محور التربية والتعليم بـ3 طبعات[1].

ومع اكتساب «الفتى» خبرة في تسيير تكوينات الدراسات العليا، بدأت طلبات التسجيل في مرحلة ما بعد التدرج تَطْرُق بابه، ونظرا لكون التسجيل في الجامعات الجزائرية كان محدودا جدا، وبالتزامن مع أحداث كرة القدم بين الجزائر ومصر[2]، وعودة الكثير من الطلاب الجزائريين إلى ديارهم، وجد «الفتى» نفسه أمام مسؤولية حضارية للبحث عن بدائل وحلول للوضع؛ فانطلقت رحلة البحث عن مؤسسات لعقد شراكات معها مع مراعاة خصوصية الهوية الجزائرية المتعددة الأبعاد، وكذا التأكيد على عدم تسييس الموضوع أو تلوينه بأي لون إيديولوجي إقصائي، فتم التعاقد مع جامعات منحت المعهد حق التصرف في المقرر بما يتوافق مع البيئة الجزائرية، على أن تُمنح الشهادة من الجامعة الأم[3].

= التغذية الراجعة بعد ذلك. أجريت منه دورة واحدة 2013-2014 ثم ترك المجال لبعض المؤسسات التكوينية المتخصصة في الموضوع.

(1) نظمت 3 طبعات للجامعة الصيفية في عامي 2010 (طبعتان: جوان وسبتمبر) وعام 2011، مدة كل طبعة أسبوعا مغلقا، وقد استفاد من هذه الطبعات أكثر من 200 إطار تربوي من مؤسسات تربوية عمومية وخاصة تجاوز عددها العشرين مؤسسة، «إلا أن معهد المناهج اصطدم، في واقع الأمر، بصخرة غرق المدارس في الوظيف أحيانا، وعدم الإحساس بالحاجة إلى التكوين حينا، ووجد عيّنة أخرى قد استنزفت جهودها وأموالها في مؤسسات التدريب الفوري...». ينظر: كوزي، **أزمتنا الحضارية**، ص:92.

(2) بمناسبة مباراة الذهاب في 2009 والمؤهلة إلى نهائيات كأس العالم 2010.

(3) ابتدأ تمثيل الجامعات في 2008 ولا زال متواصلا مع توقيف لمدة 3 سنوات لمتابعة =



من سمات «الفتى» أنه دائم التفكير والمراجعة، يقلب خياراته ويقيس مدى نجاعتها وقدرة المقترح العملي الذي وضعه في الإجابة على تساؤلاته والحد من «آلام التفكير» التي تؤرقه؛ فبعد مرور بضع سنين من تأسيسه، ومع ظهور بعض التيارات الفكرية وبعض الحركات الدينية في محيطه، تساءل عن دور المرجعية الفكرية[1] ومسؤوليتها في حماية المؤسسات التربوية من خطر التلون والتوجيه، وعن علاقة المرجعية بحال عالم المسلمين اليوم[2]؛ فاستدعى بعضا ممن شكلوا معه ملامح الفتى

= الطلبة المسجلين ومرافقتهم لاستكمال متطلبات الحصول على الماجستير.
وقد كان للتوقف والتفرغ للطلبة المسجلين في الدراسات العليا نتيجة إيجابية جدا؛ فقد تمت - في الفترة ما بين 2013-2017 - مناقشة أكثر من ثلاثين بحثا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، في تخصصات العلوم الإنسانية: الشرعية، الاقتصادية، التربوية، الفكرية.. إلخ، وقد كانت ثلاثة من هذه البحوث في درجة الدكتوراه، وشهد المعهد خلال مناقشات هذه الرسائل جوا من الحوار العلمي الراقي والنقاش الأكاديمي الذي يراعي الخلق وينضبط بالمعايير العلمية، وهذا حسب لجان المناقشة والمناقشين الذين تجاوز عددهم الثلاثين مناقشا. ويمكن العودة إلى هذه المناقشات في حساب veecos.tv على موقع اليوتيوب و«صاوند كلاود soundcloud».

(1) كُتِبت في هذا الموضوع وفي تلك الفترة مقالات قاربت الموضوع، منها: «**المرجعية والتخلف**»، باباعمي، **المقالة الدمشقية 01**، نشر في موقع فيبكوس بتاريخ: (2007/06/14) ثم نشر في كتاب «**من بنات الأسفار**»، ص:37. مقال: «**الفقيه والمرجعية**»، باباعمي، **المقالة الدمشقية 02**، نشر في موقع فيبكوس: (2007/06/17) ثم في «**من بنات الأسفار**»، ص:40، و«**المرجعية بين رضا الله ورضا الناس**»، باباعمي، **المقالة الدمشقية 07**، نشر في موقع فيبكوس بتاريخ: (2007/07/09) ثم «**من بنات الأسفار**»، ص:53.

(2) «هل غياب المرجعية هو سبب التخلف؟ أم أن التخلف هو المقدمة، وغياب المرجعية نتيجة حتمية؟... غياب المرجعية (أو المرجعيات) ورَّث تبعية العالِم =

في رحلته منذ بداية التسعينيات الذين ابتعدوا عنه مكانا فتناقش معهم الموضوع وأسسوا «المجمع العلمي»[1] باعتباره صورة حية للفتى، مستحضرا أهمية تجميع العقول وقبل ذلك القلوب للعمل معا من أجل مناقشة قضايا الأمة المتشعبة، وأن لا سبيل للخروج من أزمتنا الحضارية إلا بـ«عقل جمعي»، ومكابدة لتحقيق «الجماعة العلمية» و«المتحد العلمي»[2]؛ فانتهى اللقاء المغلق الذي عقد في دورته الأولى[3] إلى تحديد أكثر من 200 قضية في «قفة إشكالات» تتناول مواضيع متعددة في: الفقه، العقيدة،

= للحاكم، واختزل الفتوى في واحد، وحرم الأمَّة من نماء ثنائية (الفكر والفقه) لحساب الفردية التقليدية (الفكر أو الفقه)... فهي عاجزة، بفعل غياب المرجعية الجماعية، عن حلِّ أزمة التخلف التي يرزح تحت وطأتها اليوم حوالي مليار مسلم في العالم». باباعمي، **المقالة الدمشقية1**.

(1) ضم في العضوية كلا من: د. إبراهيم بحاز، د. محمد حمدي، د. مصطفى باجو، د. محمد باباعمي، د. مصطفى وينتن، د. باحمد ارفيس، د. يحيى بن يحيى وفي التنسيق: الأساتذة: طه كوزي ومصطفى شريفي.

(2) يقول د. محمد باباعمي: «هذه رسالة موجهة إليّ أولا، ثم إلى أترابي وأصدقائي، ثم إلى الجماعة العلمية التي بشر بها المعهد هذه الأيام، ثم إلى كل مشروع حضاري إنساني على وجه البسيطة»، ينظر مقال: «**الحراك الفكري وما بعد المعرفة: قراءة في الأزمة والحلول**»، موقع فييكوس (1.0)، 2009/02/23.
وفي مقاربة موضوع الجماعة العلمية كتب د. محمد باباعمي مجموعة من المقالات في موقع فييكوس منها: «**إلى حكيم العلماء وسيد الصابرين: د.بوحجام**»، 2010/10/26. «**هل المعهد العالمي جماعة علمية؟**»، 2010/10/20. «**العلم والجماعة العلمية**»، 2010/11/30. «**العالِم ضمن " جماعة علمية " .. بهذا أحلم، وسأظلُّ أحلم**»، 2012/12/29.

(3) عُقِدت في معهد المناهج بتاريخ: 20 جويلية 2008.



الحضارة، العمران، الاقتصاد.. إلخ[1].

بعد نقاش عميق من أعضاء «المجمع العلمي» لرسالة المعهد، واستحضار الجدل الذي رافق رسالة «التغيير في المنهج من منطلق قرآني»[2]، استقر الرأي على أن تتحول الرسالة إلى: «الإسهام في ترشيد الأمة، بمنهج علمي، من منطلق قرآني»، فالرشد والترشيد هو ما تحتاجه الأمة، والنضج يخوّلها الاستغلال الأمثل لما بين يديها من مقدرات، والإسهام يفتح الأفق للمعهد لأن ينطلق ويستفيد من التجارب العالمية، ومن الإفادة بما لديه من رصيد ثقافي يستمده من نسيجه الحضاري[3].

انطلق «الفتى» محلقا في الأجواء باحثا عن المشاركة في الحراك العالمي؛ ينشد تحقيق «حالة هزارفان»[4]، فلم يكن تمثيل

---

(1) تناول المجمع بعض هذه القضايا في الأعداد الثلاثة للمجلة التي أصدرها (مجلة المجمع العلمي)، ثم كان مصير المجلة التوقف بعد ذلك.

(2) «فكرة التغيير قُرِئت قراءة شاذة اختزالية حرفية؛ على أنها "قطيعة ثورية" مع سالفها من المدارس الفكرية»، ينظر: كوزي، **أزمتنا الحضارية**، ص:92.

(3) «النسيج الحضاري» من مفاهيم «نموذج الرشد»، ومؤداه: «أن لكل فرد أو مجتمع امتداد تاريخي وهو في نفس الوقت امتداد تاريخي لمن يأتي بعده، يعالج حركية الفرد أو المجتمع على خط الزمن؛ ومن ثم تؤثر هذه الحركية في هذا النسيج وتتأثر به»، ينظر: باباعمي، **الوعاء الحضاري**، ص:23-24.

(4) «حالة هزارفان» من مفاهيم «نموذج الرشد» ويعني: الحفر المعرفي الجاد والتحكم في ناصية التخصص ثم التحليق في سماء المعنى، والتحرر من الانغلاق داخل المعطى المحلي إلى المعطى الكوني؛ تأثيرا وتأثرا ضمن دائرة ثوابت الذات الحضارية ومتغيرات الواقع، ونسبت الحالة إلى هزارفان التركي الذي دفن في الجزائر، وهو أول من حلق بنجاح فوق نهر البوسفور، ينظر: باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:151-154.

الجامعات كافيا لمد جناحيه للتحليق، فبادر إلى نسج علاقات دولية لتأطير الطلبة وإدماجهم في سياق عالمي خصب يكتسبون العلم ولا يفقدون الخلق، فاختار وجهتين: تركيا وماليزيا، وسميت بعثتهم «الخلائف»؛ «وكان المقصد أن يتمثَّلوا صفات خلائف الله في الأرض، بما تحمله الخلافة من دلالات عميقة، عرفانية ومعرفية، حضارية وفكرية، لا مجرَّد شعار وادِّعاء، أو ظلٍّ للحقيقة وتزييف للمعاني»[1].

حظي «الخلائف» باعتبارهم تمثلا واعدا للفتى قبل إرسالهم إلى الجامعات الدولية بتكوين مكثف في معهد المناهج لمدة سنة، يجمع بين التكوين العلمي والمهاراتي والمرافقة الشخصية[2]، بعدها يُختار من هو مؤهل ليخوض التجربة ويتعلم منها، واستطاع المعهد أن يكون واسطة خير بين المحسنين الذين يجودون بأموالهم للتكفل بالطلبة وبين استغلال العلاقات الطيبة مع بعض الجامعات لتقديم منح مغرية، وقد ازدادت العلاقة تكثفا بعد النتائج الطيبة التي حققها هؤلاء الطلبة أخلاقا وعلما، فانطلقت الدفعة الأولى إلى تركيا في 2010، ووصل العدد إلى 70 طالبا في

(1) باباعمي، **أرباب المستوى**، ص:28-29.

(2) أنشئت لهذا الغرض بيوت للطلبة، اقتباسا من التجربة التركية، وهي «لمرافقة الطلبة الثانويين والجامعيين، وأضحت سياقا تربويا أخويا غير رسمي في بناء شخصية المتربي، وغالبا ما يكون بيت الطلبة إما شقة تضم ما لا يزيد عن 10 طلبة أو إقامة يتجاوز المقيمون فيها الأربعين طالبا؛ حيث لا يشكل بيت الطلبة بديلا عن الأسرة والوالدين»، ينظر: كوزي، **أزمتنا الحضارية**، ص:100.



2016 مع إضافة وجهة الصين، ثم توقفت العملية[1] وأصبحت عملية ذاتية يقوم بها الطالب لوحده دون حاجة للمرور بالمعهد.

---

(1) خسر النموذج بهذا بابا يستفيد منه الوطن لأن التكوين ومرافقة الطالب لم تكن تنتهي بمجرد إرساله إلى الخارج بل كانت هناك متابعة ومرافقة في بلد إقامته؛ حفاظا على سلوكه حتى عودته للوطن أو الاستزادة في العلم والعمل في السياق الدولي، على أن تبقى علاقته متينة بوطنه، فليس الهدف من الدراسة في الخارج الهروب والانسحاب من الإسهام في تنمية البلد، وقد كانت من نتائج هذه العلمية أن الطلبة الأوائل الذين أرسلوا إلى الدراسة في الخارج هم الآن مسؤولو مشاريع منها «الأكاديمية البحثية الدولية» لخدمات التعليم العالي في الخارج، و«أسطرلاب الصحي» للخدمات الصحية ومرافقة المرضى.

وولد في هذا الإطار مفهومان:

«ثلاثية الحفر، النسج، المدد»، وهو استمرار لمفهومين سابقين هما «الحفر المعرفي» (الحفر بحثا عن المنظومة)، و«النسج» الذي يؤكد أن شبكة العلاقات هي رأسمال المشروع، وما عبر عنها من خلال نظرية «الانبثاق والتولد» (ينظر مبحث زمرة المتحد العلمي في الفصل الأول)، و«المدد» لضمان إيجاد سياق خصب تنتج فيه المعرفة الأصيلة وتتواصل عملية التولد. لكني بعد بحث مضن لم أجد المقال الذي تناول الموضوع، لم أجده لا في موقع فييكوس نسخة 1.0 الذي أغلق بسبب مشاكل الحماية الأمنية لتعرضه للقرصنة، ولم أجده في الكتب المطبوعة، وهذا مؤشر إلى أن هناك بعض الأفكار والمفاهيم التي تم تطويرها أو إنتاجها لكن لم يتم توثيقها فضاعت؛ مما يشكل عائقا معرفيا في إنتاج المعرفة والتراكم المعرفي.

وثلاثية: «المرجعية، والفهم العقلاني، ثم الخضوع» في ضبط العلاقة بين المرجعية الفكرية والممارسة العملية، «أنَّ اتباع أيّ نظام يفترض «الخضوعَ الكامل، والتفهُّم العقلانيَّ، والتحقُّق من المصدر والمرجعية التي يؤسِّس عليها هذا النظام وجوده؛ ومن حيث الترتيب الإدراكيُّ تأتي المرجعيةُ أولا، ثم الفهم العقلاني ثانيا، ثم الخضوع الوجداني والفعلي أخيرا»، ينظر: باباعمي، **نسمات البوسفور** (33): «**المرجعية، والفهم العقلاني، ثم الخضوع**»: 14-06-2012، موقع فييكوس (1.0)، وكتاب **نسمات البوسفور**: 2014، ووردت هذه الثلاثية بصيغة أخرى: «المرجعية، والفهم العقلاني، ثم الانقياد»، باباعمي، **ذي قربتي**، ص:211.

لم تقتصر عملية التكوين المعرفي والمنهجي والفكري على الطلبة المتوجهين للخارج بل كانت هناك حلقات تداول ومطالعة جماعية للأساتذة والطلبة على السواء، ولكل من يهمه أمر الاستزادة في العلم ورفع الجهل عن نفسه وعن أمته[1]، فانطلقت «حلقة الدرس بنية العمل»[2] بداية من سنة 2012، وتجاوزت حلقاتها المئات، واستفاد منها خلْق كثير لا نملك لهم عدا، تراوح حضورهم في الحلقة الواحدة ما بين العشرة إلى الثلاثين، ووصل مرة إلى التسعين[3]، ثم كتب لها التذبذب في سيرها لا في التوقيت والتنظيم ولكن في الحضور وفي المشاركة التي كانت انعكاسا للمنسوب الثقافي العام الذي لم يكن في

(1) في سبيل رفع المنسوب الحضاري والثقافي في المجتمع، أبدع معهد المناهج فكرة «بطاقة كتابك» أو الاشتراك والدفع المسبق لمجموعة من الكتب قبل إصدارها، حيث تسعى إلى تحريك الإنتاج المعرفي وتوصيله إلى القارئ وإبقاء العلاقة متصلة بين الكاتب والقارئ، كما تشجع المؤلف إلى مزيد من الإنتاج الجاد بإيصال كتبه إلى القارئ أينما كان عن طريق «الدال على الخير» أو ما يسمى بـ«نقاط البيع»، وتسمى هذه الخدمة عند أصحاب الاختصاص بـ«التسويق المباشر»، وقد استفاد من هذه الخدمة حوالي ألف مشترك في عامي 2011-2012، إلا أن هذه الخدمة لم تتواصل. مقال: «بطاقة "كتابك" ... إبداع في عالم النشر والتوزيع بالجزائر»، 2011/06/06، موقع فيبكوس (1.0).

(2) يمكن الاطلاع على الحلقات في قناة veecos.tv على موقع اليوتيوب باسم «**حلقات الدرس بنية العمل**».

(3) إلا أن السؤال الجدير بالطرح هو: «هل فكرة "حلقة الدرس" بهذا الاعتبار، سيكون لها تأثير مناسب على ذاتنا الحضارية؟ أم أنها ستكون مجرد "حدث عابر" يولِّد الإعجاب والحضور الجزئيَّ، دون أن يلج إلى عمق "سؤال الأزمة" الحضاري؟»، باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:146.



عمومه مدركا لحيثيات التداول العلمي والنقاش المبني على الحجة والدليل والإحالة إلى المصادر، فبدأت حركية الحلقة في الخفوت إلى أن توقفت نهائيا واقتصرت على حلقات مطالعة داخلية للموظفين[1].

وقبل أن تصل الحلقة إلى هذه النتيجة كانت هناك محاولة لتعيين بعض الباحثين محور الحلقة وأساسها، حضورُهم هو الضمان للتداول ولسير الحركة، فأطلق برنامج «الباحث المتفرغ» للتكفل ببعض الباحثين المتفرغين الذين يزاولون أبحاث الماجستير فما فوق في إحدى الجامعات الجزائرية، تم التكفل بإقامتهم كاملة للسنة الجامعية 2014-2015، وقدمت لهم منحة شهرية لمدة سنة تبرع بها محسنون، وتم تفريغ خمسة منهم، مهمتهم تفعيل التداول والمناقشة فيما بينهم وبين آخرين، وسخرت لهم وسائل المعهد لمناقشة المواضيع وعرضها واستقطاب أساتذة وباحثين، كان هدف البرنامج «تحريك سياق بحثي جماعي خصب، بؤرة تركيزه الفكر والفعل، والحفر المعرفي، والتفاعل الفكري الجاد»، واستمرت التجربة لسنتين ثم توقفت أيضا[2].

---

(1) يقول د. محمد باباعمي: «كانت "حلقات الدرس" ولا تزال تجهِد نفسها محاوِلةً الجواب على سؤال صغيرٍ كبيرٍ، صعبِ المراس، بعيدِ الأثر؛ هو "سؤال الأزمة"، وهو سؤال "العلاقة بين العلم والعمل، بين الفكر والفعل"؛ وما كان للحلقات أن تدخل منطقة الروتين، ثم ما ينبغي لها تتحوَّل إلى مجرَّد تكديس للمعلومات، ولا إلى متعة بالمناقشات والمجادلات والحوارات؛ ذلك أنَّ "نية العمل" تحاصرنا وتعذِّبنا، وتستدعينا أن "نحقِّق النية" بالعزم والحزم»، باباعمي، مقال: «**حلقة الدرس بثوب جديد**»، موقع فيكوس (2.0) 2015/11/30.

(2) وضعت بعد ذلك صيغة أخرى في مسار المؤسسة: وهو التكفل ببعض الباحثين إقامة =

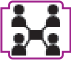
ورشات بوصلة المعنى.. إذا كان للتداول معنى

لم تتوقف محاولات «الفتى» في تجريب الوسائل لبلوغ حالة «المتحد العلمي» رغم الانتكاسات التي تصيبه في كل مرة في برامجه، فاقترح صيغة جديدة للتداول، فبادر إلى جمع بعض الأساتذة والباحثين حول إشكالية واحدة ودقيقة، لا تتطلب عمل أكثر من يوم مغلق أو يومين، ضمن برنامج «ورشة بوصلة المعنى»[1]، وما على المشارك سوى أن يحضر ورقته حول الإشكالية المحددة لعرضها في اليوم المعين ثم يعود إلى وظيفته وعمله، وأنجز الموضوع الأول بتاريخ 2016/11/26 حول: «إشكالية الصلة بين الفقه والفكر؛ بين الأحكام التكليفية والأحكام التكوينية»؛ إلا أنه لم تصدر كل الأعمال في الكتاب الذي نشر[2]؛ لأن بعض المداخلات لم تستوعب إشكالية الموضوع بدقة، ثم عقدت الورشة الثانية يوم 2017/01/28 في موضوع: «قراءة في كتاب

= ومنحة على أن يقوموا بمهام إدارية داخل المؤسسة، حيث يستفيدون من «المحيط» أو الجو داخل المعهد من وسائل عمل، وحراك فكري، واستمرت إلى غاية كتابة هذه الأسطر (2019)، على أن العدد لم يتجاوز الاثنين في العام.

(1) «ورشة بحثية فكرية مغلقة تعقد لمدة يوم أو يزيد للتداول حول إشكالية محددة تنبع من "سؤال الأزمة" (حركية الفكر والفعل)، يدعى إليها الباحث المهتم بالإشكالية والفاعل في إطارها، من خلال ورقة بحث تصف الإشكالية وتدقّقها، وتنتهي الورشة بـ"وثيقة مرجعية" يتم تحريرها في ختام اليوم (قد تضم موقفا فكريا، فتوى... إلخ)، وبـ"تقرير إعلامي" ينشر في موقع "فيبكوس" أو في غيره من وسائل الإعلام».

(2) **إشكالية الصلة بين الفقه والفكر؛ بين الأحكام التكليفية والأحكام التكوينية**، نشر كتابك، الجزائر، ط.1، 1438هـ/2017.



أصول الإيمان»[1]، بعدها «انقطع الاتصال» وتوقفت الورشات مع إبداء الاستعداد من بعض الباحثين للمشاركة إذا تم استدعاؤهم، ولكن في النهاية لم يتم استدعاؤهم.

بذور الرشد والمنطلق القرآني

تواصلت «رحلة الفتى» نجاحا و نكوصا، وهو يراجع النتائج ويربطها بالمقدمات[2]، وكان أثناء سيره دائم التذكير بالرسالة التي خطها، وبقي له شطر منها لم يستفرغ لها الجهد والوسع؛ ألا وهو «المنطلق القرآني»[3]، ورغم ما قدم من مبادرات إلا

---

(1) لم تنشر الأوراق، لأنه واجهتنا إشكالية تفاعل المشاركين مع الملاحظات التي تقدم لهم على أعمالهم بعد العرض لتقديمها للنشر، وكذا بعض المداخلات عبارة عن رؤوس أقلام يلقيها صاحبها خطابة يوم المناقشة. ينظر في هذا المعنى: حنفي؛ ساري وأرفانيتس؛ ريغاس، **البحث العربي ومجتمع المعرفة رؤية نقدية جديدة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط.1، 2015، ص:229.
وينتن مصطفى وباباعمي محمد، «**أصول الإيمان، التوحيد ووحدة الأمة**»، نشر دار الفكر ومؤسسة كتابك، دمشق - سوريا، 2017.

(2) عمل «نموذج الرشد» منذ تشكله بمبدأ «استدعاء الطاقة» فكان كلما وجد في طاقة داخلية القدرة على التحمل أكثر يزيدها مسؤولية ويكلفها بمهام؛ إما لإنشاء مشروع جديد، أو تحويل لسد ثغر شاغر، وهو ما كان مع إنشاء المدارس والتحويل بين المشاريع، وآخرها مع تخصيص باحث متفرغ لموضوع إنتاج المعرفة وتنظيمها، فكانت المهمة هي تنظيم الورشات المعرفية، والأيام المغلقة، وتنظيم جلسات الاستماع مع قامات علمية، ومتابعة الإصدارات الفكرية.. إلى غير ذلك من المهام ذات العلاقة بإنتاج المعرفة وتنظيمها.

(3) ينظر: كوزي، **المنطلق القرآني: أسئلة لا مفر منها**، مقال نشر في موقع فيكوس (1.0) بتاريخ 24-04-2010، ونشر في كتابه: **شروق وغروب، سمفونية فكرية لم تكتمل**، مؤسسة كتابك، الجزائر، ط.1، 1435هـ/2013، ص:49.

أنها لا تقارن مع الجهود التي بذلت مع أجزاء الرسالة الأخرى: «الإسهام» و«الترشيد» و«المنهج العلمي»، واستكمالا لجهوده في «الأيام المسورية البكرية» و«المطياف القرآني»، ومواصلة في البذور التي كان يلقيها في حلقات الدرس من خلال المطالعة في كتب التفسير والسؤال عن «نية العمل» بعد الفهم، استجمع التركيز وعقد العزم فأطلق مشروع «بذور الرشد»[1] رغم التهيب من الإقدام ما لم تكن هناك «جماعة علمية» تتولى العمل فيه[2].

لكن طال الانتظار؛ فعقدت جلستان لعرض الموضوع ومناقشته والمشاركة فيه بعد ذلك، ضمت الجلسة الأولى باحثين وأساتذة جامعيين، ثم جلسة ثانية ضمت العلماء المكرمين بوسام العالم الجزائري[3] وهم في فلكهم العالمي يسبحون ليكونوا إضافة نوعية للمشروع؛ ولكن لم تكن النتائج كما أمّله «الفتى»، فاقتنع بضرورة البدء وانطلاق العمل ثم تُعْرض العينة على المهتمين بالموضوع والمنشغلين به ليستفيد من ملاحظاتهم ونقدهم الذي يقدمونه لعمل يُنجز، لا على مقترح ينتظر التفعيل.

(1) كما أطلق الفتى مشروعا آخر هو «بذور الرشد» للسيرة النبوية، يقوم عليه د. طه كوزي، لكن الانشغال بتأسيس الجامعة البحثية حال دون التفرغ له والحفر فيه كما أمّل.

(2) ينظر: باباعمي، **في حب كلام الله**، ص:76.

(3) عُرِض عليهم المشروع، والموقع الذي أنشئ لإدراج المادة العلمية المقسمة إلى حقول وهي: «السؤال والإشكال»، «البذور»، «المفهوم والمصطلح»، «القواعد الكلية»، «الصور الإدراكية»، «التشغيل»، «التفعيل»، «مصادر للتكثيف»، «مشاريع بحثية». والموقع: https://roshdquran.net، كما أُصدر تطبيق للهاتف لتسهيل عملية التصفح على موقع: https://play.google.com.



وابتدأ «الفتى» العمل مستحضرا صورتين إدراكيتين[1]: «صورة البذرة» التي لا تدّعي الصلوحية في ذاتها، ولكن بمدى صلاحية محيطها وجدية العمل في الغرس والعناية بالتربة لتقدم للناس ثمرا وشجرا، و«صورة المنشأة المفتوحة» التي تحيل إلى العمل الجماعي وإلى العمل المتواصل غير المكتمل، وتحيل إلى أن المنشأة مفتوحة للجميع للمشاركة كل حسب قدراته الذهنية ومداركه المعرفية.

صفة المشروع أنه «عمل وجهد معرفيٌّ» لا يؤمن بالقطيعة مع الموروث؛ بل يعتبره ويبني عليه، وعند معالجة الآية ينطلق من خلفية نموذجه الفكري وهو البحث في حركية الفكر والفعل، والسؤال عن علاقته مع الآية من مدخل «نظرية العرض والتكليف»[2].

أَوْلى «الفتى» لتفسير كلام الله تعالى بحلول سنة 2017 أهمية قصوى؛ فاقتطع جزء مُهِمًّا من وقته لهذا العمل، فأنجز «التفسير

---

(1) م.س، ص: 77-78.

(2) من مفاهيم «نموذج الرشد»: نظريةٌ في مجال المعرفة بالخصوص، وفي البحوث الحضارية العملية، العرض، هو «أن تعرض أفكارك، واختياراتك، وأعمالك على رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلى الصحب الكرام واحدًا واحدًا؛ باعتبارهم المرجع والمعيار، والمقياس والمثال؛ ثم حملُ مَن معك لتمثُّل هذا العرض في الفكر والسلوك، والعلم والحركية». أمَّا التكليف، فهو «قراءة سيرة المصطفى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنظر إليها، في كلياتها وجزئياتها، على أنها تكليفٌ لنا؛ ولا يعني التكليف، الأحكام الفقهية الشرعية فقط؛ ولكن كذلك الأحكام التكوينية، في كافة مناحي المعرفة والحياة».
نشر المفهوم أول مرة ضمن بحث «القواعد الكلية لفقه الحضارة من خلال السيرة النبوية» محاضرة سيدني ومالبورن، أستراليا؛ فيفري 2013، ونشرت في موقع فيبكوس. ينظر: باباعمي، **في حب كلام الله**، ص: 83-84.

الميسر» للسور من الرحمن إلى الناس، وطبع منها لحد الآن ثمانية أجزاء (من الرحمن إلى التحريم)، على أن يصل عدد الأجزاء عند سورة الناس إلى ستة عشرة جزء، ثم تأتي مرحلة «التفسير المكثف» الذي يتعرض لمواضيع السورة الواحدة (اجتماعية، شرعية، نفسية، علمية،..) بطريقة تفصيلية عن طريق المقالة العلمية الدقيقة والمركزة، يشارك فيها المتخصص في ذلك المجال (باستدعاء «العقل الجمعي»)، بعد أن كان العمل في الميسر بطريقة الفقرات القصيرة المحددة غير المتشعبة في المعنى والشرح.

اتخذ المشروع طريقا آخر للتداول وهو تجهيز العمل ثم توجيهه إلى من يستأنس منه التفاعل والتداول ليقدم ملاحظاته على ما أنجز، ثم يقدم إضافاته التي يرى أنها لم تدرج في التفسير، فتم الاتصال بـ30 باحثا أكاديميا للمشاركة، ولكن للأسف لم يتجاوز عدد المشاركين من هؤلاء الخمسة، ولم يتجاوز عدد الذين ردوا على الطلب الثمانيةَ لا بالسلب ولا بالإيجاب، مما يطرح تساؤلات كثيرة حول مشكلة التداول المعرفي في مثل هذه السياقات هل هي مشكلة معرفية، أم نفسية، أم أنها تقنية، أم أن هناك أسبابا أخرى؟[1]، ويبقى البحث عن أنجع السبل لإقناع

(1) يقول أحد الباحثين الذين تمت مراسلتهم: «لقد اطلعت على مشروع «بذور الرشد» وتعرفت على الخريطة التي يسير عليها، وتبين لي بصدق أن القائمين عليه يحملون هما ثقيلا على عاتقهم إشفاقا، وهم يحاولون «استدعاء العقل الجمعي»،.. ثم يعتذر عن المشاركة بقوله: «تبين لي أيضا، بلا تصنع ولا تكلف، أنني أبعد ما أكون عن تفسير كلام الله تعالى، وأنا بهذا الموقف، يشهد الله، لا أريد أن أثبط العزائم الحية، =



الباحثين الملتزمين حدودهم مع كلام الله تعالى للمشاركة في هذا العمل الذي يعتبِر أن طرح السؤال مع كلام الله تعالى أولى الخطوات للتعامل معه، ثم مقاربة الجواب «النسبي» والاعتراف بكبر دائرة المجهول على حساب دائرة المعلوم مع التمكن في التخصص هو المنفذ لولوج هذه العتبة جماعيا، فهل سنشهد هذا اليوم؟

3 مؤسسة وسام العالم الجزائري

رأى «الفتى» فيما يراه النائم، أنه كان ممن شهدوا حفل تكريم علماء الجزائر في شتى العلوم: إنسانية وتقنية، وقد كانت قيمة الجوائز التي منحت رفيعة القدر رفعة أهل العلم الذين زينوا الحفل، أما «جائزة القرن» فقد منحت مناصفة بين عالمين جزائريين أحدهما في «الدعوة والفكر والحضارة» والآخر في «الآلية والحركية»، وتميز الحضور بنوعيته؛ حيث جمع خيرة رجالات الجزائر: من علماء ومسؤولين، وبعد الحفل أمّ المصلين في صلاة المغرب شاب مجود، فقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: 43-44]، فاستفاق الفتى هلعا فزعا.

استفاق «الفتى» لا ليجد نفسه أمام التلفاز والجوائز تغدق

= التي لن يهدأ لها بال ولن تجد الراحة ولا يحلو لها نوم، حتى تكشف عن الآليات اللازمة والمناهج الفعالة والوسائل الممكنة التي تحمل المسلم، حيث ما كان، حين يقرأ الآية من القرآن الكريم، أن يحولها إلى طاقة إيجابية تصنع التغيير».

على السفاهة فقط[1]، ولكن وجد نفسه عند الطبعة الحادية عشرة من حفل يقوم به بنفسه، فقد تحول من راء مفرد لأحلام إلى مجموع صانع لحقيقة منحت الأمل للعالِم والعامل على السواء.

لقد بقي هذا الحلم في عقل الفتى فكرة تختمر، وهمًّا حضاريا يسائله، حتى جاءت لحظة افتتاح معهد المناهج في 2007/05/02، فعاودته فكرة اختتام السنة الدراسية بأيام النقد في المدرسة العلمية، واستشار الإدارة في أن يكون حفل الافتتاح هو مناسبة لتكريم عالم من علماء الجزائر، وهو ما لاقى التأييد والموافقة، فتم اختيار عالمين لهما رمزيتهما في «خريطة العِلْم الجزائري»؛ «شيخ المؤرخين» أبو القاسم سعد الله و«زينة العلماء» الشيخ الناصر المرموري[2]، فتم تكريم الأول، ولم يتم الثاني لعذر ألمَّ الشيخ المرموري.

بدأ التكريم في قاعة صغيرة بمعهد المناهج تستوعب 70 شخصا، لكن القاعة امتلأت بالحضور ووصل عددهم في ذلك اليوم إلى حوالي 120 شخصا، وشارك في التنظيم أعضاء المشاريع: من مكتب الدراسات والمدرسة العلمية، ودار القرآن مالك بن

---

(1) ينظر تفصيل هذه الرؤيا المؤرخة بـ:جانفي 2000 في مقال: «كل عام وعلماء الجزائر بخير»، باباعمي، **بورصة الصراحة، حضور صحفي من عمق وعائنا الحضاري**، نشر مؤسسة كتابك، الجزائر، ط.1، 1433هـ/2011، ص:38.

(2) صدر بالمناسبة كتاب «**مطارحة معرفية مع بابا الفاتيكان**»، ووزع على الحضور وفيه «إهداء: إلى الشيخ محمد ناصر المرموري، زينة العلماء، والأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله شيخ المؤرخين»، ينظر: باباعمي، **مطارحة معرفية مع بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر ومقالات أخرى في القرآن والمنهج والفكر**، نشر معهد المناهج وثريا للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:1، 1428هـ/2007.



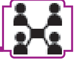
نبي، وغيرها من المشاريع التي كانت موجودة في ذلك الوقت، واليوم بعد إحدى عشرة طبعة وصل عدد الحضور إلى أكثر من 1400 شخص بل وأغلقت أبواب القاعة في وجه بعضهم لدواع أمنية تمس سلامة الحضور وطاقة الاستيعاب، وأطّر عملية التنظيم طلبة جامعيون متطوعون بإلحاح منهم وصل عددهم 70 طالبا.

مؤسسة وسام العالم الجزائري تنشط في المجال العلمي والثقافي[1]، تهتم بتكريم العلماء والشخصيات العلمية والثقافية، تتمثل قول الله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: 11]، تسمّت باسم الجائزة التي تقدمها لكل من حمل حب الوطن هما بين حناياه وعملا يقدمه بين يدي ربه؛ فترك آثارا طيبة ينتفع بها عباد الله في الجزائر وخارجها؛ فكرا وعملا، تتخذ من ألوان الطيف خيارا لصورتها، ومنهجا في تعاملها؛ فلا تؤمن بالاختزالات والاستقطابات، ما لم تؤد إلى انغلاق على الذات وإلغاء لاحتمال وجود اختلافات، فلا فصل لها ما بين «ديني ودنيوي»، ما بين «إنساني» و«طبيعي»، وما بين «محلي» و«دولي»[2]،

---

(1) ترسّمت كمؤسسة في 18 ذو الحجة 1434هـ/23 أكتوبر 2013، بموجب المادة 49 من القانون 12-06 المؤرخ في: 18 صفر 1433هـ/12 جانفي 2012 المتعلق بالجمعيات. تتكون هيكلتها من د. محمد باباعمي مشرفا عامّا على المؤسسة، د. طه كوزي رئيسا، جابر ناصر بوحجام عضوا، ومحمد باحماني الراعي وهو المتفرّغ للمؤسسة إدارةً وتسييرًا، يساعده طالبان، كما يتمّ استدعاء الطاقة من معهد المناهج والمشاريع الأخرى عند اقتراب موعد الحفل للمساعدة.

(2) تنوّعت أسماء المكرمين وانتماءاتهم الجغرافية، والتخصصية بمرور السنوات: **الطبعة 1** (2007): أ.د. **أبو القاسم سعد الله** (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) «شيخ المؤرخين وقدوة الباحثين»، **الطبعة 2** (2008): «الأديب الشاعر» **أ.د. محمد صالح ناصر** «حياة جهاد.. =



بل كل متكامل كما خلق الله هذه الحياة[1].

ما كان لهذه المؤسسة الخيرية الطابع أن تقف على رجليها لو لم يقم عليها رجال مخلصون آمنوا بالفكرة فدافعوا عنها، اقتنعوا بها ودعموها؛ فمثلوا حقيقة الفتى حق التمثيل، منهم العلماء العامِلون ضمن «معهد المناهج»، وفي «الجامعات الجزائرية» عموما، ومنهم الشركات والمؤسَّسات التجارية الداعمة، ومنهم

= في رحاب الله» و«الفيزيائي الفلكي» أ.د. **جمال ميموني** «رائد تبسيط العلوم»، **الطبعة 3** (2009): «الأديب الصحفي» أ. **محمد الهادي الحسني** «رائد الوسطية والاعتدال» و«الفيلسوف المؤمن» أ.د. **عبد الرزاق قسوم** «هبة الله للجزائر»، **الطبعة 4** (2010): «العالِم العامل» أ.د. **سعيد بويزري** «رجل الصلح وخادم الإسلام»، **الطبعة 5** (2012): «عالِم الرياضيات» أ.د. **محمد بولنوار زيان** «العالم، ضمن جماعة علمية»، **الطبعة 6** (2013): «العالِم العالمي» أ.د. **كمال يوسف تومي** «مخترع، بلبل القرآن، أمل الجزائر» و«الفقيه المصلح» **الشيخ عبد الرحمن بعموري** «خضر العلم، سلطان الحكمة، عبقرية صحراء الجزائر»، **الطبعة 7** (2014): «العالِم بروح العابد» **أ.د. أحمد جبار** «تاريخ العلوم منصة الحضارة»، كما كرّم فريق البحث العلمي لجمعية التراث «مكابدة نحو جماعة علمية»، **الطبعة 8** (2015): «العالِم في خلقه» **أ.د. بلقاسم حبه** «شرف الجزائر، صاحب الألف اختراع»، **الطبعة 9** (2016): «الحكيم المربي» **أ.د. بن عيسى عبد النبي** «فراسة مؤمن، وجراحة خبير»، **الطبعة 10** (2017): كانت وقفة تكريمية لصاحب دار الفكر الذي نشر أعمال «مالك بن نبي» أ. **محمد عدنان سالم** «رائد النشر في العالم الإسلامي»، وتكريم للمعلم الجزائري «بذرة الخير، وغَد الجزائر» في شخص 8 معلمين ذكورا وإناثا من مناطق الجزائر المختلفة»، **الطبعة 11** (2018): «خبير ميكانيك الموائع» **د. جمال لكحل** «أنا جزائري، جبال الأوراس على كتفي».

(1) ينظر: مؤسسة وسام العالم الجزائري، الكتيّب التعريفي بمؤسسة وسام العالم الجزائري، 2018. وينظر موقع المؤسسة: http://algerianscholaraward.org



مؤسسات وطنية عمومية، فأن تصل جائزة علمية ثقافية ذات طابع خيري لأن تحقق الطبعة الحادية عشرة من برنامجها السنوي، فإن هذا في السياق الحضاري المتأزّم يعد تحديا وأكبر إنجاز، مع بعض المثبطات التي تعرضت لها المؤسسة والتي لا يخلو منها أي فعل حضاري.

وتبقى «الجائزة العلمية» مؤشرا على قدر العلم في ذلك البلد، فكلما علت قيمة الجائزة ماديا ومعنويا، وكلما ارتقى المستحقون لها في السلم الاجتماعي احتراما واهتماما وحضورا؛ كلما دل أن العلم نشط وأنه القائد للمجموع، ويبقى السؤال الذي يطرحه الفتى على نفسه: هل فكرة «وسام العالم الجزائري» ستحمل بذور مُصالحة مع الذات الحضارية لجميع الفاعلين في حقول المعرفة الولود، بمقتضى الواجب والمسؤولية وبحكم ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ﴾ [التوبة: 122]؟ أم أنها ستتجمَّد حدثا سنويًّا هاما، مثيرا للكثير من الفضول الإعلاميِّ والطلابيِّ والجماهيريِّ، ثم تُطوى مقاصده مع آخر لوحة تطوى من قاعة الاحتفال؟[1]

حركية العالم...

بعد سنوات من بداية هذه الجائزة، التفت «الفتى» إلى ما حوله، فاكتشف أن العالم الجزائري إنسان متواضع جنى على نفسه، فأصبح عاديا في بيئته، لا يستفاد منه كما يرغب هو، فهو لا يشير إلى نفسه ليقول ها أنذا ولا يستطيع أن يتجاهل وطنه فلا يقدم شيئا، فحاول الفتى أن يضيف ميزة إلى التكريم،

(1) باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:146، 171.

وأن يتحول من الاحتفال السنوي إلى متابعة «حركية العالم» وخدمته، فاقتصر في البداية على المكرمين بالوسام، متتبعا نشاطاتهم العلمية[1] في الجامعات والمؤسسات الجزائرية، بل وسافر معهم، كل ذلك معتمدا على نفسه، وبرمج لهم محاضرات وتكوينات داخل معهد المناهج وخارجه، ولكن الحركة كانت أكبر من طاقة الفتى، فانقطع به النَّفَس، ووجد نفسه يجدّف بيديه في محيط، فما كان منه إلا أن يركز جهده مرة أخرى على التكريم وما يستتبع ذلك اليوم من تحضيرات تصل إلى 4 أشهر قبل الحفل[2]، وشهرا أو كثر بعده.

---

(1) قام الفتى في إطار مؤسسة وسام العالم الجزائري بتأسيس نشرية ثقافية شهرية، مرخصة من وزارة الاتصال، بتاريخ 18-02-2015، عيّن لها إعلاميا متفرغا وسخّر لها الإمكانات المادية القادر عليها، سماها «**إسهام** (النصف الممتلئ من الكأس)» تتبّع نشاط العلماء المكرّمين ابتداء، وتتبّع نشاط الحركة العلمية في الجزائر، كما تقوم بدور عرض الأخبار الإيجابية في الجزائر وهذا بداية من مارس 2015، فصدر منها 5 أعداد ثم توقفت.

(2) يقوم فريق المؤسسة (**الفتى**) بعقد لقاءات وجلسات واستشارات لتحديد المكرم لتلك السنة، وبعد تحديده تبدأ مرحلة المفاوضات لإقناعه باستحقاقه للتكريم، ونشهد أن جلّهم رفض التكريم في البداية واعتبر نفسه غير مؤهّل لاستلامه، وبعد الموافقة تبدأ إجراءات تسجيل حصص تعريفية بحياته والبيئة التي نشأ فيها، وتسجيل شهادات حيّة عنه ممّن عايشه، وقد يكون العالم نشأ في أكثر من منطقة أو أنه ينشط في الخارج فيكون الفريق مضطرا لزيارة تلك المناطق للتسجيل وتقريب صورة حياته للحضور في الحفل. كما يستتبع إجراءات الحفل البحث عن المساهمين والمموّلين على ما في هذه العملية من صعوبات في الإقناع، لأن الجائزة علمية وليست فنية أو رياضية، كما أن المؤسسة ترفض أن يحتكر التمويل اسم واحد، فالمؤسسة شعبية لها قاعدتها. ومن الإجراءات أيضا تحضير جائزة الوسام وجوائز المساهمين، وكذا اختيار قاعة الحفل وحجزها.



خريطة العلم الجزائري...

لا زال «الفتى» يراود إنتاج المعرفة ذات البعد المرجعي التي تؤسس للمعايير والمقاييس في ظل تشوهات ابستيمولوجية أصابت المعرفة في زمن ما بعد الحداثة أو «زمن السيولة»؛ فقد بات التحدي الذي يواجه الفكر الملتزم هو في وضع المبادئ والذود عنها ثم تبليغها ليتشكل المنسوب العام، واستغلالا لحركية مؤسسة وسام العالم الجزائري التي أصبحت مؤسسة معيارية تمنح العالم المكرم من خلالها اعترافا وطنيا بل عالميا[1] بشخصيته وإنتاجه المعرفي، فكّر «الفتى» في استحداث موسوعة علمية تضم علماء الجزائر أو الذين تركوا الأثر الطيب في الجزائر من غير أبنائها وفق معايير يضعها بصدقية وكل شفافية.

«خريطة العلم الجزائري» اتخذت من «نموذج الرشد» خلفيتها الفكرية ومنطلقا لاختياراتها ومقاييسها، فاشترطت في الذين يُضَمّون إلى هذه الموسوعة: الالتزام بالرؤية الكونية التوحيدية وما يستتبعها من التزام خلقي غير مجاهر بخلافه، مع التأكيد على خدمة الوطن والأثر الطيب؛ تمكنا معرفيا، وانضباطا منهجيا، وتجاوزا لحالة الوظيف المغرقة إلى الإنتاج العلمي الأصيل، مع سعة في الأفق وعدم التخندق وإقصاء الآخرين، وعدم اعتبار

(1) كما قال أحد المكرّمين وهو البروفيسور بلقاسم حبه للمكرم الجديد (البروفيسور جمال لكحل) بعد نهاية الحفل، انتظر تغيّرا في علاقتك بالناس بعد هذا التكريم، كما أن إحدى الجامعات الأمريكية التي يشتغل فيها أحد المكرّمين قامت بنشر تقرير الحفل باللغة الإنجليزية في موقعها.

الحق المطلق من جانب واحد[1].

بعد دراسة لبعض الموسوعات التي أنجزت سواء منها العالمية والمحلية، باللغات الثلاث تبين اختزال عملها في بعد دون آخر، إما بسبب التخصص العلمي (أدبي أو تقني)، أو بسبب اللغة (مثلا قاموس الكتاب الجزائريين بالفرنسية)، وأعمال اتسمت بعدم الدقة والإخلال بالترجمة، وبعض الأخطاء التاريخية، وهناك منها ما نقل حرفيا من موسوعات أخرى، كما أن هناك أعمالا جادة لكنها غير محيّنة وقديمة.

«خريطة العلم الجزائري» عمل مرجعي يجمع تراجم العلماء الجزائريين الأحياء، أو الذين توفّوا بعد سنة 1990[2] ـ دون شرط استيفاء كل الأسماء ـ تبعا لمعيارية «نموذج الرشد»، وتجمع بين ثناياها التخصصات المعرفية دون فصل أو تقييد، اتخذت من اللغة العربية لغة التحرير بداية، على أن تترجم إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية لاحقا.

---

(1) تقرير الجلسة لخريطة العلم الجزائري (أرشيف).

(2) اختيار سنة 1990 باعتبار أن هذا التاريخ وما بعده هو ثقب أسود في خريطة العلم الجزائري، فقد شهدت هذه السنوات هروب الكثير من الأدمغة الجزائرية وتهريبها إلى بلدان استفادت من طاقتها، ووظّفتها في إنجازاتها، فتتحدث الإحصائيات عن 71500 خريج جامعي هاجروا من وطنهم الجزائر إلى فرنسا وأمريكا الشمالية خلال الفترة الممتدة بين 1994 و2006، دون الحديث عن الطلبة والباحثين الذين تنقلوا خلال دراستهم الأكاديمية إلى الخارج وتخرجوا هنالك. قسوم؛ أحمد، محاضرة: «**هجرة الأدمغة**»، جمعية القلم - دار الثقافة حسن الحسني، المدية - الجزائر؛ 2011-04-16.



خشي «الفتى» من توقف العمل فجأة بعد بدايته، فطرح السؤال في جلسته الأولى لمناقشة هذا العمل: أن هذا العمل الموسوعي ليست له حدود يتوقف عندها بل هو عمل متجدد يحتاج إلى طول نَفَس، فكيف السبيل للحفاظ على مواصلة العمل وعدم انقطاعه؟ كان هذا السؤال مشروعا؛ فقد توقف العمل بعد 3 أشهر من بدايته، حقق فيها 800 ساعة عمل بمعدل 99 ساعة عمل في الأسبوع، وشارك في العمل 15 موظفا في معهد المناهج[(1)]، وأنجزت 240 بطاقة عَلَم من مختلف التخصصات، بمساعدة قاعدة البيانات التي أنجزت لإدارة العمل[(2)]، على أن هذا المشروع لازال يراود الفتى ليخرجه في طبعة أولى، ثم تبنى عليه طبعات أخرى قادمة بحول الله[(3)].

عمَلُ «الفتى» في هذه الموسوعة قد يكون مثل الموسوعات الأخرى؛ من حيث حقول الترجمة: الاسم الكامل، المسار الدراسي، الثمرات العلمية، التكريمات، أما ما أضافه فهو «الثمرات العملية» (تلاميذ كونهم، مشاريع أنجزها.. إلى غير ذلك)، كما أضاف حقلا هو جوهر القاعدة؛ إنه «الصورة القلمية» وكأن الموسوعة من خلال هذا الحقل تضع ملامح هذا العَلَم باختيار بعض من مقالاته أو اقتباس له أو وصف عنه؛ من خلالها تنطبع صورته

(1) تكون الفريق أساسا من: د. محمد باباعمي، ود. طه كوزي، وجابر ناصر بوحجام، في التحرير والبحث، واستدعي باحثون آخرون للمساعدة في البحث.

(2) ينظر: خريطة العلم الجزائري (نموذج قاعدة البيانات) في أصل هذه الدراسة.

(3) تقارير الأيام المغلقة حول خريطة العلم الجزائري (أرشيف).

في الذهن دون حاجة لحفظ سيرته أو تذكر المعلومات عنه.

لقد استفاد «الفتى» من العمل هو نفسه لأنه أمده بخريطة العِلْم في الجزائر إلى حد ما، فاكتشف مدى جهله بنَسَب العِلْم في وطنه، وتَقَرّب إلى الكثير من الأسماء التي كان يجهلها فكانت التجربة أعظم فائدة له.

4 الإسهام والمعطى الكوني

(أ) • المعهد العالمي للفكر الإسلامي وتأصيل المعرفة

تغيرت رسالة «الفتى» فتغير معه الفعل الحضاري، «فالإسهام» فتح الآفاق أمامه أوسع مما كان، وأصبح الاطلاع على تجارب الآخرين بندا أساسيا في تحقيق رسالته، واختار وجهة المعهد العالمي للفكر الإسلامي محطا لدراسة التجربة، والاستفادة منها، والإضافة المعرفية إليها كذلك.

تميز «المعهد العالمي للفكر الإسلامي»[1] بريادته البحثية التأصيلية للمعرفة، وتميز باستقطابه لقامات علمية لها وزنها في الفكر الإسلامي إضافة للمؤسسين الذين حملوا الفكرة وأوصلوها إلى الآفاق، فمثل نوعا من «جماعة علمية» في سياق العلوم الإنسانية، تستمد روحها من الرؤية الكونية التوحيدية، وهو ما

---

(1) هو مؤسسة فكرية علمية خيرية مستقلة، تعمل في ميدان الإصلاح الفكري والمعرفي، تأسست سنة 1981 في الولايات المتحدة الأمريكية، أسسه إسماعيل راجي الفاروقي، وعبد الحميد أبوسليمان، وطه جابر العلواني وغيرهم، وتسعى المؤسسة إلى بناء رؤية إسلامية شاملة، تستهدف بلورة نظام معرفي إسلامي ومنهجية إسلامية، الموقع: iiit.org.



جعل الفتى يتقرب منها باعتبارها نموذجا يمكن الاستفادة منه في بلورة «نموذج الرشد»؛ تكوّنا وتعلما، ثم تنسيقا وتعاونا.

شارك «الفتى»[1] في دورة المنهجية الإسلامية التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي في القاهرة في 2008، وهي الدورة التي كان من المفترض أن يلتقي فيها الفتى بأحد معالم «نموذج الرشد» «الدكتور عبد الوهاب المسيري» رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكن الله اختاره لجنبه في نفس السنة قبل أن تعقد الدورة، وكانت الفرصة للوجود ضمن سياق علمي آخر، كان ضروريا للفتى لتزداد خبرته من خلال مناقشة الأفكار التي يحملها، واختبار مدى قدرتها في الإجابة على أسئلة واقعه.

لم يكن «الفتى» منبهرا مستسلما للتجارب التي تعرض أمامه؛ بل كان مثمّنا للجهود مناقشا للأفكار، فقدم جملة من الأسئلة لرواد المعهد يمس جوهر الإشكال الذي يبحث فيه وهو الحديث عن «الجماعة العلمية»؛ من مثل: هل يشكل المعهد العالمي «جماعة علمية»؟ وهل هناك أبحاث درست «ماحول» المعهد من حيث الأعمال النقدية لأعضاء المعهد فيما بينهم كيفا ونوعا؟ وهل عايش أصحاب المعهد حالات نفسية من القلق، وكيف تم تجاوزها؟ أليس المعهد بحاجة إلى التأريخ لمفاهيمه ومصطلحاته لتترسم لغته وتوحد أسسه؟[2]

---

(1) حضر الدورة كل من د. إبراهيم بحاز ود. محمد باباعمي.

(2) ينظر مقال: **هل المعهد العالمي جماعة علمية جديدة؟**، باباعمي؛ محمد، سلسلة خلاصة المعنى 1: **العلم والعالم في نظرية العلم والإدراك**، نشر مؤسسة كتابك، =

مسرد مفاهيم المعهد العالمي للفكر الإسلامي

انتقل «الفتى» في علاقته بالمعهد العالمي من التلقي إلى المشاركة الفعالة، فبناء على تجربته وخبرته التي اكتسبها من «معجم أعلام الإباضية» ومن «معجم المصطلحات الإباضية»، وجد الحاجة ماسة إلى «تأسيس عمل موسوعي يرصد ما أنتجه المعهد [العالمي] من مفاهيم في مسيرته؛ تكون خطا بيانيا يدل على حياة المشروع، وينبه إلى الأخطار المحدقة به لتتفادى، ويشير إلى المكتسبات التي حققها لتنمّى»[1].

قدم «الفتى» ورقة المشروع عن طريق مراسلة إلى المدير التنفيذي للمعهد العالمي د. فتحي حسن ملكاوي[2] وطلب لقاء تنسيقيا بين معهد المناهج والمعهد العالمي لعرض الفكرة وضبط الخطوات، وقد اشتملت الورقة على 15 صفحة تناولت التعريف بتفاصيل المشروع من حيث العلاقة بين المؤسستين ومسؤولية كل طرف، وفريق العمل، والمخطط الزمني للإنجاز والتفاصيل المادية، وعقد الفتى أياما دراسية «أيام غار امجماج» لعرض المشروع ريثما تحصل الموافقة من المعهد العالمي.

انطلق «الفتى» في العمل وبدأت تتجمع لديه المادة العلمية،

= الجزائر، ط.1، 1435هـ/2014م، ص:115.

(1) باباعمي، ورقة عمل: «مسرد مصطلحات ومفاهيم المعهد العالمي للفكر الإسلامي»، 2008 (أرشيف).

(2) المراسلة من محمد باباعمي إلى فتحي حسن ملكاوي، بتاريخ: 18-08-2008 (أرشيف).

لكن المشروع توقف بعد برهة لعدم استيفاء بعض بنود الاتفاق، فصرف الفتى النظر عنه، وبقي سؤاله عالقا: «هل المعهد العالمي للفكر الإسلامي "جماعة علمية"»؟

(ب) • «الأكاديميا باعتبارها جماعة علمية»

جرب «الفتى» في مسيره الهجرةَ القصيرة المحدودة خارج وطنه، للتفرغ للعلم وإنتاج المعرفة ومعاينة التجارب عن قرب؛ مستحضرا نموذجه المعرفي و«سؤال الأزمة» الذي يؤرقه؛ فجرب الإقامة في سوريا لمدة ثلاثة أشهر في صائفة 2007، وهناك كتب «المقالات الدمشقية»[(1)] ومؤلفا لازال مخطوطا وهو «المرجعية من السياق المحلي إلى المعطى الكوني»، وفي صائفة 2009 سافر إلى كندا ودرس التجربة التربوية ضمنها في سلسلة مقالاته: «تجليات كندية»[(2)]، كما جرب الإقامة بتركيا[(3)] صائفة 2010 لمدة 3 أشهر[(4)]، درس خلالها تجربة الخدمة وألَّف «البراديم كولن: فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء «نموذج الرشد»، وكان قبل ذلك تفرغ للتكوين والحصول على الإجازة في القرآن من

---

(1) ينظر: باباعمي، **من بنات الأسفار**، ص:37 وما بعدها.

(2) م.س، ص:69 وما بعدها.

(3) ابتدأت مرحلة التعرف بالخدمة في 13 مارس 2006 بزيارة إلى بعض مشاريعها، وهي نفس الفترة التي تم ربط العلاقة مع فريق «هارون يحيى»، وأنجزت أعمال مشتركة من مثل ترجمة الموقع الرئيس إلى اللغة العربية وبعض الأعمال الأخرى، لكن بعد مرور حوالي ثلاث سنوات تم قطع العلاقة بعدما تبيّن وجود شبهة حول نشاط هذا الفريق، وهو ما تأكد في سنوات لاحقة.

(4) سلسلة مقالات «**فاتح القسطنطينية**»، **من بنات الأسفار**، ص:103 وما بعدها.

سوريا في 2005[1]، وبعدها افتتح قسم الإجازة الذي لازال يخرّج المجازين رغم غلق مكتبه.

وأطول هجرة للفتى كانت لثلاث سنوات إلى تركيا والتفرغ للبحث بمؤسسة أكاديميا للبحث العلمي، من صائفة 2011 إلى صائفة 2014، خصصها لدراسة تجربة الخدمة في حركيتها وتفعيلها للفكرة وتحويلها إلى مشاريع قائمة، فسؤال «حركية الفكر والفعل» هو المؤطر لخيارات «الفتى» في الوجهة، فقد كان «في وطنه عزيزا مكرَّما، لم يكن قابعًا، ولا ناقمًا، ولا تائهًا، ولا باحثًا عن وظيفٍ أو حظوة، ولقد يسَّر الله أمره وأحسن مثواه، بفضل منه ومِنَّةٍ وكرمٍ... وكتبَ له أن يحظى برفقة «جماعة أو مجموع»، وأن يتحرَّك ضمن «نسق خصب»، كان هو أحدُهم، ولم يكن أفضلَهم»[2].

حاول «الفتى» أن يدرس «الأكاديميا» باعتبارها «جماعة علمية» من مدخل علم اجتماع العلوم الكلاسيكي الغربي؛ فوجد أن البون شاسع وأن الاختلاف لا يكمن في المظهر والتنظيم بل يمس الأبعاد المعرفية الإبستمولوجية، والقيمية المعيارية[3]، فاستعاض عن الصرامة المنهجية الموضوعية الموهِمة بالكتابة الذاتية الصادقة، بنظرة معرفية عقلية ووجدانية، فترك لتأمله الحرية ولملاحظاته العفوية ولكتابته الصدقية، فكتب عن خمس

(1) حصل عليها طه كوزي في صائفة 2005.

(2) باباعمي، **أرباب المستوى**، ص:26.

(3) ينظر: م.س، ص:198.



محاور تسم هذه الجماعة العلمية: الأكاديميا أو الوادي المقدس، والخلق النادر المثال، والانسياب والسلاسة، ومفهوم الهجرة، ورهافة الحس والذوق الفني.

لم يكن «الفتى» ليمر مرور الكرام على «نزع الحذاء» عند مدخل الأكاديميا، فقد اعتبره عنوانا للتجرد من كل ما يمنع استقبال نور السماء «الوحي»، من ذنوب ومعاص قد تمنع البركة والتوفيق من عند الله العليم الخبير، لذا فإن «نموذج الوادي المقدس»[1] معيار أساس في تأسيس «الجماعة العلمية» من منظور الرؤية الكونية التوحيدية، وهذا المعيار مرفوض في المنظومات الأخرى، وقد طبق الفتى معيار «الوادي المقدس» على معهد المناهج باعتبارها مؤسسة بحثية؛ فالباحث ينزع حذاءه عند دخول المعهد، ويستطيع أن يصلي وأن يبحث في أي مكان شاء، ويبقى دعاء الفتى أن يوفقه الله أن يصبح سببا ليتجرد هو وكل من يدخل حرم المعهد من الذنوب والمعاصي.

ومن معايير «المتحد العلمي» بعد التوحيد والإيمان، والتي رأى الفتى تجلياتها لا خفاياها؛ «الخلق الأحمدي» سجية لا تكلفا، فقد وجد الفتى نفسه محاطا بشباب يجدون سعادتهم في خدمة الآخرين، فالباحث الذي يسعى لأن يجد الجو العلمي

---

(1) نموذج الوادي المقدس: اشتراط العلم أن يكون لأجل الوصول إلى اليقين في الله تعالى، وأن يكون اليقين محفزا شاحذا للهمّة السامقة من أجل اكتساب العلم النافع، في تداول حلزوني لثلاثية (العلم. اليقين. العمل)، وهذا مؤدّى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾.. والعلم بدلالته الشمولية، يعني العلم القلبي الفطري الفكري، الموصل إلى معرفة الحقّ، حقَّ المعرفة.

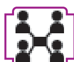
للإنتاج في هذا «الوادي المقدس» يجد أيضا الراحة النفسية وصفاء السريرة التي تشرح الصدر وتحفز على العمل، وهي علاقة قيْميَّة تجمع بين شفافية القلب ونتاج العقل، مِن معرفةٍ وعلمٍ؛ إنها علاقة متكافئة ثنائية الاتجاه بين العلم والتقوى؛ على أن لا يُقصر العلم في جانبه التجريبي الماديِّ فقط، وأن لا تُحصر التقوى في الشعائر وكفى[1].

ومن المعايير الأخرى التي استنبطها «الفتى» من هذه العلاقة ما يمس تجربته الشخصية عند تأسيس المشاريع، وهو الحديث عن الكيفية والتطبيق، وعن الآليات وطرق التنفيذ، إنه مبدأ «الانسياب والسلاسة» في إدارة العمل الجماعي والتجمعات العلمية، إنه «المبدأ الوسط» أو «الثالث الموضوع» الذي يجمع بين صرامة «النمط التعاقدي» المنضبط بالقوانين وسلم المسؤوليات ومستويات القرار «أدب الائتمار»، وبين سماحة «النمط التراحمي»[2] الذي يعتبر إنسانية الإنسان من أخوة، وشفقة، ومراعاة الحالة النفسية، هذا النمط الذي يصبح في بعض التجمعات دافعا إلى قلة الفعالية، إن هذا المبدأ أو هذا «الثالث الموضوع» هو ما عبر عنه «الفتى» في إحدى الجامعات الصيفية التي نظمها بـ«الابتسامة مع الصرامة»، فعلى علم الأخلاق في الفكر الإسلامي أن يقدم تطبيقات عملية لهذا المعيار في

---

(1) ينظر: **أرباب المستوى**، ص:204.

(2) ينظر: حرفي؛ سوزان، **حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري 2: العلمانية والحداثة والعولمة**، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط.1، 1430هـ/2009، ص:213.



الإدارة[1] حتى لا نبقى رهائن التجارب الغربية التي قد تكون مناقضة لرؤيتنا الكونية التوحيدية.

اصطبغ القائمون على هذه المؤسسة البحثية بمفهوم «الهجرة» فانعكس على أفعالهم، فهم دائمو السعي «من الخلْق إلى الحق» إخلاصا وتوكلا، ومن «الحق إلى الخلْق» امتثالا وتمثلا، يأتون أعمالهم بجد يدفعهم الشوق والعشق، مندفعين وراء مرجعية تمثل لهم الوجهة والدليل، فالنافعية للخلق بالاستناد إلى الوحي هو معيار حدّي من معايير «الجماعة العلمية»، والتي يسعى الفتى إلى التأكيد عليها والعمل في مجالها، بعدما استبعدت نظرية المعرفة من مصادرها الوحي، ولعل الغاية التي يستحضرها الفتى في كل عمل يقوم به ورسالته التي بناها على قاعدة «المنطلق القرآني» والإسهام لنفع الخلق تجد لها انعكاسا في هذا المعيار.

تمثل الأكاديميا تكاملا بين «الجواني» و«البراني» بين رهافة الحس والأخلاق العالية في التعامل وبين الذوق الفني والجمالي ومنطق الترتيب داخل هذه المؤسسة، فلم يكن القائمون يتحدثون عن الجمال وعن الأخلاق بل كانوا يتمثلون قولهم ويجتهدون في المطابقة بينهما، ولم يكونوا يعتبرون أن الذوق الجمالي في الأشياء منفصل عن الذوق الجمالي في التعامل؛ بل أحدهما نتيجة للآخر، ووجود الواحد منهما حقيقةً هو وجود للآخر ضرورة فـ«الله جميل يحب الجمال»[2]

(1) ينظر: باباعمي، **أرباب المستوى**، ص:208.

(2) صحيح الإمام مسلم، الحديث رقم: 91.

و«كتب الإحسان على كل شيء»[1].

هي معايير خمسة استنبطها «الفتى»[2] من معاشرته لشباب الخدمة ومن عيشه داخل حرم الأكاديميا، اتخذها نموذجا يحتذى، وميزانا يحاسب به نفسه، ومنبّها لمن خالف ما اعتقده، وتبقى هذه المعايير من أفق «القابلية للاعتراف» من صياغة بَشَر وتنفيذها بأيدي بَشَر قد يخطئون وقد يصيبون وسمي إنسانا لأنه ينسى، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات: 55].

يكابد «الفتى» في تحقيق حالة «أرباب المستوى»[3] ليرفع من المنسوب الحضاري العام للأمة عساه يكون على قدر الهم الذي ينتظره فـ«على قدر أهل العزم تأتي العزائم»[4]، وتبقى

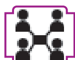
(1) صحيح الإمام مسلم، الحديث رقم: 1955.

(2) لم تكن العلاقة فردية ومقتصرة على شخص واحد، وإنما بزيارات مختلفة لمسؤولي مشاريع «نموذج الرشد» وأولياء فاعلين، وكذلك بالمشاركة في الملتقيات، وباحتكاك الطلبة الخلائف مع مشروع الخدمة، وبعد احتكاك بالخدمة عن قرب وجد الفتى أن لها «خصوصياتها المتصلة ببنية المشروع وخياراتها الفكرية، والتنظيمية، والتقنية..» ينظر: كوزي، **أزمتنا الحضارية**، ص:102.

(3) «**أرباب المستوى**»: مدخل أصيل متجذِّر في الفكر الإسلامي، بخاصَّة في عصر السعادة النبوية، ثم في العصور الذهبية المتألِّقة، إنه وصفٌ لما هو كائن، وتنظيرٌ لما ينبغي أن يكون، بناء على مدخل معرفيٍّ عرفانيٍّ غير مألوف في البحوث الكلاسيكية المنفصمة عن أصولها؛ فهو مقاربةٌ ومحاولةٌ، مقدِّمةٌ وتجرِبةٌ... في «الجماعات العلمية»، وفي «نظرية المعرفة»، وفي «الرؤية الكونية»، وفي «رؤية العالم»... بل في «علم المناهج»، وفي «الدراسات الفكرية والحضارية»، ينظر: باباعمي، **أرباب المستوى**، ص:14-15.

(4) مطلع قصيدة للمتنبي:

=



رسالة «الإسهام» ملهمة له، محفزة له في خوض التجارب وعلى السفر والهجرة، ثم العودة للمشاركة في البناء والنصرة، وهو الذي أجاب سائله عن عودته إلى وطنه: «مهلا، لا تطِل لومي، ولا تُعرض عن عذري... أنا ما جئت هذا البلد الطيب يسبيني حسان الغواني، ولا كنت بها يوما سائحا يلبس نظارات سوداء، ويلتقط الصور تلو الصور... أملا في إيقاف عجلة الزمن... مهلا أخيَّ... فإنَّ ورائي همٌّ دفين، وأمامي شوق حزين، وبين جنباتي إيمان ويقين...»[1].



= على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ينظر: المتنبي؛ **ديوان المتنبي**، ص:385.

(1) باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:221.

المبحث الثالث التحليل والنقد

بعد هذا العرض في المبحثين السابقين الذي حاولت من خلالهما تقديم صورة مختصرة للقارئ عن الجهود التي بُذِلت لإحياء روح الجماعة في البحث العلمي ضمن نموذج حضاري، كان لزاما عليّ وفي إطار الدراسات الحضارية أن أقدم تحليلا ونقدا لما ذُكر، فليس الهدف رص الأرقام والكلمات ولكن الهدف ما يستخلص من هذه التجربة، والإكثار من الأسئلة الجوهرية لتثمين الجهود وتصحيح الأخطاء، وتوضيح الصورة وهو ما سيعتمد في هذا المبحث.

تتشكل المعرفة[1] بتكاثف مكونات اختُلف في تحديد صيغتها النهائية بين علماء التخصصات المتعددة، ولكن المتفق عليه أنها ليست مقتصرة على الجانب المعرفي دون التطبيقي، أو دون الجانب الإداري التنظيمي؛ فهي تجمع بين توليد المعرفة ونشرها وتخزينها وتطبيقها[2]، وسأعالج هذا المبحث من خلال مسار أرى أنه الأليق لهذه المرحلة من البحث بعد الاطلاع على مجموعة من التعاريف وعلى المسارات المختلفة لمعالجة إنتاج المعرفة؛ فاعتمدت أربعة مستويات تمكنني من تقييم إنتاج المعرفة في

(1) - The Knowledge Processes: http://newlearningonline.com/learning-by-design/the-knowledge-processes

(2) - https://www.igi-global.com/dictionary/integration-concept-knowledge-processes-methods/16431

إطار «نموذج الرشد» وهي: إدارة المعرفة وتنظيمها، إنتاجها ونشرها، التداول المعرفي، و«ما حول المعرفة».

على أن الحديث سيقتصر على المشاريع الجماعية ضمن «نموذج الرشد»، دون الحديث عن المشاريع قبل تشكل النموذج، باعتبار أن الاهتمام يدور حول المشاريع ضمن «سؤال الأزمة»، وضمن «متحد علمي» يفترض فيه تحفيز المشاركة في الجدل العلمي (***scientific controversy***)، وتسهيل النشر المشترك، وتوثيق اتصال النشاط البحثي بالأنشطة غير البحثية أو توثيق العلاقة بين العلماء والمجتمع[1]، وهي ما ستكون محل تمحيص ونقد في إطار هذا المبحث.



(1) ينظر: حنفي وأرفانيتس، **البحث العربي ومجتمع المعرفة**، ص: 157-159.

المطلب الأول: مكتب الدراسات العلمية، تحليل ونقد

إدارة المعرفة وتنظيمها:

ضم «مكتب الدراسات العلمية» في هيكلته طاقما متنوعا يتكون من سبعة باحثين معدل عمرهم واحد وثلاثون سنة، منهم من أسس الفكرة ومنهم من ساندها وحملها هما؛ وتقاسموا الأدوار ووضعوا آليات العمل؛ مشكلين وهم مجتمعين صورة للفتى، فمنهم من تحمل مسؤولية التأصيل، ومنهم من تحمل متابعة جديد نظم المعلومات وإدارة الجماعات، ومنهم من تحمل مسؤولية نقل الخواص والمرافقة، ومنهم من ضبط الجانب القانوني والجانب المالي، ومنهم من تولى متابعة العملية التربوية في المدرسة، على أن تقسيم هذه الأدوار لم يكن بحد فاصل، مع التأكيد أن تحمل المسؤولية المشتركة والنقاش الجماعي لا يعني الاشتراكية في التنفيذ، وإنما لكل مسؤوليته التي يتحملها ضمن مجموع.

كانت تعقد في «مكتب الدراسات» اجتماعات أسبوعية تجمع مسؤولي المشاريع يقدمون فيها تقاريرهم حول سير المشروع في أسبوع، بإنجازاته وإشكالاته، وكيف تم حل الإشكال وماذا بقي عالقا منه، وقد أُعِدت وثيقة تقريرٍ نموذجية تتوخى عدم الإسهاب في التعبير، بل هي عبارة عن نقاط مختصرة، والهدف هو تبادل الخبرة وتقديم المعلومة، وقد سميت اللقاءات بـ «سيولة



المعلومة»، وفي هذا اللقاء الأسبوعي يخصص جانب للتكوين يجمع بين الفكري والعملي، بين تأصيل المعرفة والاستفادة من آليات العمل ضمن مفهوم «كيف؟» «***Know-how***».

ومن أجل تنظيم المعرفة، تم توظيف أحد طلبة «البعثة النموذجية» لمتابعة «رأس المال الفكري» وتنظيمه؛ يضم تقارير جلسات ـ في أغلبها نقاشات فكرية وتطبيقية لأفكارٍ بعضها تجسد في الميدان وبعضها لم يتم ـ، وكذلك حفظ نسخ من الكتب التي أصدرت والمقالات التي نشرت والمراسلات التي أنشئت، إضافة إلى تجميع المحاضرات الصوتية والمرئية، فتجمّع أرشيف كبير من «رأس المال الفكري» لكل حركات المكتب، لا زال محفوظا ومغلقا عليه، لم يتم لحد الآن تناوله وتقييمه والقيام بدراسات حوله، منذ إغلاق مكتب الدراسات وتحويل مكتبته وكل أرشيفه إلى معهد المناهج.

والسؤال المُلِح لماذا توقف مسار إنتاج المعرفة بعدم الرجوع إلى هذا الأرشيف؟ هل لعدم القدرة على توظيف باحث كفء؟ أم أن سرعة الإنجاز والبحث عن الفعالية حالت دون «العودة إلى الماضي»؟ أم لضعف في إدارة المعرفة وتنظيمها؟

إنتاج المعرفة ونشرها

جمع «مكتب الدراسات» في مسيرته بين المَهَمَّتين ـ إنتاج المعرفة ونشرها ـ بكل احترافية وفعالية على الرغم من قلة الإمكانات ومحدودية الطاقة البشرية، فأصدر سلسلتين في مجال اهتمامه؛ وهو إنتاج المقاييس والمعايير التربوية، وأقام حولها

محاضرات وتكوينات للمشتغلين بالتربية والتعليم؛ أولياء ومعلمين من خلال حلقات تخصيب الفكر، ومن خلال التكوينات التربوية.

ومن بين ما أصدره «مكتب الدراسات» دفتر شروط لتأسيس الفروع؛ فبعد أن كثرت طلبات تعميم تجربة المدرسة العلمية في بعض ولايات الوطن، ومع تزايد الضغط على «مكتب الدراسات» كان لزامًا وضع دفتر شروط للمؤسسة التي تريد أن تؤسس أركانها على خطى «المدرسة العلمية» ثم تستعمل الاسم بعد ذلك، بخاصة مع تزايد شهرة «المدرسة العلمية»، فكان لا بد من الحماية الفكرية للمشروع، وتستفيد المؤسسة من مرافقة من خلال التكوينات والجلسات الاستشارية عند التأسيس وعند التنفيذ إلى أن تصل إلى الاستقلالية الإدارية، وقد وصل عدد المدارس التي أنشئت قبل استقلاليتها إلى 17 مدرسة على المستوى الوطني.

كما أن مسار إنتاج المقاييس والمعايير كان يتم متابعة تنفيذه من خلال الزيارات الميدانية، من قِبل معلمين (شركاء)[1] وأعضاء

(1) استحدث مكتب الدراسات العلمية تصنيفا هرميا للموظفين في مشاريعه يبتدئ بـ«الموظف» ثم «القابل للشراكة» ثم «الشريك»، وهذه الهرمية هدفها دفع العاملين لتحمّل المسؤولية والمشاركة في حمل همّ الرسالة، وكلما أبان الموظف عن هذه الروح من خلال المبادرات التي يقوم بها ومن خلال الالتزام بالمبادئ التي يؤمن بها المكتب كلما ارتقى في السلم، وبالمقابل يستفيد الموظف من امتيازات معنوية أكثر منها مادية من مثل المشاركة في القرارات الاستراتيجية التي يتخذها المكتب (علما أن مجلس الشركاء له ثقل في الهيكلة الإدارية، فيمكن للمجلس أن يسهم في تعيين مدير مدرسة أو عزله كما حدث مع مدير ابتدائية ومدير متوسطة)، إلا أن هذه الطريقة أصبحت ثقلا على مسار المشروع بسبب كثرة العدد، ثم بسبب نوعية القرارات المتخذة، وطبيعة الشركاء الذين قد يمتازون بالإخلاص والولاء =



من المكتب ثم الجلوس مع المعلم للمناقشة والتداول، فكان الهدف هو الارتقاء بأداء المعلم الممارس في حركية حلزونية من خلال ما يطرح من إشكالات تربوية وما يقدمه المكتب من حلول وتوجيهات؛ على أن المكتب كان دائم الدفع لأن يكون المعلم باحثا أيضا فيحاول أن يجد بعض الحلول بنفسه، وقد صدرت عينات من هذه «التجارب التربوية» في كتاب «التحفيز التربوي» ضمن السلسلة الثانية «حتى يغيروا»[1].

لكن لم تنشر تجارب تربوية أخرى تعتبر من إضافات «مكتب الدراسات» في «المدرسة العلمية» على المقرر المفروض من وزارة التربية الوطنية؛ وهي تجربة اللغة الإنجليزية[2]، وتجربة الشاطر الصغير؛ وتجربة «المصلي الصغير» أو مشروع «الالتزام»؛ فتجربة المدرسة العلمية والجهود التي بذلت في تدريس اللغة الإنجليزية تستحق الكتابة عنها في ظل وجود اللغة الفرنسية المهيمنة على الاستعمال اليومي وعلى الإدارات الرسمية، فقامت المدرسة بتنظيم مخيمات للتلاميذ في اللغة الإنجليزية، واستضافت باحثة

= ولكن ليس بالضرورة أن يتحلوا بالحكمة، فحُلّ المجلس بعد ذلك؛ على أن الامتياز المادي يتمثل في اعتبار الانضمام إلى المجلس مكونا من مكونات تحديد الأجرة.

(1) شريفي؛ ياسين، سلسلة «حتى يغيّروا» 1: **التحفيز التربوي**، نشر مكتب الدراسات العلمية، الجزائر، 1427هـ/2007.

(2) عالجت المدرسة إشكالية التفضيل بين اللغتين من خلال اعتبار تدريس اللغة الإنجليزية منحنى وليس مقررا؛ أي أن التلميذ يستفيد من نشاطات في اللغة الإنجليزية على أن لا يختبر عليها إلا في مرحلة المتوسط، ويتم التركيز على الفرنسية في مرحلة الابتدائي.

أمريكية متخصصة في موضوع «الذاتية في التعلم». أما تجربة الشاطر الصغير فهي محاولة لتبسيط العلوم للتلاميذ وتمكينهم من معرفة مسار الاختراع، وأما مشروع «الالتزام أو المصلي الصغير»[1] فيقوم بدور المرافقة التربوية وزرع القيم ومعالجة البعد الأخلاقي والإيماني في المؤسسة التربوية.

كان الحرص على نشر التجارب في الكتب بغية التداول والنقد بعد ذلك، لكن ما يلاحظ أن التأليف اقتصر على بضعة أسماء؛ ففي السلسلة الأولى «ما بأنفسهم» نجد أن في تسعة عناوين: خمسة عناوين أُلِّفت من شخص واحد، وعنوانان من عضوين آخرين في المكتب، وعنوانان أُلِّفا جماعيا، كما أنه افتُرض عند التفكير في السلسلتين (ما بأنفسهم، وحتى يغيروا) أن تبرز أسماء جديدة في التأليف، ولكن السلسلة الثانية توقفت في العدد الرابع، والأسماء التي شاركت في السلسلتين لم تواصل في التأليف سوى مؤلفين فقط.

فما السبب في هذا التوقف، هل هو عدم الاقتناع بفكرة التأليف والنشر؟ أم أن المؤلفين فقدوا تلك المرافقة التي وجدوها عند نشر أعمالهم وافتقدوا التحفيز؟ أم أنها حالة طبيعية بمبدأ «ذاتية اتباع الأسباب» في النموذج أن الفعل يجب أن يأتي من ذات الشخص لا من أسباب خارجية تدفعه لذلك، وأن دور النموذج أيقظ في النفس القدرة والإمكان وترك المواصلة والإنجاز لذات الإنسان؟

---

(1) ينظر: كوزي، **أزمتنا الحضارية**، ص:88.

ويبقى أن إنتاج المعرفة في إطار «مكتب الدراسات» لم يرق إلى مستوى «الجماعة العلمية»، ولم يتجاوز عتبة الأفراد؛ ولا نجد مبررا في ذلك إلا في نقد الذات والاعتراف بالقصور والتقصير. وهو تلون بالسياق الحضاري الذي يعيش الفتى.

التداول المعرفي

كيف يمكن أن نقيّم مستوى التداول المعرفي في «مكتب الدراسات»؟ هل من خلال ما أصدره من مفاهيم وآليات عمل؟ أم من خلال حلقات تخصيب الفكر في «مسجد المنار» وما تخللتها من نقاشات مع الحضور، ومن خلال التكوينات للإطار التربوي وما اتسمت به من حوارات ونقاشات من أجل التنفيذ؟ وهل نعتبر تنفيذ المعايير والمقاييس التي أصدرها «مكتب الدراسات» جزء من عملية التداول المعرفي، باعتبار أنها تحرك السؤال حسب قدرات السائل المعرفية ؟

يقسم «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» التداول إلى مستويين[1]: مستوى «التشغيل» ويعني تداول الفكرة على المستوى المعرفي والنظري، ومستوى «التفعيل» الذي يضع الفكرة في الواقع ويختبرها، ويقدم التغذية الراجعة بغية التوفيق بين المستويين، وأي خلل في أحد المستويين هو خلل يمس جوهر الفكرة ويضعف قدرتها على الوصول إلى المتلقي والفاعل الحضاري.

(1) ينظر: باباعمي، **مسرد مفاهيم ومصطلحات المعهد العالمي للفكر الإسلامي** (غير منشور).

من هذا المنظور يمكن الحكم عن التداول المعرفي في إطار «مكتب الدراسات» أنه مس المستوى الثاني ولم يمس المستوى الأول، وهذا راجع على الراجح إلى أن جل أعضاء «مكتب الدراسات» متميزون في «التفعيل» وقدراتهم في الفعالية عالية، وما ينقصهم هو جانب «التشغيل المعرفي»؛ من حيث المشاركة في «الجدال العلمي» والدفع بأفكارهم للتداول في الدوائر المتخصصة، مع عدم الإنكار أنه كانت هناك محاولات لتشارك الخبرة واستضافة المتخصصين لعرض الفكرة.

ولقد لاحقت هذا الصفة ـ أي القدرة على «التفعيل العملي» مع استنزافه للإمكانات والوقت، والعجز في «التشغيل المعرفي» ـ المدرسة العلمية في عمومها حتى بعد غلق «مكتب الدراسات العلمية»، وهو من الإشكالات الأساسية التي انبرت بعض المؤسسات إلى حلها وبعضها لازال غافلا عنها.

«ما حَوْل المعرفة»

مع توسع رقعة المشاريع، وانضباطا بمبدأ عدم الملكية في إطار «نموذج الرشد»، وجد «الفتى» بعد تقليب الرأي وتحليل الأمر أن أفضل خدمة يقدمها لأمته أن يحارب «الشخصنة» و«الاستحواذ على المنصب» بأن يطبق ذلك على نفسه، فاستدعى مسؤولي المشاريع وقدم أمامهم وثيقة استقلالية المشاريع، وأوكل مسؤولية المشروع كاملة إلى من ارتضى المسؤولية، على أن تبقى العلاقة الوحيدة الرابطة هي العلاقة الفكرية؛ للتداول وشد الأزر، والمساندة في حال وجود أزمة يتعرض لها أي مشروع.



وقد أبان قرار استقلالية المشاريع عن مستوى امتلاك الخواص للمسؤولين في إطار «نموذج الرشد» وأهمها الوفاء والمرجعية الفكرية، فهل كل المؤسسات التربوية لازالت محافظة على هذه المرجعية الفكرية والوفاء للفكرة الأصل؟ وهل الانتماء إلى النموذج مرتبط فقط بتلك التي أسسها النموذج؟ فقد وُجدت مؤسسات أنشئت خارج إطار «نموذج الرشد» لكنها أقرب فكريا من بعض المؤسسات القريبة جغرافيا؟ فإلى ماذا يرجع هذا التصور وإلى ماذا يوعز هذا التصرف؟ هل هو الغرق الوظيفي أم البعد المكاني؟ أم خليط بينها؟ أم أن هناك أسبابا أخرى؟

بعد قرار الاستقلالية، وبعد فترة وجيزة من إنشاء «معهد المناهج» أو «التوسعة الذكية لمكتب الدراسات»، توقف عمل «مكتب الدراسات» وأغلق أبوابه، فهل كان لتأسيس «معهد المناهج» سبب في ضمور عمل «مكتب الدراسات»؟ وإذا كان هو السبب هل هي حالة صحية؟ ولماذا حدث هذا الإغلاق، هل بسبب تغير مكان المحرك المبني على الطبيعة البحثية؟ أم لأن البيئة لازالت مرتبطة بالشخص؟

وبعد غلقه: أين أعضاؤه؟ هل أسسوا مشاريع أخرى، أم عادوا إلى المشروع السابق، أم انسحبوا كلية، وانطلقوا في مشاريع أخرى، إما أسسوها أو انضموا إليها موظفين؟ هل حملوا خصائص النموذج؟ هل بقوا في مجال التربية والتعليم؟

أسئلة كثيرة تنقدح في الذهن، وليست لدي أجوبة، ولكن أحاول استثارتها إذا أردنا أن نقيّم مرحلة أساسية من «رحلة

الفتى»؛ فمكتب الدراسات «بذرة لمراحل وأسماء أخرى؛ مثل: العلمية، والمناهج، والمنظومة، والخلائف... وغيرها»[1]، وقد اعتبرتُ الحديث عن مرحلة «مكتب الدراسات» أنها تتسم بالضبابية لأن الكثير من المعطيات غائبة، فهل في الأرشيف من وثائق مهمة يمكنها الإجابة عن الأسئلة، أم أنه حتى الأرشيف لا يحمل حقيقة اسمه؟ وهل هو دوري في إطار هذا البحث أن أعود إليه وأنقب فيه؟



(1) باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:127.

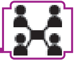


المطلب الثاني: معهد المناهج، تحليل ونقد

إدارة المعرفة وتنظيمها:

بنى «الفتى» في إدارته للمعرفة على الخبرة التي اكتسبها في إطار «مكتب الدراسات» وما أنتج فيها من آليات، وأضاف لها ما يتناسب مع مرحلته التي تتعامل مع مستوى آخر من مستويات المعرفة في إطار الدراسات العليا، إضافة إلى المستويات التي تم التعامل معها في إطار «مكتب الدراسات»، لأن مجال اهتمام «نموذج الرشد» حضاري وليس معرفيا فقط، فهو جامع بين المعرفي والوجودي في حركية دائمة، معْنتة أحيانا.

وحتى يحقق «نموذج الرشد» رسالته الحضارية الكبيرة عمل منذ تشكله بمبدأ «استدعاء الطاقة»، فكان كلما وجد في طاقة داخليةٍ القدرةَ على التحمل أكثر يزيدها مسؤولية ويكلفها بمهام؛ إما لإنشاء مشروع جديد، أو تحويل لسد ثغر شاغر، وهو ما كان مع إنشاء المدارس والتحويل بين المشاريع، وآخرها مع تخصيص باحث لموضوع إنتاج المعرفة وتنظيمها، فكانت المهمة هي تنظيم الورشات المعرفية، والأيام المغلقة، وتنظيم جلسات الاستماع مع قامات علمية، ومتابعة الإصدارات الفكرية.. إلى غير ذلك من المهام ذات العلاقة بإنتاج المعرفة وتنظيمها؛ رغم ما في هذا الفعل من تبعات على العاملين وعلى من ابتلي بالمسؤولية الجديدة، فمنهم من لا يقطف الثمرة بل يرى البراعم تزهر فيتم



تحويله إلى أرض تحتاج إلى رعاية.

بالمقابل نجد أن التفكير في إنشاء مشاريع يكون بعد إيجاد الشخص الذي يُتوسم فيه القدرة ووجود الفكرة التي تصلح له وتخدم رسالة النموذج، وبهذا نمت المشاريع وتحولت من أفكار، ولكن أيضا بعض الأفكار ماتت لأن صاحب المشروع («الفتى» مفردا أو مجتمِعا) لم يكن كما أُمّل فيه، فضمرت الفكرة وبقيت تحت التراب تنتظر من يعيد لها الحياة، وصاحب المشروع إما غادر المجموع وإما تحول إلى مشروع آخر ضمن النموذج وواصل مسيره مستفيدا من الخبرة التي اكتسبها.

وما يلاحظ في التعيين في المسؤوليات أنها لا تشترط أن يكون المشروع وصاحبه متوافقان في التخصص، بل يتطلب أدنى حد من المعارف مع القابلية للتعلم واستشارة أهل الاختصاص مع ضرورة حمل الهم الحضاري؛ فلا اشتراط للخبرة المسبقة في المجال لتحميل المسؤولية، وبهذا أُبدعت حلول في الطريق بأقل التكاليف؛ بل في بعض الأحيان بجودة عالية تنافس أصحاب الاختصاص، ومن بينها قواعد البيانات عن طريق برنامج (***Access***) أو برامج لتسيير «الجامعة البحثية» حيث تم إنتاجها بعد تكوين عصامي قصير، فأصبحت الحل لإدارة الكثير من الأفكار داخل النموذج بشعار «الاستفادة من التكنولوجيا مع التبسيط عند الاستعمال».

ونظرا لتوفر «معهد المناهج» على الهيكل القاعدي الجيد شكلا ولقدرته على التنظيم، فقد استعانت به بعض المؤسسات



للمشاركة في تنظيم تظاهرات علمية في التكوين التربوي أو في المحاضرات الاقتصادية أو غيرها من المجالات، فقد شارك المعهد في تنظيم «يوم الانترنت العربي» مع فريق جوجل الجزائر (***Google Algeria***)، وشارك في تنظيم محاضرة للخبير الاقتصادي البروفيسور عمر أكتوف بطلب من أحد تلاميذه في الجزائر، كما نظم المعهد جلسات استشارية بحثية ومنهجية مع طلبة الدراسات العليا سواء مع أساتذة المعهد أو مع العلماء المكرمين.

استعان المعهد في عمله بتقنية الأيام المغلقة فخصص لإنجاز الأعمال أياما تتراوح ما بين اليوم إلى الثلاثة أيام متواصلة إما داخل المعهد أو بالتوجه إلى أحد المنتزهات أو الأماكن الهادئة التي تجمع بين وسائل العمل ووسائل الراحة، فطبيعة عمل المعهد «ذهنية» بالدرجة الأولى يحتاج إلى وسائل التركيز لأداء العمل بفعالية.

كما استعان المعهد ببعض الباحثين المقيمين ممن لديه اهتمام وحب للأعمال الفنية للتعلم وتطوير قدراته لإنجاز أعمال للمؤسسة، فاستفاد منهم كما استفادوا هم منه، وقد ضم الكثير منهم هذه الخبرة إلى سيرهم الذاتية عند التوظيف في مؤسسات أخرى.

وامتنع المعهد من تقديم خدمات تكوينية لفئة دون الدراسات العليا مثل دروس الدعم المدرسي والتكوين في اللغات رغم ما فيها من مداخيل مادية معتبرة؛ حتى يحافظ على حرمته كقبلة للباحثين الباحثين عن التركيز والهدوء، فوفر المعهد قاعات

للبحث ومكتبة ثرية بالعناوين وخاصة في المنهج والعلوم الإنسانية بصفة عامة، إلا أن المكتبة ورغم ثرائها لايزال استغلالها ناقصا، لغياب أمين مكتبة متفرغ، وعدم فعالية برامج التسيير السابقة، وقلة الرواد لها، وهي حاليا تخضع للتحيين وإعادة التنظيم لتؤدي رسالتها كما يُؤمل فيها.

وتضم المكتبة إضافة إلى كتب الإعارة الرسائلَ التي نوقشت في إطار المعهد، والمؤلفات التي صدرت في إطار مؤسسة «كتابك»، وكذلك المقالات التي نشرت في موقع فييكوس ما بين 2006 و2012 في إثنين وعشرين مجلدا لتسهل العودة إلى تاريخية النشر في إطار «نموذج الرشد» وتتبع الفكرة، لكن عملية أرشفة المقالات لم تتواصل.

مما لا ريب فيه أن تنظيم المعرفة يستدعي الكثير من الطاقة البشرية والمقدرات المادية وهو ما لا يتوفر المعهد عليه؛ ولذا يسعى في كل مرة إلى إيجاد حلول ذكية يحقق بها الكثير من النتائج بالقليل من الأسباب، ورغم ما توصل إليه من إنجازات قد تبدو معتبرة إلى أنه كان في أدائه يبدو وكأنّه يسبح ضد التيار ويضيّع الكثير[1]، ويعجز عن بلوغ أهدافه المرجوة، وعجز عن بلوغ حالة «البريق الحرج» الحالة المرجوة لإنتاج المعرفة؛

---

(1) «فالعالِم يحرّك الأمواج، ويحدث التغيير، ويشارك في الإصلاح أو الثورات، بكلّ مقاييسها، وقد يتحوّل جهده بعد أمد إلى شريحة من طبيعة الوعاء الحضاري لأمّته؛ غير أن العالِم لا يستطيع أن يصنع المحيط، ولا أن يقوم بانقلاب جذري، في ظروف زمنية قصيرة لا تتجاوز عمره..»، باباعمي، **الوعاء الحضاري**، ص:53.



وهو نقد للفتى في إدارته للمعهد لا يتغاضى عنه.

إنتاج المعرفة ونشرها

حاول «الفتى» أن يتشارك ما ينتجه مع الباحثين والمهتمين؛ فاستغل الوسائل التكنولوجية المتاحة جنبا إلى جنب مع الوسائل المعروفة من مثل النشر الورقي والمحاضرات والحلقات والورشات المعرفية، كما ساهم في الإشراف على باحثين وتوجيه آخرين والمشاركة في مناقشة رسائل وأبحاث في إطار معهد المناهج أو الجامعة الجزائرية بصفة عامة.

واستغل «الفتى» النشر الورقي فأنتج عن طريق معهد المناهج ثم مؤسسة «كتابك» بعد ذلك وعن طريق دور نشر أخرى في الفترة ما بين 2006 و2018 حوالي 46 عنوانا[1]، وبعض هذه العناوين أعيد طبعها أكثر من مرة ولقد تعاون في ذلك مع ثمانية دور نشر في ثلاث دول: أربع منها في سوريا، واحدة في مصر و ثلاثة في الجزائر غير التي نشرت في مؤسسة «كتابك»، وإضافة إلى النشر الإلكتروني في مؤسسة بألمانيا، ولكن جاء توزيع التأليف بصورة تطرح التساؤل في إطار «نموذج الرشد» عن تنوع الأسماء: فالعناوين ألّفها ثلاثة باحثين: أحدهم أنتج ثلاثا وثلاثين عنوانا، والثاني ستة عناوين، والثالث عنوانا واحدا، وستة عناوين بتأليف مشترك.

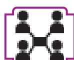
---

(1) ينظر قائمة المؤلفات ما بين 2006-2018 (مرحلة معهد المناهج) في أصل هذه الدراسة.

فهل نعتبر أن «نموذج الرشد» لازال لم يستطع حل هذا الإشكال، وأنه عليه أن يركز على هذا الجانب إذا ما أراد لأفكاره التنوع في العرض؟ أم أن التأليف حالة ذهنية (***Mindset***) لا يمكن تغييرها بالتكلّف ولكن بالتنشئة والصبر عليها، وفي الوقت نفسه عدم التوقف عندها حتى لا تُحتجز المعرفة وتتوقف؟

والسؤال الجوهري الآخر هو: من يمكن أن نسمي تأليفه معبرا عن «نموذج الرشد»؟ هل كل من تناول فكرة عن النموذج هو بالضرورة يتحدث باسم النموذج؟ وكيف نقيم الأحكام التي يصدرها مع بروز «نموذج الرشد» مرجعية فكرية للكثير من المشاريع والمؤسسات؟ كيف يستطيع الممارس أن يفرق بين الرأي الشخصي والرأي الجماعي الذي يمثل النموذج؟

ما يلاحظ على حركة التأليف وإنتاج المعرفة أنها اقتصرت على لغة واحدة هي العربية دون التأليف باللغة الفرنسية التي لازالت مهيمنة على السياق العام في الجزائر أو اللغة الإنجليزية لغة «المعطى الكوني» الذي يسعى «الفتى» أن يحقق الإسهام فيه، دون نسيان بعض المقالات التي كتبت بالفرنسية والتركية والكتاب الذي أُلف بالإنجليزية مع بعض المقالات المترجمة، لكن تبقى هذه الحركة ضعيفة مقارنة بغزارة الإنتاج باللغة العربية، ونظرا للمنسوب الحضاري فإن التأليف بالعربية في الوقت الراهن يحتاج إلى لغة أجنبية مرافقة له إما تأليفا أو ترجمة، وإلا وقعنا في المفارقة التي طرحها الكثير من الملاحظين أن الباحثين ينشرون محليا ويندثرون عالميا أو ينشرون عالميا لكنهم يندثرون



محليا فيغيبون عن المشاركة في واقعهم المحلي وما فيه من إشكالات ويكتفون بالنقاشات العالمية التي لا تعني واقعهم بصورة مباشرة، وهو ما يطلق عليه «***Publish or Perish***» رغم ما في هذه الذهنية من سلبيات[1]، فهل سيولي «الفتى» الاهتمام لهذا الجانب بوضع خطط عمل أم سيكتفي بما يجود به الواقع من باحثين يحملون حرقة نشر الفكرة الأصيلة والدفع بها نحو التداول العالمي؟

وبغية الدفع بحركة التأليف والنشر في مجتمع لازالت المقروئية فيه منخفضة، ودون الحديث عن مستوى آخر وهو ندرة التداول والنقد، ابتكر الفتى «بطاقة كتابك» وبهذا تضمن المؤسسة أن عددا من الكتب تصل إلى القراء أينما كانوا، مما يشجع المؤلف على المزيد من الإنتاج وعلى البحث عن التغذية الراجعة حول ما كتب وما عرض من أفكار، وهذه البطاقة ترتكز على مبدأ «الثقة في المرجعية الفكرية للمؤسسة» لأن المشترك في هذه الخدمة يدفع حتى قبل تحديد عناوين الكتب التي ستصدر، والبطاقة اشتراك لمدة سنة، على أنه يعرف العدد التقريبي للكتب التي ستصله إلى مقر إقامته، ويُعلم بصدورها وله الأولوية عند صدور الأعداد الأولى، والسؤال لماذا توقفت هذه الخدمة التي

(1) ينظر مقال:

Publish or Perish :What are its Consequences?

على موقع:

https//:www.enago.com/academy/publish-or-perish-consequences/

الزيارة بتاريخ: 2019/07/22، 10:57.

استحسنها المشتركون الذين قارب عددهم الألف داخل الجزائر فقط؟ ولماذا لم تُفعّل مرة أخرى؟ هل لأسباب تنظيمية؟ أم لأسباب مادية؟

قام «الفتى» وتأسيا بما فعله مع الباحثين في إطار جمعية التراث بتبني بعض البحوث الأكاديمية لنشرها ضمن سلسلة «بحوث ودراسات المناهج»منها ما نوقش في إطار معهد المناهج، ومنها ما كان خارجه، بحوث بعضها لبعض الفاعلين داخل المشروع وبعضها لمن له علاقة طيبة مع المشروع، فنشر منها تسعة عناوين، مَوّلها كلية ما عدا عدد واحد تكفل به صاحبه، لكن لم تكن التجربة كما خطط لها، فقد تباينت ردود أفعال الباحثين بين مستحسن شاكر، وبين من فهم أن الهدف ربحي فراح يساوم ويبالغ في حقوق المؤلف، ومنهم لم يهتم بالموضوع، فقد يعقد محاضرة في موضوع بحثه ولا يقوم بالترويج للكتاب «تناسيا أو تجاهلا»، فكيف يمكن التعامل مع هذه الذهنيات التي لازالت لا ترى في النشر المعرفي رقيا بالفكرة ودفعا لها للتداول؟

إضافة إلى النشر الورقي اعتمد «نموذج الرشد» على النشر الإلكتروني بأوعيته المختلفة، وأهمها موقع فيكوس الذي تحصل على المرتبة الأولى وطنيا في مسابقة «أحسن المواقع الجزائرية المصممة بنظام إدارة المحتوى «جوملا» سنة 2012، وجائزة أفضل مجلة إلكترونية جزائرية في صنف «***Pure play***» للعام نفسه[1]، وكان الاعتماد في النشر على الموقع قبل أن تجمع

(1) من تنظيم: Algeria Web Awards، ينظر الموقع: =



المقالات في الكتاب، ولكن مع التطور الحاصل في الوسائل التكنولوجية واستحواذ مواقع التواصل الاجتماعي على الاهتمام خفت تأثير المواقع الإلكترونية وتحول الكثير من القراء إلى السريع والفايسبوك؛ فأصبحت الضرورة ماسة للتحول في طريقة النشر الإلكتروني ولو على حساب قواعد النشر في المقال المركّز.

وقد صحب ذلك نقاش كبير في إطار «نموذج الرشد»: هل على «الفتى» أن يرضخ للتحولات الجديدة ويواكب التطور الإلكتروني[1]؟ وإلى أي حد يبقى حريصا في الاطلاع على الجديد وأن يكون حاضرا فيه[2]؟ ورغم أن «الفتى» يلتزم بقواعد النشر إلى حد ما، لكن السياق ضاغط عند نشر الفكر فيحتاج القارئ إلى التبسيط الذي قد يصل إلى التمييع، وهو ما يتنافى مع طبيعة الفكر التي تستدعي التأمل والنقد، والكتابة المعتصرة، وهو ما لا يستطيعه أصحاب «ذهنية الفايسبوك»[3] وأصحاب «الأكلات السريعة»[4]، وبهذا وجد «الفتى» نفسه أمام خيارين: إما أن يعدل

= https//:www.awa.dz
الزيارة: 2019/07/22، 12:21.

(1) ينظر مقال: «**مفارقة الحضور والغياب في وسائل التواصل الاجتماعي**»، باباعمي، **المخانق والمضايق**، ص:119.

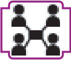
(2) استعمل الفتى مختلف المواقع للحضور المعرفي منها: Goodreads، Youtube، Researchgate، Academia، Soundcloud، Facebook، Linkedin.

(3) ينظر مقال: «**ذهنية الفايسبوك والقابلية للاستحمار**»، كوزي، **شروق وغروب سفمونية لم تكتمل**، ص:108.

(4) من مفاهيم المفكر عبد الوهاب المسيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي وظّفها في مؤلّفاته.

عن الكتابة الفكرية التي تجمع بين إجابات الواقع والتأصيل للمعرفة أو أن يركز على جانب دون آخر وبهذا سيخون ركيزة من ركائز فكره، وفي خضم ذلك خفت وهج موقع فييكوس ذا البعد المرجعي الذي كان القبلة للكثير من القراء والبوصلة للكثير منهم في الأحداث اليومية، فكم من مرة طلب القراء الرأي في حدث يقع في الوطن أو حتى خارجه.

وتعويضا على هذا الخفوت وعلى هذا الواقع المفروض حاول «الفتى» أن يعدد في وسائل النشر، فأنتج حصصا فكرية خاصة في إطار المؤسسة مستعينا بوسائله المحدودة، وأنتج حصصا أخرى عامة مع مؤسسات الإذاعة والتلفزيون الوطنية، من أجل تصريف الفكرة ومنحها حق التداول والنقد، كما شارك ولو بصفة محدودة من خلال الحضور في المنابر العلمية بالمشاركة في بعض الملتقيات الدولية والوطنية إما داخل الوطن أو خارجه، ولكن يلاحظ ضآلة المشاركة بل ونفور «الفتى» منها بسبب بعض التصرفات السلبية من مثل عدم احترام الوقت في بداية أمثال هذه البرامج ونهايتها إما بسبب الخضوع للبرتوكولات السياسية التي تشترط حضور السياسي لبداية البرنامج العلمي، أو بسبب العادة التي تكرست في جل هذه الملتقيات، وكذلك بسبب الطرح النظري المجرد الذي يصل إلى التقعير في بعض المواضيع مما يتناقض مع تفكير «الفتى» حول الحركية بين الفكر والواقع، ويبقى السؤال هل هذا الاعتراض مشروع للمشاركة في نشر المعرفة؟



وماذا عن المشاركة في المجلات المحكمة؟ لماذا لا نجد للفتى مقالات ومشاركات منتظمة فيها أم أن وجود الموقع[1] ودار النشر كاف لعرض أفكاره؟ أليس في هذا تقزيما لأفقه في النشر المعرفي؟

وماذا عن المبادرات التي قام بها من مثل الورشات التداولية، ومجلة المجمع العلمي، لماذا توقفت؟ فقد كان «الفتى» في كل نقد يقدمه يسعى لأن يوجِد البديل، فلماذا يتوقف هذا البديل في بعض الأحيان؟ هل بسبب التمويل الذي يعتبر من نقاط ضعف «الفتى»، وبخاصة مع تكاثر المسؤوليات عليه وازدياد توقعات البيئة المحيطة به من مشاريعه الحضارية؟ وما علاقة التمويل بإنتاج المعرفة وتكوين «الجماعة العلمية»؟ هل هو ضروري أم تحسيني؟ والسؤال الأهم هو: ما الذي يحرك إنتاج المعرفة وما هو المبرر؟ ما هو المحرك وما هو التابع؟

لم يفلح «الفتى» في وضع ملامح نهائية لـ«نموذج الرشد» فقارب الهدف ولم يحققه، فألف موسوعة «نموذج الرشد»،

(1) يتخذ «الفتى» من موقع veecos.net المرجع الفكري لأفكاره، حيث يسمح من خلاله بتقصّي تاريخ فكرة وإمكانية العودة إليها مع سرعة التكنولوجيا، مع ما يمكن أن يضيع في الطريق؛ فقد بحثت عن مقال فلم أجده لا في موقع فيكوس نسخة 1.0 الذي أغلق بسبب مشاكل الحماية الأمنية لتعرّضه للقرصنة ولا في نسخة 2.0، ولم أجده أيضا في الكتب المطبوعة، وهذا مؤشر إلى أن هناك بعض الأفكار والمفاهيم التي تمّ تطويرها أو إنتاجها لكن لم يتمّ توثيقها فضاعت؛ مما يشكل عائقا معرفيا في إنتاج المعرفة والتراكم المعرفي.

بمفاهيمه وآليات عمله[1]، وصاغ مسردا لمفاهيم «نموذج الرشد» يوضح الخريطة المفاهيمية، كما أدخل فكر «نموذج الرشد» في مختبر التحليل والنقد من خلال بحوث أكاديمية نذكر من بينها: « "نموذج الرشد" البراديم الحضاري البديل»[2]، و«شخصية الإمام عبد الحميد بن باديس وتفسيره بين الفكر والفعل ـ على ضوء «نموذج الرشد» ـ»[3]، و«التحيز للنموذج المعرفي المادي في المنظومة التربوية الجزائرية، (المفهوم، صور التحيز، ملامح النموذج البديل)»[4]، وعدم اكتمال وضع التصور النهائي للنموذج هي حالة طبيعية ومتناسقة مع ديناميكيته وحركيته بين فكر وفعل، فالباحثون حول الفكر هم أنفسهم الممارسون للفعل.

التداول المعرفي

أسمى مرتبة يصلها العقل البشري أن يناقش الأفكار ويتداول حولها، مقارعا الحجة بالحجة والدليل بالدليل بعيدا عن التعصب والأهواء، من أجل غاية واحدة هي نصرة الحق بغض النظر عمن صدر، وتزداد المرتبة سموا إذا كان التداول بعقل جمعي ضمن بيئة تشجع على النقاش وتدفع إليه.

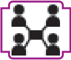
---

(1) باباعمي (مخطوط).

(2) أطروحة دكتوراه الباحث طه كوزي، وطبعت تحت عنوان: «**أزمتنا الحضارية، العقدة والمخرج**».

(3) رسالة ماجستير للباحثة حياة بومزبر.

(4) رسالة ماجستير الطالب البشير تامجرت، وطبعت تحت عنوان: «**النزعة المادية تصدّع أعمدة المدرسة: الدين، العلم، التربية، الإنسان**».



لا زال «الفتى» يكابد من أجل بلوغ هذه المرتبة في كل خطوة يخطوها في حركيته الدائمة بين فكر وفعل، فأن تغير في الذهنيات لتقبّل الاختلاف ونقاش الأفكار هي مهمة جليلة؛ وأجلّ منها أن توجد البيئة الخصبة التي تحافظ على هذه الخصلة كمشتلة تنقل منها الفسائل لتحيل الأرض القاحلة والجافة إلى أرض خضراء معطاء.

الوصول إلى حالة «العقل الجمعي» هدف استصحبه «الفتى» في رحلته، لكنه مقرّ أنه قد أخفق في تحقيقه، ولما يجد بعد سبيلا إليه، فجرب «حلقات الدرس بنية العمل»، وتعهد بمرافقة «الباحث المتفرغ» علّها توجد من الباحثين من يتصف بهذه الروح، لكن لم يجد مؤشرات تطمئنه، بل وجد بعضا من نقيض ذلك، فالباحث الذي يفترض فيه بناء الفكرة ووضوح الرأي أصبح «يحكي» رأيه، وإذا سئل عن الدليل أشار إلى أنه «سمع» ذلك.

ومن المؤشرات أن نسبة «الحفر المعرفي» ضعيفة فيمن يفترض فيه التفرغ للعلم، بل قصاراه أن يحيل إلى مذكرات تخصصه ومقرراته التي تنقله من سنة إلى سنة، مع بعض الاستثناءات فيمن اعتمد على نفسه وكابد لأن يحقق صفة الباحث الجاد في مواجهة «الأكاديم» في البيئة المتأزّمة، هذا «الأكاديم» الذي يحاول أن يتبنى تنظيما للمعرفة قد لا يكون فعالا لافتقاره لوسائل تحقيقه.

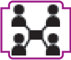
تساءل «الفتى» بعد كل برنامج توقف، أين الخلل؟ هل من ذاته أم من البيئة المحيطة؟ أليس يؤمن أن يُرجع أسباب الإخفاق إلى نفسه ويتهم ذاته في التقصير ويبحث عن الأسباب ويصلحها

بعد ذلك؟ ولكن ماذا لو كان الأمر حقا أن الأسباب خارجية وهو حاول جهده لكنه لم يلفح؟ أليس في هذا جلدا للذات؟ ثم كيف يمكن أن يقيم أمثال هذه البرامج وهي مرتبطة بالجانب الحضاري الذي لا يخضع لمناهج التقييم المعروفة؟ هل تخدم أمثال هذه البرامج سؤال الأزمة الذي يؤرقه؟ كيف يمكن قياس قدرة الفتى على نقل الهم الحضاري الذي يحمله إلى الآخرين؟ هل بعدد الحضور؟ أم بعدد الإحالات؟ أم بعدد طبعات الكتب التي ينشرها؟

وماذا عن التداول داخل «نموذج الرشد» بين الحاملين لـ«سؤال الأزمة»، هل هو تداول جماعي، أم مقتصر على بضعة أشخاص، وكيف يتم الفصل حول فكرة ما، هل بالأغلبية أم بالأقوى حجة وأن الميزان والغلبة دائما في جنب صاحب الأعلى قدرا في المعرفة، حتى ولو كانت طبيعة مهمة الآخرين لا تسمح لهم بالحفر المعرفي؟

أم أن «الخضوع العقلاني» للمرجعية الفكرية هي حالة طبيعية في إطار النموذج الحضاري، بل كيف يمكن أن نحدد المرجعية الفكرية هل بالتزكية، أم بمناقشة الأفكار؟

وكيف نقيم التداول داخل النموذج هل بالمخرجات من مقالات ومحاضرات وكتب؟ إذا كان كذلك هل نحكم على النموذج أنه أخفق في التداول الجماعي لأن إنتاجه المعرفي مقتصر على اسمين اثنين؟ وحتى بين هذين الاسمين هل هناك نقد متبادل بينهما في مؤلفات، أم أن النقد داخلي، أو أنه لا

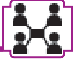


نقد أصلا وإنما توافق كلي على الأفكار؟

وماذا عن البحوث الأكاديمية المنجزة في إطار معهد المناهج؟، هذا المعهد الذي كان يراهن عليه الفتى أن يؤطر العملية البحثية ويوجهها لتخدم سؤال الأزمة: هل كانت ضمن «نموذج الرشد» الذي تبناه، وهل كانت المناقشات تصب في هذا المنحى؟ أم أنها كانت عبارة عن إجراءات أكاديمية روتينية «لاستكمال متطلبات التخرج»؟ ثم ما علاقة هذه البحوث بواقع الطلبة الذين أنجزوها، هل هي مجرد إضافات إلى رفوف المكتبات والجامعات؟ أم أنها مشاريع عملية جديدة أو حتى أفكارا لمشاريع وخطوات لتغييرٍ ما في الواقع؟

بعد أن أحس «الفتى» باختناق النَّفَس في إطار معهد المناهج لأن يؤطر البحث الأكاديمي في سياق البيئة الجزائرية، وجد نفسه ملزما لإعادة محاولة إنشاء جامعة خاصة يوسع بها أفق التداول المعرفي ويسهم مع الجامعة الجزائرية ـ مع تفاوت في الفعالية ـ في معالجة إشكالات الواقع، فابتدأ خطواته لإنشاء «الجامعة البحثية»[1] ذات البعد الدولي، فاستكمل الإجراءات وَزَارته اللجنة الوزارية لتقييم الاستعدادات لكنه بقي ينتظر لمدة

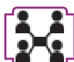
(1) للاطلاع على فلسفة هذه الجامعة ينظر: «**الجامعة البحثية: حلم موجّه**»، كوزي، **صورة العصر.. مستقبل واعد - أجيال إلكترونية - وخريف عربي بارد**، مؤسسة كتابك، الجزائر، 2016، ص:70، وأيضا: «**الجامعة البحثية في الميزان**»، كوزي، **معركة الوعي: إذا تحرك الضمير تحرك التاريخ**، مؤسسة كتابك، الجزائر، ط.1، 2018، ص:31، وأيضا: «**مساءلة حول النموذج من موشور لا تحزن إن الله معنا**»، باباعمي، **تيه ورشاد**، ص:146.



تجاوزت الستة أشهر[1] رغم جاهزيته شكلا ومحتوى، فاقتصر في هذه «المرحلة التمهيدية» على تحضير الطلبة لدخول المرحلة الأكاديمية ماجستير أو دكتوراه عن طريق محاضرات وأيام دراسية في مواضيع معرفية أساسية حول «النموذج المعرفي»، و«الجماعة العلمية»، و«التحيز»، إلى غير ذلك من المحاضرات التأسيسية، وشارك فيها أساتذة من خارج المعهد، لكن ما لوحظ أن منهم من لا يحيل ولا يتحدث عن «نموذج الرشد» في معرض السياق عن الحديث عن «البراديغمات» مثلا، وهناك من شارك في نقاشات حول «نموذج الرشد» وفي مناقشات رسائل أكاديمية في إطار المعهد لكنه لم يستوعب النموذج جيدا فحشره في خانة قد تشوهه، وفي المقابل نجد أن بعضا من الأساتذة يتحدث عن النموذج بدقة رغم أنه لم تتح له الفرصة للتعاقد مع المؤسسة وأن يتعامل معها بصورة مباشرة بل من خلال اطلاعه على بعض المؤلفات، فكيف نقيم هذه الصورة؟

تساؤلات كثيرة حول مشكلة التداول المعرفي في مثل هذه السياقات تطرح نفسها: فهل هي مشكلة معرفية، أم نفسية، أم أنها تقنية، أم أن هناك أسبابا أخرى؛ فتجربة المشاركة في ورشات بذور الرشد مثال، وورشات بوصلة المعنى مثال، وتجاوز «نموذج الرشد» وتجاهله بعد أن شهّر بأسماء أعلام كانت مغمورة ـ على

(1) حصلت على الترخيص أخيرا بعد انقضاء فترة التسجيلات بالنسبة لطلبة الليسانس في (07-08-2019)، ومما تسبب في حالة الانتظار الوضعية السياسية التي تشهدها البلاد.



الأقل في سياق الفتى ـ فأصبحت الإحالة إليها مباشرة؛ رغم أنه لم يك ممكنا استيعاب فكرهم لولا وساطة «نموذج الرشد» مثال، فهل هي حالات استثنائية أم أنها طبيعية؟ فما هو العلم الذي يمكننا الاستعانة به ليقدم لنا منهج تحليل مركب به نقارب الإجابة ونتخذ خطوات فعالة لنسهم في نهضة هذه الأمة التي لن تقوم لها قائمة إلا بـ«العقل الجمعي»؟

هل الأسئلة التي طرحت فيما سبق ذات طابع معرفي أم ذات طابع وجودي، ومن يُنْتظر أن يجيب عليها، هل الراصد نفسه أم من خارج «نموذج الرشد»؟ أسئلة كثيرة تستدعي «الماحول».

ما حول المعرفة

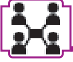
ولعل أهم الأسئلة في إطار النقد والتحليل هي التي يطرحها «الفتى» «ما حول المعرفة» «***Meta-knowledge***» لأنها لا تكون ظاهرة وربما تكمن الأهمية فيها، فقد يعالج الموضوع من زواياه المختلفة بينما لم يمس الجوهر لأنه لم يكن ظاهرا عيانا، أو ربما لأنه قُلِّل من شأنه باعتباره ثانويا.

فإذا كنا نتحدث عن «المتحد العلمي» وعن ضرورة وجوده لإنتاج المعرفة ونشرها، هل يمكن اعتبار معهد المناهج أنه يمثل متحدا علميا أو «مركز تفكير» «***Think-tank***»؟ فباعتبار علاقته مع بعض المشاريع الحضارية وتأثيره في قراراتها من خلال الآراء الفكرية التي يطرحها وباعتبار التأثير يمكننا أن نصنفه كذلك، ولكن حتى معهد المناهج يخضع لهذا التأثير؛ بمعنى أن معهد المناهج هو أيضا مشروع من هذه المشاريع،

فهل هذا يعني أن «نموذج الرشد» غير متحيز مكانا؟

والسؤال الآخر حول معهد المناهج هو علاقته مع «الجامعة البحثية»، فإذا كانت علاقة المدرسة مع الجامعة هي علاقة تكامل ومواصلة مسير، فما هي العلاقة بين المؤسستين باعتبار أن «الجامعة البحثية» تهتم بالجانب البحثي وهو نفس مجال اهتمام «معهد المناهج» بل ربما سيكون الاستقطاب أقوى في الجامعة باعتبار وجود الصيغة القانونية مما يسمح بجلب الباحثين وربط علاقات مع مؤسسات وهيئات، فما هي نوع العلاقة بين المؤسستين؟ هل هي علاقة فكرية محضة أم تدخل فيها العلاقة الوظيفية؟ وكيف يمكن تقييم حالة التواصل بينهما في هذه المرحلة قبل الحديث عن مراحل ستأتي، تدور فيها عجلة الأداء بسرعة قد لا تسمح بتقييم مثل هذه المواضيع؟ وكيف تحافظ المؤسستان على العلاقة باعتبار أن معهد المناهج انبثقت منه «الجامعة البحثية»؟ وكيف تضمنان عدم تكرار ما حدث مع بعض المدارس عند إعلان استقلالية المشاريع؟

كلما أكثر «الفتى» من التأمل وطرح الأسئلة كلما استطاع التنبؤ بأخطاء قد تقع في المستقبل فيسارع لتفاديها ومعالجة أعراضها، وكلما «هرب إلى الأمام» وتظاهر بعدم رؤيتها كلما تفاقمت الأمور بعد ذلك وصعب العلاج دون آثار جانبية، وكلما استصحب «الفتى» «الهم الحضاري» الذي يحمله وضرورة إيصال خبرته للأجيال القادمة كلما ازدادت ضرورة الحديث عن أمثال هذه المواضيع وتوثيقها حتى لا تتكرر الأخطاء، وحتى تقيّم



التجربة بالربط بين المقدمات والنتائج وعدم اختزال الظاهرة في جانب من جوانبها، ويبقى «الفتى» في رحلته مكابدا، وللوصول إلى هدفه صابرا، وفوق كل ذلك على الله متوكلا.



المطلب الثالث: وسام العالم الجزائري، تحليل ونقد

إدارة المعرفة وتنظيمها:

استحدث معهد المناهج جائزته السنوية لتكريم العلم والعلماء، وعَيْنُه في ذلك على أهداف كثيرة، ورسائل يريد أن يوصلها، بداية من المبادرة التي تعبر عن نفسها بالقول: أفضل تغيير يريد الإنسان أن يتحقق هو أن يقوم به أولا بنفسه، لأن في هذا دعوة للاقتداء والتأسي، وفيها جرعات أمل تعطى لليائس والقانط، ومن الرسائل أيضا كسر الثنائيات المختزلة التي فتتت المفتت، ولم يعد يجمع بين الأجزاء التي انفصلت عن الكل أي صمغ، لأن من خصائص «الصمغ الحضاري» أن يكون من مكونات المادة المراد تلحيمها.

من الرسائل أيضا الالتفاف حول المرجعية الفكرية المتفقة على الثوابت ولو اختلفت في المتغيرات، في زمن جعل كل القيم «سائلة» بل و«زئبقية» لا يقدر على ضبطها أي مخلوق، فاختلط على الناس مثلا مفهوم «حرية التفكير» و«الالتزام بالمبادئ».

ومن الرسائل المباشرة إدخال السرور على العالم الذي خدم وطنه دون انتظار مقابل، لكن الكلمة الطيبة صدقة، وقد وُفِّقَت المؤسسة يوم كرمت «شيخ المؤرخين» قبل وفاته، وقد اعتَبَر أن تكريم الوسام هو أفضل تكريم في حياته لأنه وصله من أبناء وطنه، وتزامنت وفاته مع يوم إحياء الطبعة السادسة



للوسام (2013).

استطاع المعهد أن يحول جائزة الوسام إلى مؤسسة قائمة بذاتها، فأعطى لها الامتداد الوطني، وحررها من قيد القطاع الخاص الذي يجد بعض المعوقات في حركته إلى المعطى الوطني الذي يجد الحضور في المؤسسات العمومية، واستطاع أن يجد صيغا قانونية لمساهمات التكريم ـ على قلتها ـ فقيمة الجائزة مؤشر على قيمة العلم في ذلك البلد.

تكريم العالم هو تكريم للعلم الذي يحمله وللمعرفة التي ينتجها، لذا بذلت المؤسسة جهودا معتبرة في سبيل تنظيم وتسيير كل ما يمكن أن يسهم في تحقيق هذه الرسالة، فعقدت ابتداء جلسات متواصلة لاقتراح أسماء المكرمين والبحث في سيرهم الذاتية والاطلاع على إنتاجهم العلمي (محاضرات، لقاءات إعلامية، مقالات،.. الخ)، والتقت بأهل العلم للاستشارة حول بعض الأسماء التي تم البحث عنها، كما عقدت أحيانا جلسات استماع حول السيرة الذاتية مع بعض المرشحين دون إعلامهم بنية التكريم، وقد اتبعت طريقة ملء استمارة الترشيح عن طريق الجامعات الجزائرية وبمشاركة الإعلام الوطني من خلال مؤسسة الإذاعة الوطنية التي شاركت في حملة جمع الترشيحات، فتم جمع الآلاف من الترشيحات الورقية وكذا عن طريق الموقع الإلكتروني، على أن هذه التجربة ليست بالضرورة فعالة في الترشيح لأن صورة العالم لا تكتمل بالحصص الإعلامية فقط بل لا بد من الاطلاع على سيرته والبحث في إنتاجه العلمي.

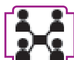
عقدت المؤسسة لقاءات كثيرة جماعية وفردية لإقناع المساهمين والممولين في تغطية الجانب المادي للحفل، في سياق لازال يعتبر الاستثمار في العلم غير ذا أهمية مقابل المجالات الأخرى وما ذلك إلا انعكاس للمنسوب الحضاري الذي يعيشه «الفتى»، على أن هذا الحكم له نسبيته فقد وقف إلى جانب المؤسسة مساهمون بقوا أوفياء لها منذ طبعتها الأولى[1]، ويبقى على المؤسسة البحث عن أنجع السبل لإقناع هؤلاء الممولين في المشاركة أو البحث عن سبل أخرى للتمويل، لأن الحفل لا تحده البداية والنهاية، وإنما الحفل تحضيرات وسفريات وتجهيزات وتعاقدات، فالذوق الجمالي والصورة الجميلة للمؤسسة لها أهميتها القصوى جنبا إلى جنب مع المحتوى العلمي الجاد.

كما نظمت مؤسسة الوسام أثناء حفل التكريم أمسية تربوية لفائدة المدارس العمومية والخاصة، ومنحتها الفرصة لأخذ صور تذكارية لتلاميذها الحاضرين في الأمسية لربط العلاقة بين العالم وطلاب العلم، وبعد حفل التكريم نظمت المؤسسة بعض التكوينات لمؤطري تلك المدارس (معلمين وإداريين) للاستفادة من التجربة التربوية للمكرم، ونظمت جلسات استشارية علمية ومنهجية لفائدة الطلبة الجامعيين.

كما كانت هذه الطبعات فرصة للطلبة الجامعيين المتطوعين

---

(1) وأنا أراجع هذه الفقرات مع المشرف، وصلني نبأ وفاة أحدهم وهو السيد الحاج أيوب عبد الله ابن الشيخ «القرادي»، والذي كان وفيا لوسام العالم الجزائري منذ بدأ وبذلك كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تمثلا آخر للفتى في صورة مثالية.



للاقتراب أكثر من العلماء من خلال أخذ صور تذكارية معهم بعد نهاية الحفل ثم السهرة التي تجمعهم مع العالم ليقدم لهم توجيهاته المباشرة، في لقاء ودي عفوي بعيدا عن الرسمية، واستفاد الطلبة من شهادات مشاركة في التنظيم باعتبارها تجربة تضاف لسيرهم الذاتية وتكوينهم الشخصي، وهي فرصة أيضا تجمعهم للإقامة معا على الأقل لمدة 24 ساعة، ثم العودة إلى إقاماتهم الجامعية التي قد تبعد في بعض الأحيان مئات الكيلومترات.

وأنجزت قاعدة بيانات لإدراج أسماء العلماء ضمن «خريطة العلم الجزائري»، وقد ساهمت في ترشيح أسماء من هذه القاعدة واختصرت جهد البحث، بل ساعدت في وضع خريطة زمنية ومكانية لوجود العالم مما سهل في ربط العلاقات بين الباحثين ومعرفة التأثير والتأثر بينهم.

إنتاج المعرفة ونشرها

فرصة تكريم العالم الجزائري مناسبة لاكتشاف أبناء الوطن العاملين في صمت، هي فرصة لإعادة محطات حياتهم التاريخية والعيش في حيثياتها واستجلاء العبر منها، وتقديمها لجيل قادم يتلمس طريقه وهو يردد: لا نعرف علماءنا، بل لا يوجد لنا علماء، فكان الشعار الذي رفعته المؤسسة «نعم، للجزائر علماؤها»، ولم يكن مجرد رص للكلمات بل قدمت الشعار في سيرة ذاتية تعريفية بالعالِم، فتيقن الجميع أنه «نعم، للجزائر علماؤها».

فرصة إعداد السيرة الذاتية هي مناسبة للكثير من المكرمين أن يكون لهم كتيب مختصر تعريفي بحياتهم، والكثير منهم لم



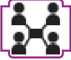
يملك عملا شبيها له من قبل، فأصبحت السيرة الذاتية مرجعا للكثير من الباحثين باعتبار أن السيرة الذاتية يراجعها العالِم بنفسه مما يعطي لها المصداقية والمرجعية العلمية، وكانت تطبع في كل سنة ما بين ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف نسخة من السيرة الذاتية تقسم ما بين إهداء للعالم، وإهداء للحاضرين في الحفل وإهداء للمؤسسات والشخصيات العلمية، وبهذا يتم نشر المعرفة من خلال التعريف بصاحبها؛ فالسيرة الذاتية تعرض طريقة اكتساب المعرفة وطريقة إنتاجها، إنها خلاصة تجربة.

ومن فقرات الحفل المهمة الندوة الحوارية التي تعقد مع المكرم، حيث يجيب عن بعض الأسئلة التي تطرح حول المعرفة وما حولها، وكذلك المحاضرة التي يلقيها، ومن خلالها يتعرف عليه الجمهور أكثر والذي يضم من بين ما يضم رؤساء جامعات وعمداء كليات وباحثين، وشخصيات من كل أطياف الدولة والمجتمع؛ حيث أحصي أكثر من 300 شخصية منهم في الحفل الأخير، وتنشر فقرات البرنامج في وسائل النشر الورقي (الكتب، ونشرية إسهام) والإلكتروني للمؤسسة من خلال موقعي فيكوس[1] وموقع مؤسسة الوسام[2]، ومن خلال صفحات التواصل الاجتماعي وقناة اليوتيوب[3]، مما يعطي للحضور فرصة الاطلاع على جديد العالِم، في سياق لازال ضعيفا في تواصله الالكتروني

(1) www.veecos.net

(2) www.algerianscholaraward.org

(3) اسم القناة: **وسام العالم الجزائري** - Algerian Scholar Award



إما بسبب نقص الثقافة أو بسبب ضعف التقانة.

جر التفكيرُ في تكريم العلماء «الفتى» إلى التفكير في معايير العالِم ومقاييس العلم، فاشتغل ولا يزال في موضوع «علم اجتماع العلوم» و«علم اجتماع العالِم»، فبحث فيه وألّف، فكانت مرجعا له في إنجاز «خريطة العلم الجزائري»، بعد أن كانت المعايير والمقاييس مستوردة تتعارض في أحايين كثيرة مع رؤيته الكونية التوحيدية، وكانت من أسباب اعتبار أبناء بيئته أنه لا وجود للعلماء اعتبار الصورة التي صنعها الغربي للعالِم فلا يعتبر المشتغل بـ«الديني» من العلماء، إضافة إلى ضعف التغطية الإعلامية لنشاطهم.

و«خريطة العلم الجزائري» تستقصي في إنجازها «الثمرات العلمية» و«الآثار العملية» التي تركها العالم سواء أكانوا تلاميذ تربوا على يديه أو أفكارا أسست عليها مشاريع، أو كتبا ومقالات نشرها ليستفيد منها الناس بأي لغة كانت، مما جعل الخريطة ثقيلة الوزن وكبيرة الحجم مع ضابط التخفيف في السرد لتستوعب العدد الذي وصل إلى 240 علَما قابل للزيادة، ففي 3 أشهر أنتجت حوالي 500 صفحة من الحجم الكبير (A_4)، مع ملاحظة أنه تم استبعاد بعض الأسماء التي لم تتماش مع معايير الخريطة.

ومن الأسئلة الجدير الحديث عنها:

- هل عدد المشتغلين بإدارة المعرفة في مؤسسة الوسام يتناسب مع أعمال المؤسسة؟

- وهل الشعور العاطفي للحضور يلائم الشعور الفعال الحضاري؟
- وهل تمكنت المؤسسة من تحويل من يحوم حول المؤسسة إلى فاعلين ومساهمين، وهو ما نقر أننا لم نصل إليه؟
- ويبقى السؤال الأكبر أين الخلل؟

التداول المعرفي

لا بد للنموذج المعرفي من نقاش حول أفكاره، ومحاورات صادقة لا تحابي ولا تجامل لتتغذى من ذاتها، وتحقق المقصود من إيجادها، وإذا وضعنا «نموذج الرشد» في حركية مؤسسة الوسام فإن جملة من الأسئلة ستظهر أمامنا:

إن الخلفية الفكرية لوسام العالم الجزائري هي «نموذج الرشد» الذي يستقي منه أفكاره، ويستأنس بالمعايير التي يضبطها، وأساس بنيان «نموذج الرشد» هو «سؤال الأزمة» الذي يؤرقه حول حركية الفكر والفعل، فهل على هؤلاء العلماء تبني هذا السؤال والاتفاق عليه بداية قبل الحديث عن المكابدة للإجابة عنه؟ أم أن السؤال في شموليته أكبر من أن ينضبط به فرد، وأن الإمكان منحصر فقط في تطبيق جزء منه؟ وإذا سلمنا بهذا الافتراض الأخير؛ نستطيع القول إن اختيار المكرم يتم بناء على مساهمته في النهوض بواقع أمته؛ أي أنه ينطلق من سؤال العمل ويسعى لتحقيق الجواب، ولو لم يعلن عنه صراحة. وبعد ذلك هل يمكن أن نشكل من هؤلاء العلماء متحدا علميا؟

ومن الأسئلة التي تؤرقنا أن مؤسسة وسام العالم الجزائري



ليست لمنح الأوسمة فقط، بل هي مؤسسة رسالتها أن تجمع علماء الأمة ليناقشوا قضاياها مجتمعين لا أن يقاربوا الحلول متفرقين؛ والسؤال هو عن مدى التقائهم خارج حفل التكريم السنوي للتداول حول أفكار كل واحد منهم لتتقارب الذبذبات الحضارية وليؤسسوا عملا مشتركا تحت مظلة الوسام، فالكثير من المكرمين تعارفوا من خلال المؤسسة رغم أن بعضهم مقيم في نفس المكان مع زميله، والبعض منهم يعود إلى بلدته في الوطن ولا تبعد عن مقر إقامة المكرم الآخر إلا بضع كيلومترات، فكيف السبيل لتفعيل هذه الطاقة لتجتمع وتتكتل لتنتج لنا أعمالا مشتركة؟

وإذا كانت مؤسسة وسام العالم الجزائري هي سبب في ربط العلاقة بين هؤلاء الأعلام، فما هو المقابل الذي يؤديه هؤلاء لها إحسانا من عند أنفسهم؟ هل تقتصر مشاركتهم في الحضور الشعوري في الحفل السنوي؟ أم أنهم يناقشون أفكار «نموذج الرشد» وتوجهات المؤسسة، ويساهمون في نقد الأفكار وتصويب بعض الأخطاء؟ لقد جُرِّب جمعهم حول موضوع «بذور الرشد»، لكن لم تكن النتيجة كما كان المتوقع؛ قد يكون ذلك بسبب طريقة العرض، أو ربما بسبب الموضوع نفسه، فهل تكون تلك المناسبة هي السبب في عدم عقد اجتماع آخر معهم حول مواضيع أخرى؟ أم أن اهتماماتهم المختلفة ومشاريعهم الكثيرة هي التي لم تسمح بمثل هذا الاجتماع والعمل المشترك؟

وقد حاولت المؤسسة من خلال «حركية العالم» أن تتابع

تحركات المكرمين وتخرج من دائرة اللقاء السنوي، إلى الحضور المتكرر في حياة العالم وتفعيل العلاقة معه، بالإسهام في الإعلان عن برامجه العلمية المبرمجة في الجامعات والتكوينات التي ينظمها، لكن إضافة إلى السبب السابق في عدم القدرة على متابعة وتيرة حركية بعضهم، تبين أن بعضهم لا يُعلم ببرامجه العلمية للمؤسسة، مما طرح أكثر من تساؤل:

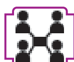
- هل هو بسبب وتيرة البرامج المتراكمة عليهم ـ رغم أن أغلبهم لديهم مواعيد مبرمجة تصل إلى شهور ـ؟ أم ربما بسبب عدم الثقة في المؤسسة؟ أم أن هناك أسباب أخرى لا يمكن لبعضهم التصريح بها؟
- هل يوجد إطار يجمع العلماء للتداول المعرفي في السياق الحضاري للفتى وهو لا يعرفه؟
- هل هناك مبادرات أخرى تجمع طاقات الأمة؟
- وهل حالة الوصول إلى ترخيص الجامعة الخاصة ستمنح التغيير في هذا الجانب؟





مستخلص الفصل

- «صورة الفتى» أو «إنسان "نموذج الرشد"» أو «الشخصية المعنوية» أداة تحليل لفهم حيثيات «رحلة الفتى» وتجاوز الاختزال في الحكم على الظاهرة الإنسانية واختصار نجاحها في بُعد واحد أو فرد وحيد.
- «صورة الفتى» أيضا مقياس للمشتغلين ضمن النموذج لمدى «صدقيتهم» في تطبيق المعايير التي ينادون بها.
- «رحلة الفتى» هي مجموع الفاعلين الذين أنتجوا مشروعا أو ساهموا في إنجازه، وأيضا أولئك الذين استفزوا «الفتى» بأسئلتهم إما عن قلق أو عن تعنت.
- ابتدأت الرحلة عندما قرر «الفتى» أن يكون ضمن فريق عمل، قائدا للمجموع تارة، أو مكلفا بمهمة ضمن مجموع تارة أخرى.
- يتشكل المفهوم في إطار «نموذج الرشد» من خلال إشكال يعترض الفتى في واقعه فيلوذ إلى «الحفر المعرفي» وتقليب الرأي والتداول والحوار، ثم صياغة مفهوم يقرب الفكرة، ثم تصريفه في الواقع من خلال التأليف فيه أو إقامة تكوين حوله.
- حالتا «الحفر المعرفي» و«إنتاج المعرفة» جماعيا في إطار «نموذج الرشد» من الشروط الحدية لاستمراره وقدرته على



الصمود في الإجابة على أسئلة الواقع.

- عمل «الفتى» بالقاعدة الزمنية «فإذا فرغت فانصب»؛ فلم يكن يستسيغ حالة الانتظار بين إنجاز المشاريع؛ فما إن انتهى من «معجم أعلام الإباضية» حتى انطلق في مشروعين آخرين خارج إطار فريق البحث العلمي وهما «المطياف القرآني» و«الأيام المسورية البكرية».
- مشروعا «المطياف القرآني» و«الأيام المسورية البكرية» يتخذان من الآية القرآنية منطلقا للبحث العلمي وهما بهذا يخدمان شطر رسالة «نموذج الرشد» «المنطلق القرآني»، وعُقدت أيام دراسية حوله، كما قدمت أبحاث أكاديمية متعددة التخصصات في مراحل الدراسات العليا.
- لا نجد في أدبيات «نموذج الرشد» تعبيرا صريحا عن «سؤال الأزمة» إلا مع نهاية 2009.
- «نموذج الرشد» «أداة تحليلية منهجية لفهم تركيبية الواقع والظاهرة الإنسانية، ثم التعامل معها في حركية دائبة بين الفكر والواقع وبين العلم والعمل.
- «سؤال الأزمة» هو الأكسيوم الأول والثابت الذي تبنى عليه الأعمدة الأربعة لـ«نموذج الرشد»: حركية الفكر والفعل، وذاتية اتباع الأسباب، وسداد المسلك، والصدقية.
- «مكتب الدراسات العلمية» أول تجسيد للعمل الجماعي البحثي المنظم في مرحلة تشكل «نموذج الرشد» لإنتاج

المقاييس التربوية والمعايير ومتابعة التنفيذ.

- «البعثة العلمية النموذجية» رعت مجموعة من الطلبة الجامعيين المنتسبين للجامعة الجزائرية لتكوين قيادات مستقبلية، وتوفير بيئة متميزة للطالب الجاد، وتوجيه الطاقة.
- حرص «مكتب الدراسات العلمية» على إنتاج المعرفة ونشر ما يتوصل إليه؛ للتداول وللتفعيل في السياقات المختلفة من خلال سلسلتي: «ما بأنفسهم» و«حتى يغيروا».
- «أيام النقد» التي نظمتها مشاريع مكتب الدراسات العلمية كانت من أجل الانتقال من حالة عرض الإنجاز إلى نقد المنجز، وتعديل حالة الزوار من متلقين ومشاهدين إلى متفاعلين وملاحظين.
- لم يستطع «مكتب الدراسات العلمية» تحقيق بقائه لعوزه للآلية البحثية الناجعة.
- توقف مسار إنتاج المعرفة في إطار «مكتب الدراسات العلمية» عند عتبة الأرشفة والتخزين، ولم يتواصل إلى النشر والتقييم.
- كان التداول المعرفي في «مكتب الدراسات» جليا على مستوى «التفعيل» في الواقع وهو انعكاس لفعالية أعضائه في الميدان مقارنة بمستواهم المعرفي الذي انحصر في عضو أو عضوين.
- تتسم مرحلة «مكتب الدراسات» بالضبابية لغياب الكثير من المعطيات.



- لم يستطع «نموذج الرشد» تجاوز الثنائية في التأليف مما يشكل عائقا في التنوع في عرض أفكاره: منهجا، ولغة، وشكلا.

- عمل «نموذج الرشد» بمبدأ «استدعاء الطاقة»، واشترط فيمن يكلفه بمهام أن يكون حامل هم ويتصف بالقابلية للتعلم والاستعانة بذوي الاختصاص، دون اعتبار التخصص شرطا حديا.

- استطاع «نموذج الرشد» أن يكون مرجعية فكرية من خلال «بطاقة كتابك» التي جاءت محاولة لتعزيز الثقة بين المؤلف والقارئ، ومن خلال موقع فيبكوس الذي وجد نفسه بين خيارين إما مواكبة التطور التكنولوجي أو الاندثار.

- يلاحظ على «نموذج الرشد» نقص المشاركة في الملتقيات وفي المجلات المحكّمة، وبالمقابل ركز جهده على إنتاج حصص تعليمية وإعلامية في القنوات العمومية والخاصة، وفي المعهد وخارجه من خلال الحلقات التكوينية والورشات التداولية.

- لم يصل «نموذج الرشد» إلى حالة «العقل الجمعي» وحالة «المتحد العلمي» التي ينشدها، ولم يطمئن بعد إلى مؤشرات تبشره بقرب تحقيق ذلك، مما يدفعه إلى السؤال في كل مرة عن السبب، وعن المنهج في معالجة الإشكال.

- تحولت جائزة «وسام العالم الجزائري» إلى مؤسسة خيرية

وطنية مما أعطى لها امتدادا وطنيا.

- بذلت مؤسسة الوسام جهودا كبيرة في البحث والتقصي (استشارة، واستماعا، ومطالعة،..الخ) للوصول إلى الأسماء المرشحة للتكريم.
- تولدت عن عملية البحث لتكريم العلماء وإعداد الكتيب التعريفي بالمكرمين فكرة البحث عن علماء الوطن وتوثيق سيرهم الذاتية في «موسوعة خريطة العلم الجزائري»، في انتظار طباعتها.
- حفل وسام العالم الجزائري فرصة لاكتشاف الخيّرين من أبناء الوطن المساهمين في إنجاحه من مساهمين ومتطوعين ـ على نسبية المشاركة مقارنة بآفاق المؤسسة ـ، وفرصة لهؤلاء المساهمين للتقرب من علماء الوطن.
- لم تحقق مؤسسة وسام العالم الجزائري من خلالها مكرميها تداولا معرفيا حول «نموذج الرشد»، ولم تصل بهم إلى حالة المتحد العلمي وإنتاج المعرفة.







الخاتمة



حالة «المتحد العلمي» على ضوء «نموذج الرشد» محاولة تأصيل للمعرفة في السياق الحضاري المتأزّم ضمن «علم اجتماع العلوم»، الذي بُنيت أسسه على معايير «منظومة مادية غربية»؛ لها منطلقاتها التي تتناقض في بعضها مع «الرؤية الكونية التوحيدية»، ومن أهمها اعتبار الوحي من مصادر المعرفة، وما ينجرُّ عنها من تشوهات وانحرافات في المسار، تشغيلا وتفعيلا.

من هذا المنطلق؛ كان لا بد على المشتغلين بالمعرفة وإنتاجها من منظور «النموذج المعرفي التوحيدي» الإسهام في بناء «نظرية المعرفة»، بما يصلون إليه من «حفر معرفي» في التراث الإسلامي، وتشغيله ليحظى بـ«التداول المعرفي» نقدا وتثمينا، ونحاول تقديم عرض لأهم المعايير التي يتأسس عليها «المتحد العلمي» في «نموذج الرشد»، وهي محاولة ومقاربة تنتظر التداول والنقد.

قارب هذا البحث تجربة إنسانية لها ما لها وعليها ما عليها، حاول أن يقرأها من الخارج، كما حاول أن يقرأ امتداداتها إلى «نموذج الرشد» فيما سمي بـ «رحلة الفتى»، وانتهى إلى النتائج المستخلصة:

يتأسس «المتحد العلمي» حصرا، من منظور «الرؤية الكونية التوحيدية»، على ثلاثية هي ركائزه: (العلم ـ اليقين ـ العمل)، فالهدف من «إنتاج المعرفة» و«الحفر المعرفي» هو تمثل حالة اليقين في الله تعالى، على أن يكون الوصول إلى هذه الحالة دافعا للعمل من أجل اكتساب العلم النافع للبشرية، غير مُخْتَزَل في بُعْد دون آخر.

يضمن «المتحد العلمي» بقاءه باستناده إلى خلفية فكرية (مرجعية) تحدد له مجال الرؤية وتؤطر فعله الحضاري، فتحفظ له التناغم في الأفعال ولو تعددت، وتسِم آراءه بالتقارب ولو تباينت، كما يسهم أعضاء «المتحد العلمي» في تنمية هذه المرجعية (النموذج المعرفي) ما حافظوا على حالة «الحفر المعرفي» و«ثَنْيِ الرُّكْبة»، وعلى «إنتاج المعرفة» و«التداول المعرفي» بـ«عقل جمعي»، واعتبروها شروطا حدية لا استغناء عنها ولا تنازل.

يحتاج العمل ضمن مجموع والصبر على تحدياته إلى تنشئة أكثر من التدريب[1]، يحتاج إلى مكابدة داخلية وتجاوز لحظوظ النفس ابتغاء رضوان الله تعالى، فالوجود ضمن مجموع يحتاج

---

(1) يقول بيجوفيتش: «التدريب لا تأثير له على الموقف الأخلاقي للإنسان. تستطيع أن تدرّب جنديًا أن يكون خشنًا، ماهرًا، قويًا، ولكنك لا تستطيع أن تدربه لكي يكون مخلصًا، شريفًا، متحمسًا، شجاعًا. فهذه جميعًا صفات روحية. من المستحيل فرض عقيدة بقرار أو عن طريق الإرهاب أو الضغط أو العنف أو القوة، (...) كل تنشئة حقيقية هي في جوهرها تنشئة ذاتية، وهي مناقضة للتدريب». بجوفيتش، **الإسلام بين الشرق والغرب**، ص:183.



إلى صبر وإلى مصابرة كذلك، وهي خواص لا يمكن تدريبها ولكن يُنَشّأ عليها الإنسان، وهنا تكمن خطورة المحاضن التربوية وأهميتها في غرس هذه القيمة في الناشئ وتعويده عليها لتصبح سجية فيه؛ فيُعلّم كيف يتواصل مع الآخرين، كيف يعبر عن رأيه دون محاباة ودون أن يخسر زملاءه، كيف يتنازل عن بعض آرائه من أجل تحقيق الهدف المتفق عليه، وأكثر من ذلك كيف يمكن أن يكون وسيط خير لرأب صدع في فريقه، إن التلميذ إذا لم ينشّأ على «أن يحب لغيره ما يحب لنفسه» في ظل منظومة مادية ما فتئت تشوّه قيمنا؛ فإن العقبة ستكون كؤودا لتجاوز حالة «التشرذم العلمي».

العمل الجماعي محور تأسيس «المتحد العلمي»، مرتبط بوجود الفكرة الجامعة ذات الصبغة العملية التطبيقية، فالاكتفاء بنقاش الفكرة المجردة ـ على أهمية هذا الفعل ـ سيُودِي بها بعد أمد؛ إن لم يصحب هذا النقاش بـ«نية العمل» و«سؤال الفعل»، فالسؤال هو الذي يمنح المعنى للفعل الإنساني ويمده بالطاقة ليتحرك، وهو ما كان جليا في المشاريع التي شارك فيها «الفتى».

وبالإضافة إلى الفكرة الجامعة «بنية العمل»، يحتاج العمل الجماعي إلى وجود الإطار التنظيمي «جمعية، مؤسسة،...الخ» ليمنحه الاستمرارية والدوام، ويمنحه القدرة على استدعاء الطاقة وسهولة الحركة، كما يمنحه الصرامة في العمل، فالسياق الحضاري المتأزّم يعيش حالة «النمط التراحمي» بإيجابياته المتعددة؛ إلا أنه يحتاج إلى الوجه الآخر «التعاقدي» في توازن يراعي «إنسانية



الإنسان»، وغياب أحد الوجهين هو مساس بجوهر الإنسان.

يتأسس «المتحد العلمي» على وجود محرك وقلب نابض يضخ الدماء في العروق، حاملا الأكسجين والغذاء لأطراف الجسم، ويختلف وجوده باختلاف طبيعة نشاط «المتحد العلمي»، لكن المشترك أن المحرك لا يمكن أن يكون فردا ولا أن يكون «كلَّ المجموع»، بل «بعضا من كُلٍّ»، فالفكرة قد تبدأ بفرد أو اثنين، لكن لا بد على «المحرك» من إقناع آخرين للانضمام إلى الفريق وحمل الهمّ ليستطيع المشروع المواصلة.

هذا المجموع همّه تحريك الفريق وتبعات التفكير والتخطيط، والمتابعة والتنفيذ، والاهتمام بالجانب النفسي والاجتماعي لأعضاء «المتحد العلمي» جنبا إلى جنب مع الجانب المعرفي؛ وفي بعض الأحيان لا بد من الاهتمام بالجانب النفسي والاجتماعي أكثر، ويتميز بالنباهة ورهافة الحس والقدرة على قراءة النفسيات، والإدارة بمبدأ «السلاسة والانسياب» التي تجمع بين النمطين «التراحمي» و«التعاقدي».

يحتاج «المتحد العلمي» إلى شخصية «وسيط الخير» الذي لا يذيب الجليد فحسب بل ويفتت الصخر، فالبيئة في السياق الحضاري المتأزّم جافة في أغلبها وليست متجمدة، والصخر يحتاج إلى مكابدة وصبر لتفتيته حتى تعود العلاقة بين أعضاء «المتحد العلمي» حية وفعالة، ويستدعي ذلك من هذا «الوسيط»؛ الذي قد يكون القائد للمجموع أو عضوا يحمل هم الاجتماع، أن يتحلى بصفات «الجمع» قبل أن يطلبها من غيره؛ فمن تمام



الرشد التزام الإنسان بما يحمل الآخرين عليه، على أن تمثل هذه الصفات أو انعدامها لا ينبغي أن يوقف عملية إصلاح العلاقات والتشبيك بينها، فالإنسان مراوح بين إقبال وإدبار، ولا منجى إلا بالوجود ضمن مجموع.

ومن أجل الحفاظ على الرابطة الفكرية التي تجمع أعضاء المتحد العلمي وجب الاهتمام بالشكل كما المحتوى؛ ذوقا وجمالا، وضرورة العمل في مكان واحد ـ إضافة إلى العمل عن بعد ـ؛ لأن الالتقاء والعمل معا يزيد في تقارب القلوب وتفقد الأحوال، وهذا يتطلب أيضا البرمجة الدقيقة للأعمال وتنوع محاورها ما بين أعمال فردية وأخرى جماعية، وما بين برامج صارمة وأخرى ترفيهية، وما بين برامج للإفادة وأخرى للاستفادة.

ويبقى سؤال التفرغ الكلي من عدمه مرتبطا بالسياقات المختلفة، ولعل الأنسب في السياق الحضاري المتأزّم الذي لازال ضعيفا في الاستثمار في البحث العلمي ضمن القطاع الخاص، وبخاصة في العلوم الإنسانية، الاقتصار على التطوع، أو على أقصى تقدير التفرغ الجزئي بنظام «الأيام أو الدورات المغلقة» في الشهر.

تقسيم الأدوار بين أعضاء «المتحد العلمي» إجراء مهم في إنتاج المعرفة وليس أمرا ثانويا، كما أنه ليس إجراء تفاضليا للتمييز بين الأعضاء، فكل دور في «المتحد العلمي» هو حلقة في سلسلة إنتاج المعرفة، فقدان أحدها يعني فقدان العمل المكتمل

في النهاية، فالمتحد يجمع بين «الباحث»، و«المدير»، و«الناشر»، والإداري»، و«المدرس»،.. إلخ، وقد يكون كل واحد من هؤلاء يمثل مؤسسة قائمة بذاتها، لكن يجمعهم إنتاج المعرفة ونشرها والتداول حولها.

بقاء المؤسسات بمختلف توجهاتها وبتنوع تخصصاتها (تربوية، أم اجتماعية، ربحية أم غيرها،..) مرتبط بحركية البحث والتطوير، التي تستدعي دوام النقد الذاتي و«الانفصال عن اللحظة» ورصد المؤسسة من الخارج، ثم محاولة تجاوز الأخطاء والعقبات من خلال مداومة «الحفر المعرفي» والتداول بين شركاء الهمّ الواحد، فالحرص على إخراج زكاة النفس هو التزام بشرع الله وكذلك حرص على التقييم والنقد من أجل التحسين؛ وبهذا يحقق الإنسان «الأجر والأجرة معا».

تشبه محاولة تحقيق المتحد العلمي في السياق الحضاري المتأزّم صب الماء في إناء مشروخ[1]، قد يتسرب الماء لكن سيبقى القليل المحفوظ، ويواصل صاحب الإناء إصلاح الشرخ في الإناء لأنه لا يملك غيره، فحالة «المتحد العلمي» في السياق المتأزّم هي محاولة الإصلاح والإبداع معا، هي مهمة ثنائية الأبعاد صعبة الإنجاز، تجمع بين التخلية والتحلية، فلا يمكن إيقاف عملية التنفيذ لأن السياق ضاغط ومحتاج، وفي نفس

---

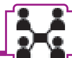
(1) ينظر: «**نظرية الإناء المشروخ**» للشيخ محمد الغزالي في محاضرته بعنوان: «**مسار الفكر الديني في تراثنا**» ضمن ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، على: https://youtube/Skb6URd46z0.

الوقت لا بد من معالجة التشوهات حتى لا تتكاثر.

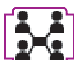
«المتحد العلمي» في السياق الحضاري المتأزّم يتسم بالمكابدة للوصول، ولا يمكن الحديث عن نقطة النهاية في هذه الحقبة الحضارية؛ فرحلة البحث عن أنجع السبل وأقوى المناهج للوصول إلى حالة «المتحد العلمي» تتسم بالتعقيد والصعوبة؛ لأنها تتعامل مع النفس البشرية المتقلبةِ المزاج الصعبةِ المراس، وحياة سيدنا محمد ﷺ وتعامله مع الأصحاب والأعراب على السواء خير مثال، ولا سبيل لمقاربة الحل إلا بجهد جماعي مستصحبين آية ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود: 112].

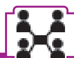
وإذا أردنا مقاربة الحل لتحقيق حالة «المتحد العلمي» فنحن ملزمون بتفعيل ما يزخر به تراثنا الإسلامي من مبادئ ومعايير؛ بإعادة قراءته من مداخل معرفية جديدة ومستفيدين مما توصل إليه العلم في عصرنا من دون تطرف؛ إلغاءً أو ذوبانا، فالمنظومة الغربية استطاعت أن تقنن «علم اجتماع العلوم» ووضعت معايير ومقاييس لمعالجته، وأرّخت له من يوم اكتشفته دون اعتبار «للتراكم المعرفي» الذي تؤمن به، ونجد في تراثنا مؤشرات لهذا العلم مما يفرض علينا الكشف عنها وإضافتها لما وصلت إليه المعرفة في زماننا، لنسهم في بنائها، ونزرع الأمل في أبناء أمتنا، ونساعدهم في تخطي حالة الانبهار والتبعية لكل وافد غربي، وبذلك نعيد للمعرفة أصالتها التي شُوِّهتْ باستبعاد الوحي من مصادرها.

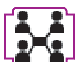


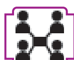


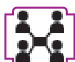
فهرس المفاهيم والمصطلحات

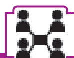


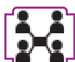


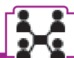


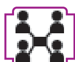




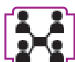















تم بحمد الله